تاريخ العدواني

كتاب في أخبار هجرة واستقرار بعض القبائل العربية مع ذكر الأحوال والتقلبات السياسية والاجتماعية لمنطقة المغرب العربي وأصول بعض المدن والقرى، والعلاقات الروحية بين المشرق والمغرب منذ الفتح الإسلامي.

تأليف
محمد بن محمد بن عمر العدواني
من أهل القرن الحادي عشر للهجرة
"القرن 17م"

تقديم وتحقيق وتعليق
ابو القاسم سعد الله
"جامعة الجزائر"



تاريخ العدواني

تاريخ العدواني

كتاب في أخبار الهجرة واستقرار بعض القبائل العربية مع ذكر الأحوال والتقلبات السياسية والاجتماعية لمنطقة المغرب العربي وأصول بعض المدن والقرى، والعلاقات الروحية بين المشرق والمغرب منذ الفتح الإسلامي.

تأليف

محمد بن محمد بن عمر العدواني

من أهل القرن الحادي عشر للهجرة

" القرن 17م "

تقديم وتحقيق وتعليق

ابو القاسم سعد الله

" جامعة الجزائر "



دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى

دار الغرب الإسلامي
ص. ب. 5787-113 بيروت

فهرس الموضوعات

شكر واعتراف

لا يمكنني في هذه السطور أن أسجل اعترافي وشكري لكل الذين أعانوني على إخراج تاريخ العدواني. ولكن لا بد من ذكر بعضهم على الأقل. وأبدأ بالأستاذ محمود بوعياد مدير المكتبة الوطنية الذي سلمني نسخة والده، والشيخ أحمد خرّاز الموثق بوادي سوف الذي صور نسخته للأستاذ محمد الطاهر العدواني فجاءني هذا بها، مشكوراً. ثم زرت شخصياً الشيخ أحمد خراز وجالسته عدة مرات وأطلعني على بعض أوراق من نسخة أخرى لتاريخ العدواني، كما اطلعت عنده على النسخة الأصلية التي جُلبتْ إلي مصورة. ولا يفوتني أن أشير إلى أن الأستاذ أحمد السائح بعث إلي بنسخة من كتاب العدواني كانت في حوزة الشيخ عبد المجيد بن حبة، كما اطلعني عدد آخر على نسخهم مثل الأستاذ عبد القادر عوادى من تاغزوت، والأستاذ سعيد هيمة من بلدة البهيمة (حساني عبد الكريم حالياً)، والأستاذ الحبيب حنيش الموثق بمدينة الوادي.

أما الشيخ محمد الطاهر التليلي فقد سلمني نسخة بخط يده من تاريخ العدواني وقابل معي أجزاء من كتاب العدواني في عدة مناسبات، واستفدت منه فوائد جمة، وكانت المكتبة الوطنية بتونس كريمة معي فسهلت علي مهمة تصوير النسخة (ج 1) والأوراق الأخيرة من النسخة (ج 2)، وكان مديرها الأستاذ إبراهيم شبوح قد أحسن الاستقبال ووفر الإمكانات التي يحتاجها باحث مثلي في فترة قصيرة.

وهناك من جالسته أو زرته سائلاً عن ألفاظ وأعلام وردت في كتاب

العدواني، وهؤلاء لا يكاد يحصرهم العد. وعلى كل حال فإني أذكر منهم الشيخين المسنّين: مصباح السالمي صاحب الزاوية الرحمانية بالوادي والحسين الزبيدي أحد القياد السابقين على بعض قرى سوف. وكلاهما أفادني، ولا سيما الأول الذي أطلعني على نسخة خاصة من تاريخ العدواني يعود تاريخها إلى سنة 1951. ولا أنسى زيارتي للزقم وللمسجد المنسوب للعدواني وللشباب الذين كانوا هناك متحمسين لشيخهم المؤرخ الفقيه الصالح كما قالوا، والذي يعتزون به أيَّمَا اعتزاز.

أما الشيخ محمود الواعي (باتنة) فقد كتب إلي تعريفاً وافياً ببعض أعلام الأماكن الواردة في كتاب العدواني والخاصة بمنطقة الأوراس والزيبان وتبسة. ولا بد لي من الاشادة بمساهمة ابن عمي علي بن إبراهيم سعد الله الذي دلني على العديد من الاعلام الواقعة بين سوف والصحراء الشمالية حيث كان كثير السفر والترحال على البعير طيلة سنوات. وكذلك الإشادة بمساهمة السيد محمد الصالح العكرمي، من أهل قفصة، الذي كنت التقيت به في قفصة في صيف 1989، ثم زار هو قمار في صيف 1990. وقد أجابني على عدد من الاعلام الواقعة في منطقة الجريد بالخصوص.

ومهما أطلت في ذكر الاعتراف بجميل زوجتي في هذا العمل، فلن أوفيها حقها. فالعبء الأكبر من المقابلات بين النسخ والقراءات المشتركة قد وقع عليها، مع الصبر والجلد والتشجيع.

فإلى هؤلاء جميعاً شكري وامتناني، والله وحده هو المجازي على ما بذلوه من جهد ووقت.

أبو القاسم سعد الله

1990/9/16

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يرجع اهتمامي بتاريخ العدواني إلى السبعينات. كنت عندئذ أبحث عن الوثائق المكتوبة لتاريخ الجزائر الثقافي خلال العهد العثماني. وقد سجلت منه بعض الملاحظات العابرة، ولم أدرسه دراسة متأنية ولم اترجم لصاحبه، ثم كنت أرجع إليه من وقت لآخر أثناء زيارة وادي سوف حيث أجد المتعلمين والشيوخ يذكرونه ويحتجون به إذا ما تعرضوا لحوادث منطقتهم. وكنت أسمع الآراء المختلفة حول قيمة الكتاب وحول حياة صاحبه، فأختزن كل ذلك دون أن أفكر عندئذ في تكريس جهد خاص لتحقيق الكتاب ونشره.

وفي لحظة مجهولة سألت نفسي: لماذا لم ينشر تاريخ العدواني على الناس؟ ولماذا يبقى حبيساً في بعض الخزائن الخاصة يجهله عامة الناس، ويحتج به البعض، وينسب إليه آخرون ما ليس فيه؟ وقلت في نفسي أيضاً: إن هناك مخطوطات ووثائق أقل منه قيمة رأت النور ونشرت باسم التراث الشعبي تارة وباسم التاريخ المحلي تارة أخرى، وها هي بعض الكتب المطبوعة تذكره من بين مصادرها، وها هي ترجمته الفرنسية قد ظهرت منذ قرن وربع؟

وقد حاولت أن أجد جواباً على عدم نشر تاريخ العدواني حتى الآن. قلت لعل ذلك يرجع إلى لغته الشعبية، فهو تاريخ مكتوب بلغة هي أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى، والناس يميلون إلى تحقيق الأعمال الجادة ذات

اللغة الفصيحة والأساليب المهذبة. وقلت لعل ذلك يرجع إلى كونه كتاباً يتعرض للحروب القبلية والغزوات على الطريقة القديمة والصراع من أجل البقاء بحثاً عن المراعي والرزق والأمن وطلباً للحرية وبعيداً عن السلطة (المخزن) وضرائبها وتضييقاتها. وهناك من لا يرغب في إحياء الماضي خوفاً من التاريخ الذي يدين أحياناً الدول كما يدين القبائل والافراد. ثم قلت لعل ذلك يرجع إلى ما فيه من قصص وأخبار وحكايات هي أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة، أو إلى طريقة السرد الساذج التي يسير عليها حتى كأنك حين تقرأه لا تعرف نفسك هل أنت طالب معرفة أو طالب تسلية، وهل أنت تتعامل مع نص تاريخي جاد أو نص أدبي خفيف.

ومما يؤكد التحَرُّجَ من لغته أو الخوف من محتواه أو التردد حول طريقته ومستواه، أن تاريخ العدواني لم يكن مجهولاً. فنحن لم نكتشفه، وقد استغربنا من كثرة نسخه المخطوطة في أيدي الناس. ومنذ 1850 أخذت الوثائق الفرنسية تتحدث عنه على أنه وثيقة هامة لتاريخ المغرب العربي وخصوصاً تونس والجزائر وطرابلس. ثم ظهرت ترجمته الفرنسية سنة 1868، وقد رجع إليه مؤلفون، منهم صاحب كتاب (الصروف) الذي بقي بدوره مخطوطاً إلى أن طبع سنة 1977، وهو الكتاب الذي استعار الكثير من العدواني. ثم رجع إلى تاريخ العدواني أيضاً الذين ألفوا عن تاريخ الشابية، ولا سيما صاحب كتاب (عرفة الشابي) الذي ظهر سنة 1982.

وبقدر ما لاحظنا كثرة النسخ المخطوطة وترجمته وتعدد الأخذ منه بقدر ما لاحظنا أيضاً أنه غير معروف تقريباً في غير منطقة سوف. فهل هو كتاب خاص بسوف؟ طبعاً لا. إنه كتاب يضم أخباراً هامة، كما لاحظنا، عن الجزائر وتونس وليبيا وحتى المشرق العربي، وقد استغربت من أن كتباً ألفها أصحابها عن الجريد التونسي أو عن طرابلس أو عن الأوراس والزيبان ولا يعودون فيها إلى كتاب العدواني. كما استغربت من جواب أحد علماء توزر سنة 1989 عندما نفى علمه بالعدواني وبكتابه، رغم أنه كتاب يضم أخباراً مستفيضة عن توزر وحكم أولاد الهادف فيها.

إن كتاب العدواني يدخل من جهة فيما يسمى بالتاريخ المحلي. فهو يؤرخ لحياة القبائل التي استوطنت الجنوب الشرقي من الجزائر والجنوب الغربي من تونس، وأصولها العربية ومسيرتها من المشرق إلى المغرب، وصراعها ضد الحكام من حفصيين وعثمانيين. كما يؤرخ لحياة الناس تحت حكم المغامرين من مختلف المدن: طرابلس، قفصة، القيروان، توزر، بسكرة، قسنطينة الخ. وفي أثناء ذلك يتحدث عن المرابطين ودورهم مع العامة، وعن الحكام وعلاقتهم بالأجانب كالإسبان.

وهو من جهة أخرى كتاب يدخل فيما يسمى بالأدب الشعبي. فلغته وعادات الناس الذين يتحدث عنهم، والمرأة، والأساطير التي يرويها، والحكايات والمغامرات والكرامات الخ. كل ذلك يجعل منه قطعة من الأدب الشعبي الذي تقرأه فكأنما أنت تقرأ قطعة من تغريبة بني هلال أو ألف ليلة وليلة، أو كما لاحظ بعضهم يصبح كتاباً صالحاً للقراءة في الأسمار والمجالس للتسلية والعبرة والتفكه وتوسيع مجال الخيال. إنه من هذه الناحية أشبه ما يكون بكتب الملاحم، فيها الواقع والخيال والأسطورة.

فإذا رجعنا إلى المستوى الوطني لاحظنا غياب التدوين التاريخي خلال القرن الحادي عشر في الجزائر. حقيقة أن هناك أعمالاً تدخل في إطار التراجم والتصوف والمناقب، أما التاريخ فلا نكاد نعثر له على كتاب ذي بال، عدا كتاب (نفح الطيب) لأحمد المقرّي. وكانت الجزائر عندئذ تعيش عصر ازدهار الجهاد البحري (القرصنة)، كما كانت تعيش عصر ازدهار التصوف والطرق الصوفية. وقد لاحظنا ذلك من دراستنا للمجتمع الجزائري في الغرب حين عالجنا كتاب (كعبة الطائفين) لمحمد بن سليمان، والمجتمع الجزائري في الشرق حين عالجنا كتاب (منشور الهداية) لعبد الكريم الفكون. وكلاهما من علماء القرن الحادي عشر وهو القرن الذي أنتج فيه العدواني كتابه الذي نحن بصدده. وكأن هؤلاء المؤلفين الثلاثة كانوا يكتبون بروح واحدة رغم أنهم قد لا يكونون التقوا أبداً، ورغم بعد المسافات بينهم

عندئذ. ولعل الفرق أن ابن سليمان كان يستوحي مجتمع تلمسان وأن الفكون كان يستوحي مجتمع قسنطينة، أما العدواني فقد كان يستوحي مجتمعاً بدوياً حكمت عليه الأقدار والطبيعة أن يتصارع حول بعض الواحات وآبار المياه والمراعي أو حول مدن ثانوية مثل القيروان وقفصة وتوزر وبسكرة.

ويجب أن لا نتوقع أن تاريخ العدواني سيلبّي مفهومنا اليوم للتاريخ. ففي عصره لم يكن «التاريخ» قد فصل عن بقية العلوم الأخرى، وإنما كان متداخلاً مع الأدب والجغرافية والرحلات والتراجم وحتى التصوف والنوازل. ولم يذكر العدواني عنواناً لكتابه وإنما سماه بعضهم في نسخة (أ) (كتاب الأخبار في القصص على نسب بعض الأوطان وعمارة سوف وأجوبة على مسائل وفوائد شتى). وقد ترددت كلمة «الأخبار» كثيراً في الكتاب، وكانت الأخبار عندهم هي مادة التاريخ، والعارف بها يعتبر مؤرخاً ونسابة. ولكن الحس التاريخي موجود وواضح عند العدواني، ففي كثير من المرات كان يطلب من الراوي صفوان أن يدون الحوادث بقوله: اكتب يا صفوان... شعوراً منه إن الكتابة هي وسيلة إنقاذ التاريخ. ولو اتسع الإحساس بالتاريخ على هذا النحو عند علماء الوقت لوجدنا، ربما، أكداساً من المخطوطات التاريخية حول مجتمعنا ومدننا وتفكيرنا في مختلف العصور. ولكن ذلك لم يحدث. فأمثال العدواني إذن قليلون في حياتنا الثقافية.

وكما لم يذكر العدواني عنواناً لكتابه، كذلك لم يذكر مصادره إلا عرضاً. ومن الواضح أن مصدره الأساسي هو الذاكرة القوية التي استوعبت الأحداث والأنساب وأسماء الأماكن والأشخاص والقبائل ونحو ذلك. ولذلك قلنا إن العدواني كان راوية أخبار. ولا يمكنه أن يكون كذلك إلا إذا كان «حافظاً» من الدرجة الأولى. ولا يعني ذلك أن الحافظ لا تخونه الذاكرة، أو أن الراوي لا تكبو به الرواية. ومن الغريب أن العدواني لا يستشهد بالشعر رغم أنه عربي هلالي، ولولا بعض الآيات القرآنية لخلا كتابه من النصوص الرئيسية للأدب والبلاغة العربية. أما الرواية الشفوية فالظاهر أنه كان له منها حظ كبير. ذلك إننا نجده يشير إلى روايته للأخبار عن الثقات،

وأحياناً يقول إنه يشك في الخبر الذي سمعه، وأحياناً يقول حدثني فلان بالاسم، وقد وجدناه ينسب الأخبار تارة إلى شيخ عدواني ـ لعله يعني نفسه ـ وتارة شيخ تارقي، وتارة لبعض الصلحاء والأولياء، وكان يقول مثلاً: «كذا حدثني سالم بن عدنان. أو «هكذا ذكر الرواة». هذا طبعاً في الأخبار التي يرجع تاريخها إلى عهود سابقة لوقته، أما ما كان يجرى تحت نظره من أحداث فقد كان هو الحكم فيه.

ولا شك إننا عندما نأخذ في مطالعة كتاب العدواني سنجد أنفسنا مستفيدين فائدة جلى. ولكننا أيضاً سنشعر أحياناً كأننا نقرأ رواية مسلية، أو فصلاً ساذجاً من كتاب، وسنسبح معه في الخيال الصوفي، وسنعتبر به في الحكم على الأحداث السياسية وصانعيها، وسنبتسم أحياناً من تنازع بعض القبائل على المراعي والأمن والبقاء لأن تنازعها قد فقد اليوم معناه وحل محله التلاحم الجماعي والأمن الجماعي والغذاء الجماعي، والأخوة الدينية والوطنية، فالعقل الإنساني قد نما منذ العدواني، من عصر القبيلة إلى عصر الأمة، ومن عصر الأمة إلى عصر الأمة ـ الدولة، ثم من هذه إلى التكتلات الدولية والاتحادات القومية والروابط الكونية الشمولية. كما انفتح العقل الإنساني، منذ العدواني، على عوالم المعرفة العلمية لا على إشراقات ومكاشفات الصوفية. وسبحان مقلب الأحوال!

ابن عكنون (الجزائر)
12 سبتمر 1990.

ابو القاسم سعد الله
(جامعة الجزائر)

(*) أثناء تصحيح التجارب علمنا أن كاهن (حبر اليهود في مدينة قسنطينة) قد اطلع على النسخة التي كان فيرو يترجمها من تاريخ العدواني، فنقل منها كاهن أخبار اليهود في بلاد المغرب زمن الفتح (انظر روكاي، 1867، ص 119 ـ 121). ومن رأي كاهن أن نسخة علي باي حديثة العهد، وأن أصلها قديم، وأن تاريخ العدواني مجموعة من الأساطير والتقاليد الشائعة عند عرب البلاد عندئذ، وأن العدواني غالباً ما سجل أسماء الذين أخذ عنهم.

حياة العدواني

لا نعرف أن أحداً ترجم للشيخ العدواني أو حاول أن يترجم له. فحياته مجهولة أو تكاد، رغم شهرة تاريخه بين الناس. لقد تعددت نسخ تاريخه في أيدي الناس ولم تتعدد جوانب حياته. فلا يعرف الناس أين ولد ولا أين وكيف عاش ولا أين توفي ولا متى. فكيف إذن سنترجم هنا لحياة العدواني؟ إننا سنحاول أن نفعل ذلك بالإستعانة بما في كتابه من إشارات لحياته وأفكاره، وما في التقاليد الشعبية عنه.

إن اسم العدواني المذكور في بعض النسخ التي اطلعنا عليها هو محمد بن محمد بن عمر القسنطيني المعروف بالعدواني. ولا ندري من أين جاءته النسبة القسنطينية إذا صَحَّتْ، وهي النسبة التي تحولت في إحدى نسخ تونس إلى القسطيلي (نسبة إلى قسطيلة أو قسطيلية أي الجريد). وقد تكون هذه النسبة أقرب من النسبة إلى قسنطينة إذا علمنا أن مسرح الأحداث الذي عاشته قبيلته (عدوان) هو أرض سوف والزيبان والجريد ونواحي تبسة وقابس. وهو عند آخرين عزاز بن سالم بن معاوية بن مبارك بن عمار بن خليفة العدواني. ولا شك أن هذا الاسم مستخرج من اسم الراوي الذي يرد ذكره في تاريخ العدواني، على أنه هو نفسه الشيخ صاحب التاريخ[1]. أما

(1) الاسم الأول (محمد بن محمد الخ.) والثاني (عزاز بن سالم الخ.) أوردهما الشيخ محمد الطاهر التليلي عن نسخة من تاريخ العدواني، موجودة عند المرحوم أحمد مفتاح بن عبد الباقي القماري. أما الاسم (محمد بن محمد بن عمر القسطيلي) فموجود على نسخة تونس (ج) من تاريخ العدواني. وقد ورد اسم عزاز بن سالم في ـ

المترجم فيرو فلم يذكر شيئاً عن نسب العدواني. واكتفى بما جاء في آخر النسخة من أنه «العدواني السلامي».

وجاء في آخر نسخة خراز (أ) أن صاحب الكتاب هو محمد بن محمد بن عمر العدواني الرحماني السوفي اللجي. دفين الزقم؛ وجاء في صفحة 89 من (أ) أنه عدواني رحماني، وعدواني سلامي من اللجة، كما ورد اسمه على صفحة 315 أنه (محمد العدواني). ومن ثمة يتضح أن اسم العدواني غير متفق عليه وكذلك نسبته إلى إحدى الجهات الرئيسية (قسنطينة أو قسطيلية). ومن المعطيات التاريخية والجغرافية والقبلية نرى أن الأقرب أن يكون العدواني من قبيلة عدوان الهلالية العربية، وأن يكون من سوف التي استقر فيها العدوانيون أو بعضهم، وأن يكون من الزقم التي كانت هي وما جاورها تسمى اللجة. بل إن البعض أخبرني أن اللُّجَجْ (جمع لجة) كانت تطلق على الضواحي الشرقية من سوف، بما فيها الزقم. وهم يقولون إن تلك النواحي كانت مغطاة بالماء (غديرات) ثم تحولت إلى شطوط بعد أن غطت الرمال أكثرها ثم أصبحت مرملة...

والمتتبع لحياة العدواني في كتابه يجده يذكر صراحة أن اسمه هو محمد العدواني (ص 320) وأن وطنه هو سوف، وبالضبط إحدى جهات سوف، وهي اللجة. إذ يقول «كنت ذات يوم نائماً ببلادنا اللجة» (ص 314). وتحدث عن عودته إلى وطنه سوف وقريته اللجة بعد أن انتهى من مهمته الروحية في المشرق صحبة الشيخ البكري. وهو فخور ببلاده سوف رغم فقرها لأنها في نظره هي بلاد الحرمة والمنعة، وهو صاحب المقولة (لا تجتمع الحرمة مع النعمة)، وقد وصف سوف عدة أوصاف، منها أنها بلاد المنعة (أي الملاذ والمهرب)، وأنها مانعة الهارب، ويمكن من هذه الزاوية أن نقول عن العدواني أنه «مؤرخ سوف».

---

* المخطوط نفسه ص 106. وجاء في نسخة بو عياد (ب) إن الاسم هكذا (هذا كتاب محمد بن محمد بن عمر القسنطيني المسمى بالشيخ العدوان (كذا) في التواريخ).

وهناك حديث طويل عن دوره في وطنه في ميدان التصوف، ودور العلماء ورجال الطريق عموماً في هذا الشأن، وهو منهم. وهو يذكر أن شيخه البكري قد نصحه بالعودة إلى وطنه سوف والقيام بالواجب فيه رغم أن الحالة غير مشجعة. وهو يذكر من متصوفة الوقت الشيخ الزقام وأحمد بن عبد العزيز الذي يقول عنه أنه «رفيقي» وأنه مات في اللجة (الزقم؟) أثناء وجوده هو في المشرق. والعدواني يسمى الشيخ أحمد بن عبد العزيز (بو عزيز)، ويقول إنه توفي عن مائة وعشر سنوات. وتحدث حتى عمن صلى عليه وكفنه وحمل نعشه.

وبناء على عدد من الملابسات والتواريخ فإن العدواني قد عاش إلى حوالي منتصف القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر ميلادي)، فقد تحدث عن حروب الشابية مع حكام تونس والجزائر وقبائل عديدة في تونس والجزائر، بعضها كانت مع الشابيين وبعضها كانت ضدهم. ويهمنا من ذلك أن بعض الشابيين كانوا أيضاً متصوفة أو يظهرون التصوف، مثل الشيخ محمد المسعود الشابي الذي زار سوف حوالي سنة 1015هـ. والعدواني يطيل في ذكر هؤلاء ويتبع خطواتهم بل ويتعاطف معهم، وهو من أجل ذلك لا يتعاطف مع الأتراك ويقف ضد الذين يتعاونون معهم مثل عائلة الهادف التي حكمت توزر باسمهم، وهو يرمز إلى اسم الحاكم التركي بتونس بالحروف خوفاً من الانتقام، وهو يعني بذلك حمودة باشا الذي تقلد الحكم رسمياً سنة 1041هـ. وهو يتحدث عن حوادث أخرى جرت كلها في القرن الحادي عشر، مثل لجوء الهادف إلى الشيخ علي عزوز المتصوف المعروف (المتوفى سنة 1022 هـ). ومثل إشارته إلى الشيخ محمد زيتونة المتوفى سنة 1038هـ، وغير ذلك من العلامات التي تدل على أن العدواني عاش حتى أدرك منتصف القرن الحادي عشر.

ولكن متى بالضبط؟ ليس هناك دليل قاطع الآن، فنحن نعرف أن عبد الصمد الشابي توفي سنة 1025، وأيضاً نعرف وفاة ابني عبد الصمد

وهما أحمد والطيب، ولكنه لا يذكر تاريخ ذلك. ونعرف أيضاً من المصادر الأخرى أن محمد المسعود الشابي قد توفي سنة 1028، وأن ابنه قد توفي سنة 1074 (والعدواني لا يذكر وفاة أي منهما ولكنه يذكر نشاطهما في سوف وفي غيره). ويذهب أحدهم إلى أن العدواني قد تحدث عن عهد بوزيان الشابي الذي حارب قبيلتي دُريد وطرود في تمغزة سنة 1065، وأن حمودة باشا المرادي حاول أن يستغل خلاف بوزيان مع طرود، فكتب الباشا إلى بوزيان يطلب منه الانتقام من طرود، فأجابه بوزيان بأنه لو وجد النصارى قد هاجموه (أي الباشا) لانضم بوزيان إليهم ضده[1]. ومعنى ذلك أن العدواني قد يكون عاش إلى ما بعد منتصف القرن الحادي عشر. ولكن في أي تاريخ توفي؟ إننا لا نملك الدليل على ذلك.

أما التقاليد الشعبية فتذكر أن العدواني كان من كبار متصوفة زمانه، وأنه دفين الزقم، وأن هناك مسجداً يحمل اسمه ربما بني قبله أو كان في الأصل زاوية أو خلوة يتعبد فيها. إذ يقولون عن المسجد أن له ثمانية قرون. فإذا ثبت أن العدواني عاش إلى وسط القرن الحادي عشر فإن الجامع يكون قد بني قبل العدواني بزمن طويل. ولعله جدده وأحياه فنسب إليه. وقد زرنا نحن هذا الجامع وكذلك الضريح الذي تذهب التقاليد الشعبية إلى أنه ضريح العدواني، وهو ضريح عادي، في الجبانة الرئيسية بالزقم. وقد اعتقد الناس البركة والصلاح في العدواني بعد وفاته. ويبدو أنه كان على جانب من ذلك أثناء حياته أيضاً، كما تدل على ذلك قصصه وأخباره ومكاشفاته الصوفية في المشرق والمغرب. وهو يذكر أنه حج ثلاثين مرة، وهو رقم قد يكون فيه مبالغة كبيرة في ظروف ذلك الوقت، وقد يكون ذلك الحج المتعدد قد وقع عن طريق المكاشفة والتغيب الصوفي، مثل الرحلات التي كان يقوم بها للشيخ البكري في الشام، والرحلة الخيالية إلى الهند وبورنو...

(1) علي الشابي «مصادر جديدة...» المجلة التاريخية المغربية، يناير 1979، ص 80.

وتظهر كتابات العدواني ثقافة واسعة، بالنسبة لعصره. فهو يحفظ القرآن ويستدل بآياته، في عدة مناسبات. وهو يحفظ الأخبار ويروي الطرائف، وله رصيد لغوي قوي وأمثال شعبية كثيرة. أما ثقافته الصوفية فتظهر من حديثه عن الشابية وشيوخ القادرية ورحلاته الخيالية، التي نسميها اليوم خرافات وكرامات. وإذا كنا نجد تفسيراً لعلاقة العدواني بشيوخ الشابية (خصوصاً المتصوفين منهم والذين نزلوا سوف وأسسوا فيها بعض المساجد ونهوا فيها عن المنكر تحت غطاء هداية الناس الذين وجدوهم ضعاف الإيمان رقاق الدين) فنحن لا نكاد نجد تفسيراً لعلاقة العدواني بالشيخ البكري بالذات الذي يقول إن موطنه بلاد الشام[1]. وهذه الجولات الروحية حملت العدواني إلى سمرقند والشام والعراق والهند والحجاز وبورنو ومصر، الخ. ورغم شيوع فكرة الشرف عندئذ فإننا لا نجد العدواني ينتسب إلى هذه الفكرة ولا يذكر أنه ذهب أو تحدر من نسل شريف، أو أنه جاء من الغرب (فاس، الساقية الحمراء، الخ) كما كانوا يقولون.

وفي المخطوط ما يدل على أن الشيخ العدواني كان قادري الطريقة. فإلى جانب تردده على الشيخ البكري كان قد ذهب إلى بغداد لزيارة ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني والتبرك به. وقد تحدث عن الشيخ مصطفى البغدادي والشيخ النجار العراقي (؟) وأضرابهم. والمعروف أن القرن الحادي عشر كان عهد ازدهار للتصوف والدروشة والتخلف العقلي تبعاً للتخلف السياسي والعلمي للعالم الإسلامي، وفي كتابات العدواني ما يفيد الزهد في الدنيا ومتاعها مثل حديثه عن الأرزاق المقدرة لكل أحد، وحديثه عن فقره هو وفراغ بيته من حطام الدنيا، ومثل القصة التي رواها عن الشيخ أبي

---

(1) وقد بحثنا نحن عن (البكري) فوجدنا أن العدواني ربما يشير إلى مصطفى البكري الشامي الخلوتي المولود في دمشق سنة 1099 (1688) والمتوفى بمصر سنة 1162 (1749). وهذا يؤكد أن العدواني ربما عاش في القرن 12/18. كما يؤكد ميله إلى الخلوتية. انظر الأعلام للزركلي 7/239.

الحسن الشاذلي، وقصة الجوهرة التي حملها إلى زوجة شيخه البكري، ونحو ذلك من القصص التي تزهد في متاع الحياة الدنيا المادي. والحق أن القسم الأخير من الكتاب فيه الكثير من الحديث عن الكرامات والانتقالات الروحية للعدواني، مما جعل السيد فيرو يعزف عن ترجمة هذه الأمور، وجعلنا نحن نشك في أن جزءاً من هذا القسم قد أضيف من بعض النساخ إلى تاريخ العدواني، لأن روحه لا تنسجم تماماً مع روح بقية الكتاب.

عصر العدواني

فإذا افترضنا أن عصر العدواني هو القرن الحادث عشر الهجري (17م)، فإن أوضاع الجزائر وتونس في هذا العهد كانت تتميز بخصائص نذكرها باختصار فيما يلي:

1 ـ استتب الأمر للعثمانيين في كل من الجزائر وتونس وليبيا، وأصبحوا الحكام غير المنازعين في المنطقة، رغم استمرار الاضطرابات القبلية الداخلية سواء ضد العثمانيين أنفسهم كثورات الشابية التي روى العدواني منها الكثير، أو قبائل الحنانشة وأولاد سعيد وطرود وخمير، وصولة، وفطناسة الخ. وكثراً ما يشير العدواني إلى الوجود العثماني في الجزائر «دار الإمارة»، وقسنطينة وبسكرة الخ.

2 ـ تعاون الحكام العثمانيون في المنطقة مع بعضهم إذا تعرضوا إلى اضطرابات داخلية، كذلك الذي حدث عندما أنجدت طرابلس تونس ضد الشابي، ولكن الحروب كانت تقع أيضاً بين العثمانيين مثل ما حدث بين دايات الجزائر وبايات تونس سنة 1037 (انظر منشور الهداية).

3 ـ اشتدت الحروب البحرية (أو الجهادية) بين أساطيل الجزائر وتونس وليبيا ومراكش وبين أساطيل الدول الأروبية، ولا سيما الدويلات المجاورة مثل إسبانيا والبرتغال وجنوة وغيرها من الدويلات الإيطالية، وكذلك دولة بريطانيا وفرنسا وهولندا. ونحن لا نجد إلا إشارات غير دقيقة

للأحداث البحرية في تاريخ العدواني، مثل ذكره «النصارى» الذين نزلوا ببعض سواحل تونس، ومثل تنبؤ العدواني بعودة النصارى لحكم المسلمين (ص 296) أثناء حديث له مع جاسوس من النصارى في منطقة جبل مجور. ويظهر ذلك أيضاً في حديثه عن أحوال الأندلس عندئذ.

4 ـ يقف العدواني موقفاً معادياً للأتراك بصفة عامة. وهو يشير إليهم باسم (مراد)، ولا ندري هل يسميهم كذلك جهلاً بأسماء خير الدين وعلج علي وسنان ودرغوث، أو كان يعلم ذلك ويستعيض عنه بالرمز المذكور. ونحن نميل إلى الافتراض الثاني. ويوضح ذلك أنه رمز إلى أحدهم بحرفي الحاء والهاء، وهو يعني حمودة (؟). وقال إنه لو ذكره بالاسم الصريح لتعرض للانتقام.

5 ـ كشف العدواني في عدة مناسبات عن تعاون الأتراك مع الاعلاج ومع النصارى وذكر أن بعض النصارى كانوا يتجسون على المسلمين، وإن وثائق النصارى تتحدث عن عودتهم لحكم المسلمين، وقد ذكر عدة علامات وحوادث عن هذا التعاون المعلن والخفي.

6 ـ أشار العدواني إلى حوادث بعينها جرت في الجزائر في العهد العثماني بالذات مثل دخول الأتراك إلى قسنطينة وإلى بسكرة. ومثل حادثة قسنطينة سنة 975. وكذلك حوادث جرت بين الجزائر وتونس مثل وقعة السطارة، سنة 1037. كما ذكر حادثة جرت بتونس سنة 980 ـ 981 وذلك عند هروب الترك من النصارى من تونس إلى الحمامات بالوطن القبلي، وظلوا كذلك إلى أن وصلتهم النجدة من طرابلس (سنان باشا) والجزائر وتعاونوا على تحرير تونس من الإسبان[1].

ولكن العدواني لم يكن يؤرخ لعصر بعينه من العصور أو كان يكتب أحداث عصره في شكل مذكرات، بل كان يروي من الذاكرة الأحداث القريبة والبعيدة التي احتفظت بها ذاكرته التي تبدو قوية. ولذلك نجده يتحدث عن

(1) انظر (المؤنس) لابن أبي دينار، ص 178.

فترة الفتوحات الإسلامية ثم عن مجيء طرود إلى سوف ونواحيها بعد أن كانوا نازلين نواحي طرابلس، وهو يصف من كان قبل طرود في سوف مثل عدوان وزناتة، ثم عن حلول محمد المسعود الشابي بسوف، وجملة من أهل التصوف مثل أحمد بن عبد العزيز، وحسن عياد وغيرهما، وعن بعض قرى سوف ووادي ريغ والزيبان والجريد، وبعض القبائل مثل قرفة وأولاد نائل والأشراف الأدارسة، وبعض القصص مثل الجازية وذياب، وأهل سبأ، وأصل اليهود ودخول الصحابة لأفريقية، وقصة الهادف وبني مزروع مع حكام تونس، وحروب الشابية، وأصول مجموعة من القرى والمدن، وبعض الكرامات والخرافات. وقلما يذكر العدواني التواريخ، ولذلك يصعب تحديد الزمن الذي يتحدث عنه إلا بالقرائن الأخرى. ومهما كان الأمر فإن تاريخ العدواني يحتوي على معلومات تمتد من عصر الفتوحات الإسلامية إلى القرن الحادي عشر الهجري.

وقد كنت درست عصر عبد الكريم الفكون القسنطيني ونشرت كتابه (منشور الهداية). والفكون عاش أيضاً في القرن الحادث عشر الهجري (توفي 1073) وكانت قسنطينة في عهده تعيش، كما وصفها، في حالة تعسة تشبه الحالة التي كانت عليها المنطقة التي يصفها العدواني. ولكن الفرق بينهما أن الفكون كان من أهل المدن «حضرياً» كما يقول العدواني، أما هذا(العدواني) فقد كان من أهل الواحات يعيش حياة قبلية مليئة بالتقلبات والجفاء، وأنه كان على أطراف الدنيا السياسية تتنازع قومه أهواء بايات تونس وحكام الجريد من جهة، وأهواء باشوات الجزائر وحكام قسنطينة من جهة أخرى.

أما الموقف من التصوف فقد كان العدواني من ذلك الصنف الذي وصفه الفكون بأنه ادعى العلم والولاية. ولكن العدواني، مع ذلك، لم يرتبط بصاحب سلطان ولم يستغل العامة للاستيلاء على أموالها، بل إن كتابه يعلمنا الزهد الحقيقي وفيه إشادة بالعلماء والصلحاء.

وهكذا فعصر العدواني عصر تخلف عام في السياسة والاقتصاد

والاجتماع والعلم. وإذا كانت بعض المدن الساحلية قد تمتعت بغنائم الحرب والجهاد البحري فإن داخل البلاد كان يعيش حياة الفقر والإهمال، متروكاً للحياة القبلية وظلم الحكام والخرافة والجهل. ولذلك كثرت الحروب الداخلية التي أفاض في الحديث عنها العدواني، ولا شك أن كتباً مثل (المؤنس) و (منشور الهداية) تحتوي منها على عينات كثيرة.

عملنا في المخطوط

قرأنا مخطوط تاريخ العدواني أكثر من مرة، متفحصين ودارسين، وحدنا ومع غيرنا. وقد كانت مقابلة النسخ مع زوجتي والقراءة المتسائلة عن بعض الألفاظ والمعاني مع الشيخ محمد الطاهر التليلي من أبرز أوجه العمل الجماعي، أما فردياً فلا أكاد أحصي عدد المرات التي خلوت فيها لقراءة نص هذا المخطوط.

وحين عزمت على تحقيقه قمت بعمل أولي قبل تسليمه للرقن، ويتمثل في تقسيم النص إلى فقرات، في كل فقرة فكرة أو خبر أو حادثة الخ... وقمت أيضاً بوضع النقط والفواصل، وبتقسيم آخر للمخطوط وهو اختيار عناوين مناسبة لكل فكرة يعالجها المخطوط. وقد كان قبل ذلك نصاً واحداً متصلاً بدون فواصل ولا عناوين ولا فقرات. كما قمت بوضع التعاليق التي عنّت لي أثناء المطالعة والدراسة، ولكن بقيت بعض التعاليق معلقة لأنها تحتاج إلى الرجوع إلى المراجع للوصول إلى معانيها، ولذلك لجأت إلى وضع قوائم من الألفاظ والأعلام والمصطلحات التي تحتاج إلى بيان، لكي أبحث عنها في مظانها ثم أدرجها. وقد اقتضى منا ذلك الرجوع إلى عدد من الخرائط ومن كتب التاريخ والجغرافية والتراجم والمساءلة الشفوية من الأفراد الذين لهم خبرة وذاكرة.

وما يلاحظه القارىء هو أن المخطوط مكتوب بأسلوب يكاد يكون عامياً أو هو أقرب إلى العامية منه إلى الفصيح. ولذلك ننصح أن يقرأ القارىء أغلبه كما يقرأ نصاً دارجاً. فالإعراب واتّباع القواعد النحوية يكاد

يختفي من لغة النص. والرسم الإملائي لا قاعدة له. فلغة أكلوني البراغيث هي القاعدة السائدة، وحرف الجر لا يكاد يجر، فهو تارة يرفع وتارة ينصب، (مثل: من العشرون، إلى يهودياً)، واسم كان وخبرها واسم إن وخبرها لا تخضع لقواعد الإعراب هنا. وأحياناً تنوب الضمة عن الواو والنون (مثل: يفعلُ = يفعلون)، وكذلك أدوات الجزم والنصب لا تعمل هنا عملها بإتقان.

وبناءً على النطق المحلي فإن القاف يقلب غيناً والغين قافاً أحياناً، مثل زغلوم وزقلوم، والسين والصاد، مثل فرس وفرص. والضمائر لا قاعدة لها هنا، فنون النسوة للغائبات تختفي ليحل محلها ضمير الجمع المذكر الغائب. وسترى في الجدول بعض الأمثلة.

وقد كان علينا أن نقرر حيال هذا النص، إما أن نتركه على ما هو عليه حفظاً للأمانة والتنبيه العام على ما فيه والطريقة التي يجب أن يقرأ بها، وإما أن نلجأ إلى إعرابه كله فنعيد صياغته بطريقة كلية أو جزئية. وفي هذه الحالة سنمس نصاً لا حق لنا أن نتدخل فيه من الوجهة التاريخية والعلمية. وحفظاً للأمانة تركنا النص على ما هو عليه وقمنا بالتنبيه العام في أول عملنا ليعرف القارىء أي نص يقرأ. وإذا رأينا أن المعنى سيتوقف على تدخلنا تدخلنا وأشرنا إلى ذلك بأسفل الصفحة. وهذه طريقة ليست سهلة.

ويبدو لنا أن العدواني كتب أو أملى كتابه بالأسلوب العامي أو القريب منه، ولكنه عامي متفصح إذا صح التعبير. ثم أخذ النساخ ينسخون من النسخة الأصلية، وكلما كثرت النسخ كثرت الأخطاء لجهل النساخ بالقواعد الإملائية والنحوية. والظاهر أن نسختنا (أ) كانت تكتب بطريق السماع لا العين، لأن بعض الأخطاء هي أخطاء سماعية، وهي ليست مطردة، بل نفس الكلمة أو التعبير نجده تارة على شكل وتارة على شكل آخر، رغم أن الناسخ في أغلب الظن واحد والخط واحد. وقد كان علينا أن نشير إلى كل ذلك في مكانه.

وقد استخرجنا ما يمكن أن نسميه بلغة العدواني، لغة القرن العاشر

والحادي عشر الهجريين في الواحات البعيدة عن التأثر الخارجي سواء كان التأثير عثمانياً أو إفرنجياً، بل إن تأثير اللهجات البربرية لا يكاد يظهر إلا في بعض الأعلام. ولذلك فإن لغة العدواني هي لغة بني هلال وبني سليم الباقية على صفائها و «بداوتها» رغم البعد عن منابتها وتقادم العهد بها. ويتبين من ذلك أنها لغة حبلى بالمعاني والدلالات والرموز. وإليك بعض النماذج مما فيه القلب والدلالات الخاصة، مع ذكر معانيها الآن:

التعبير	المعنى
اللهم بارك	حسنا، وهو كذلك
على رؤوسكم، على رأسك	على رسلك، انتظر، مهلاً
الميعاد من الخيل	التجمع، الكوكبة
فلما أصبح الله بخير الصباح	وفي الصباح . . .
فتم أمرهم على ذلك	اتفقوا
بالحق؟	معك حق، حقيقة (وفي الاستفهام بمعنى هل ذلك صحيح؟)
نَشُّوا الغارة	شنّوا الغارة، هجموا
يفصح عن الشيء	يبحث عنه، يفحص . . .
يلوّج	يفتش
يا شيخ البركة	أيها الرجل الصالح
منافق (القاف معقودة)	ثائر، متمرد
الغوط	المنخفض الخصب من الأرض (مغرس النخيل)
الخاطر	شخص ـ الناس
لوغة	لغة
مقياس	سوار

التعبير	المعنى
القرابص	السروج
نصرة، نَصْرَى	نصارى
تَشَمْتَع وجهه	تهللت أساريره
من غير زبن	بدون عنف
أخذوهم على أطراف السنان	مباغتة، قتلوهم عن آخرهم
ازرب	اسرع
وإلاّ خُذُوا على أنفسكم	احذروا، لا تلوموا إلا أنفسكم
الهيشة	مجمع الشجر في منخفض من الأرض
أين من القبائل؟	من أي القبائل؟
صاحب أخبار	حافظ للتاريخ، راوية أخبار
إلى هلم جرا	إلى آخره
أرض الغرض، أهل الغرض	أرض المنازعات، أهل الفوضى
قِلّة الصواب	سوء التدبير
فرجعنا عليهم بعد جذاذها إلى رطبها	من قطع النخيل إلى غلته (من غلة إلى أخرى)
بِوَفِيّة الغرض	المقصود بالذات
بحرام جوادي وقطع ذراعي	أقسم بحرمة جوادي وقطع ذراعي
(أنت) رجل كبير كي نعثر في دمك	لا أريد أن أتورط في قتلك لكبر سنك
عرض له، عرضوه	لقيه، لقوه
فطار عليه في خاطره	خطر بباله
فكّوا له جميع ما عنده	سلبوه
رافدين	حاملين
يتريّض	يتنزه

أمثال:

- الزاب للطعام، والجريد للتمر، ووادي ريغ للصوف.
- خارج الوطن (الغريب) ملهوف.
- العاقل من أدرك خبر غيره.
- لا تجتمع الحرمة وتمام النعمة.
- سوف مانعة الهارب.
- الفقر بهلول العقلاء.
- كل بقعة لنا فيها نصيب وفصيل.
- النخيل والبنيان معدن الذل.
- إن الذل هوان.
- المال قاطع الرقاب ويقرب الأبعاد.

وفي التعاليق نبهنا على معاني هذه الألفاظ والعبارات في مكانها من النص. وقد وجدنا كلمات ترسم على الشكل المتداول الآن وأحياناً بشكل آخر، فكتبناها موحدة برسم اليوم، مثل: الرواة ـ الروات/ هدايا ـ هداي/ ثقة ـ ثيقة/ فرس ـ فرص، ونحوها.

وفي الجدول الآتي نماذج من الرسم الذي كان شائعاً في المخطوطات بأسرها (عدا تلك التي فَصَّحتْ النص، كما أشرنا). ونلاحظ أن كثيراً من الكلمات تتبع في رسمها السماع مثل: أتا بدل أتى، وغدى بدل غدا، قلّت (بتشديد اللام من القلة ضد الكثرة) بدل قلة:

ـ بقا ـ بقي (بقت)	ـ ذكروا الناس (تكاد تكون هي لغة المخطوط)
ـ أتا ـ أتى	ـ دخلا (بالمثنى، وهي للمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، أو يستعمل الجمع وهو يعني المثنى، الخ)

- غدى ـ غدا (من الغدوّ)
- إلاَّ، مكان إلى (إلاّ أن تقوم الساعة، إلا أن أدرك. . .)
- رعا ـ رعى
- سيد بدل سيدي (أغلب الأحيان)
- شتّا ـ شتى
- سار بدل صار (فلما رأى ما سار به)
- نشا ـ شنّ
- لا ضابط لاستعمال الظاء مكان الضاد والعكس
- القتلا ـ القتلى
- هنيئة بدل هنيهة
- فرص بدل فرس
- لا ضابط لتوافق العدد عند التميز
- لا ضابط في استعمال ضمائر المذكر والمؤنث الغائبة والمخاطبة في الجموع ونحوها (مثلاً أنت التي للمخاطب المذكر).
- نفعل مكان افعل كذا.
- لا ضابط لأسماء الموصول في المذكر والمؤنث والجمع، مثلاً التي، الذي.
- الاتي بدل التي، واللتي بدل الذي والذين.
- لا إنه (للتعليل) بدل لأنه.
- لا ضابط في الجوازم والنواصب، مثلاً (لم) لا يحذف معها حرف العلة الخ.
- لا كذا بدل لكذا (للتوكيد).
- اقسمطينة، اقسمطين، اقسنطينة.
- لا ضابط في استعمال اسم الإشارة في مخاطبة المذكر والمؤنث.
- يشيخ ـ بدل يا شيخ.
- ما دمت على طاعة الله = ما دمتم. . .
- كثيراً ما تنوب حركة الكسرة عن الياء وحركة الضمة عن الواو (مثلاً احتاجُ، بضم الحرف الأخير في صيغة الخبر الماضي بمعنى احتاجوا).
- الأوزعي بدل الأوزاعي، الجهاني بدل الجهني، أحمد بن عبد العزيز،

أحمد بن عزيز، أحمد بوعزيز للاسم الواحد.
- تَعَتُّ بدل تعنت، وقة بدل وقت.
- هَاهُ بدل ها هو.

فما كان من هذه يرجع إلى الرسم والإملاء، وحّدناه مع رسم وإملاء الاستعمال الحاضر، أما ما كان منه يرجع إلى اللغة أو النحو أو الصرف، فقد تركناه على حاله، مع التنبيه أحياناً في التعليق على ما لا يستقيم المعنى إلا بالتنبيه عليه، كالتقديم والتأخير وبعض التراكيب النحوية أو الصرفية المضطربة.

(+) (+) (+)

وبالإضافة إلى عملنا على هذا النحو في المخطوط، استعنا بعدة مصادر لفهم القسم الذي لم نجد له ما يقابله من النسخة (أ). من ذلك بعض الأوراق المبعثرة التي صورناها من الشيخ أحمد خراز نفسه، حوالي ست ورقات، عن نسخة أخرى ناقصة لا يعرف هو من أين وصلته، وتقاييد للشيخ قريرة الحبيب البهيمي صورناها، واستفدنا منها، وهي تتعلق بالخصوص بأخبار حدود سوف مستخرجة من تاريخ العدواني، وقد كان مهتماً بهذا الموضوع، كما قال لنا من كانوا يعرفونه[1]، كما استعنا بمقالة بالفرنسية كتبها جوستان بون (J. PONT)، عن قبيلة العمامرة القاطنة في خنشلة، وعن أصولهم وجيرانهم وتاريخ الناحية من الوجهة الشعبية. وفيها معلومات بالخصوص عن أولاد سيدي زرارة، وأولاد سيدي بوكحيل،

(1) عددها ست صفحات، مستخرجة من تاريخ العدواني مجلوبة من الرقيبة، مصنفها هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الغفار الهلالي ثم العدواني، وهي تبدأ هكذا «هذه أوراق مبعثرة من تاريخ العدواني على حدتها مجلوبة من الرقيبة، ذاكراً صاحبها فيها الحدود الترابية التي إلى سوف».

وأولاد سيدي النجاح، والحنانشة وأولاد سيدي موسى، وأولاد سيدي الطيب، وهي معلومات تكمل ما جاء في الصفحات التي ترجمناها عن فيرو.

ومن عملنا في هذا الكتاب أننا رأينا بعض العبارات أو الألفاظ غير مناسبة للذوق العام، ففضلنا الاستغناء عنها وتعويضها بنقاط بين قوسين هكذا (. . .) وقد استعملنا هذه الطريقة في مناسبتين فقط الأولى عند ذكر كلمة (الكلاب) والثانية عند وصف الرافضة. ونحن نعلم أن بعض العرب كانوا ينتسبون إلى قبيلة كلاب، وإن بعض العلماء كانوا كذلك ينتسبون إليها، مثل «الكلبي» أو الكلابي، بل كان منهم من يتسمى بالكليب بالتصغير. ومن الجدير بالذكر أن ترجمة فيرو لتاريخ العدواني أبقت على كلمة (الكلاب) كما هي على أساس أنها جزء من الاسم، ففي الترجمة ترد الكلمة هكذا (klab) وليس (chiens). وقد كنا نحن بين الإبقاء على الكلمة وحذفها ثم تصرفنا معها كما ذكرنا.

أما العبارة التي حذفناها بخصوص الرافضة (الخوارج)، فقد كانت نشازاً حقاً. ونحن نعلم أن الرافضة كانوا يقطنون الجريد وسوف وأن المد السنّي قد جعلهم ينتقلون إلى بني ميزاب وغيرها، فعاطفة راوي العدواني إذن ضد الخوارج. وحينما سئل عن الرافضة لم يجب على السؤال إجابة فقهية ولا حتى سياسية تعرّفهم للسائل، ولكنه أجاب إجابة تمثل وجهة نظر خاصة، فعبر بعبارة خارجة عن الموضوع.

والواقع أن عبارات العدواني لا تدل على عداء جماعي لطرود، بل إنه كان يعطي أخباره لأحد رواتهم وهو صفوان. إذا ذكر حروبهم نعتهم بالفروسية قائلاً «صَبَروا لنا صبراً عظيماً أو «صبر الكرام» (28). وذكر على لسان أحد الشيوخ مخاطباً رجلين من طرود: «عندنا في التاريخ أن هذا الوقت (هو) خروج طرود، وسيملكون هذه الأرض» (18). وقال العدواني عنهم «كان لطرود سطوة عظيمة، وهكذا حالهم». (15).

وصف النسخ المعتمدة

اطلعنا على عدد من النسخ بلغ أكثر من عشر. ووجدناها جميعاً متشابهة في البداية وفي النهاية، وفي الأسلوب، وفي التواريخ، إذ كلها حديثة العهد تقريباً لا يتجاوز أقدمها المائة سنة. غير أنها تختلف من بعض الوجوه، مثل وجود الناسخ أو عدمه، وجود تاريخ الناسخ أو غيابه، جمال الخط أو رداءته، تقديم بعض الأخبار أو تأخيرها، التصرف في الرسم الإملائي بالتصحيح والإعراب أو ترك الرسم على ما هو عليه عامياً كان أو فصيحاً. ولاعتبارات عديدة مما ذكرنا وقع اختيارنا في البداية على نسخة الأستاذ محمود بو عياد (تلمسان) لتكون هي الأولى مع العمل على تصحيحها وتحقيقها بما جاء في النسخ الأخرى. وبعد أن قرأناها عدة مرات واستوعبنا مادتها، قدمناها للرقن، ثم أخذنا في العمل عليها بالمقابلة والتبويب وتفصيل الفقرات ونحو ذلك، وبينما نحن كذلك إذ جاءنا الأستاذ محمد الطاهر العدواني بنسخة مصورة عن نسخة الشيخ أحمد خراز الموثق بالوادي، فإذا هي نسخة تختلف من عدة وجوه عما كان بين أيدينا وما اطلعنا عليه من قبل.

وبعد قراءة نسخة الشيخ خراز ومقابلتها بما عندنا (وخصوصاً نسخة فيرو المترجمة إلى الفرنسية والتي كانت تعتبر أكمل النسخ) اتضح لنا أنها أوفى النسخ وأكملها وأفضلها خطاً، وإن كانت لا تخلو من أخطاء الرسم الذي يرجع إلى النساخ أو إلى الناسخ الأول الذي اتبعه الآخرون. فقررنا اتخاذ نسخة خراز هي الأولى ورمزنا إليها بحرف (أ).

1 ـ نسخة الشيخ خراز (أ):

تبلغ هذه النسخة 166 صفحة بينما تبلغ بقية النسخ معدل المائة صفحة، وهي مبتورة الآخر. ولكنها تحمل عبارات ختامية على صفحة 177، أي أن هناك حوالي عشر صفحات (166 ـ 177) تركت بيضاء لاستكمال النقص الذي لم يُكْمَل[1]. وخطها على العموم جيد، وهي في الغالب من نسخ الشيخ محمد بن محمد الشريف المصعبي، من أهل وادي سوف، توفي في 15شوال سنة 1345هـ (1926) وكان هذا الشيخ قاضياً في مدينة الوادي. واسم هذا الناسخ غير موجود على النسخة، ولكن بمقارنة خطه الموجود على أوراق أخرى تحمل اسمه (عند الشيخ خراز نفسه) لاحظنا تطابق الخط. ولذلك قلنا إنه يغلب على الظن أن النسخة (أ) من نسخ الشيخ محمد بن محمد الشريف المذكور. وليس هناك ما يدل على وقت نسخها، كما ذكرنا.

وفي هذه النسخة أربع صفحات مكتوبة بخط الشيخ أحمد خراز نفسه كما صرح لنا بذلك، وهي من صفحة 41 إلى 44 من المخطوط. ويقول الشيخ خراز إنه وجد تلك الصفحات بيضاء، وإن النسخة قد انتقلت ربما من مكتبة الشيخ إبراهيم العوامر، مؤلف كتاب (الصروف). ذلك أن الشيخ خراز قد اشترى جزءاً من المكتبة المذكورة عن طريق أخ للشيخ العوامر هاجر إلى الحجاز سنة 1954. ومهما كان الأمر فقد لاحظنا على نسخة خراز ملكيته لها بوضع خاتم من المطاط يحمل اسمه. وهناك اختلاف واضح في خط النسخة، بالإضافة إلى ما ذكرنا، ابتداء من صفحة 113.

وقد حرصنا على أن لا نكتفي بالنسخة المصورة من (أ) فذهبنا بها إلى الشيخ خراز وطلبنا منه الاطلاع على الأصل المصور عنه. وعند اطلاعنا وجدنا التصوير متطابقاً مع الأصل، كما وجدنا العبارات الانتقالية وبعض

(1) يكاد الناقص أن يكون هو نفسه الزائد الذي وجدناه في نسخة فيرو، والذي ترجمناه وأضفناه في نهاية التحقيق.

العناوين مكتوبة في الأصل باللون الأحمر.

وعندما سألنا الشيخ خراز لماذا احتوت نسخته على زيادات في آخرها لا توجد في غيرها (عدا نسخة فيرو ونسخة تونس الثانية كما سنرى)، قال لنا: إنه سمع أن نسخة «كاملة» من تاريخ العدواني كانت موجودة في المكتب العربي (بيرو عرب) أو المركز الإداري الفرنسي في الوادي، وأن القاضي الشيخ مسعود العمراني كان يقرأ منها وأنه لاحظ أنها تحتوي على معلومات غير متوفرة في النسخة التي عنده (أي خراز).

إن النسخ الكثيرة التي اطلعنا عليها كلها تنتهي (عدا ما نستثنيه) بعبارة الشابي للهادف: فكن منذراً... أما نسخة خراز فلا تتوقف عند هذه العبارة بل تتابع القصة (قصة الهادف والشابي وغيرها)، وتقدم معلومات هامة أخرى تشكل حوالي ثلث الكتاب. وهي معلومات تتكامل مع نسخة تونس الثانية، ومع نسخة فيرو المترجمة. وقد عمدنا إلى مقابلة (أ) بالنسخ (ب) و (ج)، كما قابلناها على نسخة فيرو (ف) ولا سيما في القسم الذي توقفت فيه النسخ الأخرى عند عبارة «فكن منذراً والسلام». كما أن نسخة تونس (2) قدمت لنا مساعدة في هذا الشأن إذ وجدنا فيها ست عشرة صفحة زيادة على النسخ الأخرى.

وهكذا تكون النسخة (أ) ـ نسخة حراز ـ أكمل النسخ حتى الآن، بما في ذلك نسخة فيرو، لأن هذه، رغم امتداد معلوماتها إلى أبعد من عبارة «فكن منذراً والسلام» فإنها مترجمة وليست أصلية، وإن المترجم كان يتصرف ـ كما سنرى ـ في النص بحرية، وإنه كان يترك صفحات كاملة بدون ترجمة، سيما ما يتعلق بالكرامات والأمور الدينية. ومقاسها 21 سطراً، 12 في 16.

2 ـ نسخة تلمسان (بو عياد) ورمزها (ب):

نسخة مجلدة. مكتوبة بخط واضح، مقاسها 12 في 17، وعدد سطور الصفحة 15 سطراً. ناسخها غير مذكور، وهي تبدأ بعد البسملة بعبارة «هذا كتاب محمد بن محمد بن عمر القسنطيني المسمى بالشيخ العدوان (كذا) في

التواريخ، قال أهل التاريخ في كتبهم . . . وتنتهي بعبارة: وهاه عهد بيني وبينك، لأن الزمان طويل، فكن على حذر، والسلام.

وتاريخ نسخها هو 14 ربيع الثاني سنة 1324.

وفي النص عبارات ملونة بالأزرق والأحمر عند الانتقال والعناوين. وقد ذكرنا أننا كنا اتخذنا هذه النسخة هي الأولى وقمنا برقنها، ثم عدلنا عن ذلك بعد اكتشافنا لنسخة خراز (أ).

3 ـ نسخة تونس (1) ورمزها (ج):

في المكتبة الوطنية بتونس نسخة من تاريخ العدواني تحمل رقم 4618، طلبنا تصويرها على الشريط، فصورت لنا ثم استخرجناها صوراً، وقابلنا بها نسخة خراز في الجزء المشترك بينهما. وهي على العموم جيدة الخط وإن كان خطاً معلقاً، وهي بمقاس 8 في 11 (في الصورة) وعدد سطور كل صفحة 16. وتبلغ أوراقها 78 ورقة، وناسخها غير مذكور وتاريخ النسخ يرجع إلى 22 رجب سنة 1314.

وهي تبدأ بالعبارات الآتية بعد البسلمة: هذا كتاب محمد بن محمد بن عمر القسطيلي من عمالة الجريد المسمى العدواني في التاريخ من عدوان، رحمه الله، قال أهل التاريخ في كتبهم. وتنتهي بهذه العبارات: هذا ما عندي أعلمتك به وقد أعذر من أنذر، وهاه عهد بيني وبينك، لأن الزمان طويل واستحناجه فكن منذر، والسلام.

4 ـ نسخة تونس (2) ورمزها (ج 2):

بعد أن تقدمنا في عملنا اكتشفنا نسخة ثانية من تاريخ العدواني في المكتبة الوطنية بتونس، وهي تحمل رقم 4794 ضمن مجموع. وبعد مقابلتها بما نعرف لاحظنا أن بدايتها لا تختلف عن النسخ الأخرى، أما نهايتها فمختلفة، وهي رغم اختلافها مبتورة، إذ ليس فيها العبارات الختامية من تاريخ النسخ واسم الناسخ، كما أنها تحتوي على زيادة صفحات بلغت حوالي ست عشرة صفحة. فبعد عبارة فكان منذراً، والسلام، وجدنا العبارة

التالية: «زوجة علي بن الهادف توفت وكان لها من العمر اثنان وستون سنة. . .» وذلك على ورقة 88 من المجموع، وتستمر الزيادة إلى ورقة 96 منه، أي 16 صفحة. وفي نهاية ورقة 96 وجدنا هذا النص: ففرحوا به فرحاً شديداً، وذهب عنهم ما هم فيه من الجوع والفقر، انظر العجائب والغرائب، فافهم يا مسكين واعقل قول العقلاء، لأن الأرزاق تأتي إلى أصحابها». إلى هنا انتهت نسخة تونس (2)، وهو بتر واضح، لخلو الصفحة من أي عبارة ختامية، ولأن صفحة 96 لا تحتوي إلا على سبعة أسطر وبقي باقيها أبيض.

في هوامش نسخة تونس (2) تعاليق عديدة لإبراز محتوى الكتاب، مثل: قف على كذا، . . . والكتابة عادية فيها. ويكاد رسمها يكون صحيحاً، أي خالف ناسخها ما سار عليه النساخ الآخرون من نقل الأخطاء كما هي. . ولكن هذا لا يعني خلو نسخة تونس (2) من الأخطاء. ونود أن نلاحظ أننا كنا في زيارة سريعة لتونس واكتشفنا هذه النسخة صدفة، فكان حرصنا لا على النسخة كلها ولكن على الصفحات الزائدة فيها، ولذلك لم نهتم بجزئها الأول ولكن بالصفحات الأخيرة، وقد طلبنا تصوير هذه الصفحات من مدير المكتبة الأستاذ إبراهيم شبوح فوافق مشكوراً، وزاد فنبهنا إلى اسم سوف وإلى تاريخ بني عدوان في الأدب العربي.

5 ـ نسخة فيرو ورمزها (ف):

نسخة فيرو نعني بها الترجمة التي قام بها لتاريخ العدواني ونشرها في مجلة (روكاي) التي كانت تصدر بقسنطينة سنة 1867، عدد 12 صفحات 1 ـ 175 + 176 ـ 208. وهي تعتبر من أوفى وأكمل النسخ بعد نسخة خراز وبفضلها استطعنا أن نجري مقابلة بينها وبين نسخة خراز في كامل النص، ولا سيما القسم الأخير حين توقفت كل النسخ الأخرى عن إمدادنا بالمعلومات.

يذكر فيرو أن النسخة التي ترجمها من تاريخ العدواني ترجع إلى السيد علي باي بن فرحات، حاكم تقرت باسم الفرنسيين. ولاحظ فيرو أن النسخة، رغم طولها بالنسبة للنسخ الأخرى، ما هي إلا «مختصر» من مجلد ضخم،

وكان فيرو قد كتب المقدمة لترجمته في 12 نوفمبر 1867. وجاء في آخر الترجمة أن الناسخ هو إبراهيم بن محمد التاغزوتي، ولكن دون ذكر تاريخ النسخ. ومهما كان الأمر فإن هذه النسخة تعتبر من أقدم النسخ عهداً. والنص المترجم بلغ عند فيرو حوالي 150 صفحة (من صفحة 25 إلى صفحة 175 في المجلة المذكورة). ولم يصف فيرو النسخة التي ترجم عليها، مقاسها وعدد صفحاتها ولون حبرها وخطها.

ولكن فيرو اعترف بأنه لم يكن الأول الذي اطلع على تاريخ العدواني وعرف أهميته. فقد ذكر أن أدريان بيربروجر، أحد الجواسيس الفرنسيين الذين نزلوا سوف قبل احتلالها، كان قادماً من جولة في القطر التونسي سنة 1850، فدخل سوف (قبل احتلال فرنسا لها) عن طريق نفطة، وكان على ظهر حصان، وقد كتب بيربروجر أنه حصل من أحد شيوخ طرود بكوينين على نسخة من تاريخ العدواني بتاريخ 28 نوفمبر 1850. وعلق على ذلك بأنه مخطوط يتحدث عن تاريخ المنطقة وهو مؤلف من الذاكرة من وحي قراءة لتاريخ العدواني، (أي أن التاريخ الحقيقي للعدواني مفقود، والموجود منه مجرد ذكريات مختصرة، كما أشار فيرو بناء على نسخة الباي المذكور).

بقي أن نقول أن في نسخة فيرو صفحات زائدة وأخرى ناقصة عن نسخة خراز، التي رمزنا إليها بحرف (أ). أما الصفحات الزائدة فقد ترجمناها وأضفناها في مكانها من (أ) لكي تتم بها الفائدة ولكي تكون (أ) التي اعتمدناها كاملة بقدر الإمكان، أي بقدر ما توفر لدينا من معلومات في الموضوع. والصفحات المترجمة الزائدة تقع من صفحة 155 إلى صفحة 162 من المجلة المذكورة. وقد نبهنا على ذلك في مكانه. وأما الصفحات الناقصة من فيرو فهي كثيرة، مثلاً، ص 125 ـ 140 من الأصل (أ)، وهناك ما يختصره اختصاراً. كما أن هناك بعض الفقرات التي لم يترجمها فيرو ولا سيما تلك التي تتعلق بالرحلات الخيالية والشطحات الصوفية التي يأتي بها العدواني. وقد نبهنا على ذلك في مكانه أيضاً. بقي أن نقول إن نسخة (ف) تحتوي على إضافتين: الإضافة الأولى هي التعاليق التي أوردها المترجم،

وقد أشرنا نحن إلى بعضها واستفدنا منه. وتركنا الباقي خصوصاً في الأمور المعروفة لنا كأهل لهذه المنطقة، أو التي كان فيرو يحاول من خلالها أن يمرر رسالته الاستعمارية على طريقة مترجمي ذلك الوقت. فقد كان فيرو وأمثاله يتخذون من التقاليد والروايات الشعبية ذريعة لإثارة الفتن بين الناس ونبش الخلافات.

أما الإضافة الثانية من ترجمة فيرو فهي الملاحق الهامة ، إذ خصص بعض الصفحات في آخر عمله ، تحدث فيها عن تاريخ وجغرافية الزيبان وسوف وورقلة الخ، كل على حدة. وهي ملاحق وإن كانت في حد ذاتها لا تضيف جديداً إذ استقاها هو من كتب الرحالة والتقاليد الشعبية، فإنها ذات صلة وثيقة بالأماكن التي تناولها العدواني، ومن ثمة أهميتها.

وقد اعتمد فيرو في إضافاته، سواء في ملاحقه أو في تعاليقه، على مصادر عربية وأخرى أجنبية، منها ابن خلدون والعياشي والقيرواني، ومنها ديبوك Dubocg وشارل مارتن Ch. Martin، وبيربروجر، وتقارير القواد الفرنسيين في إقليم قسنطينة. بالإضافة إلى اعتماد فيرو على الروايات الشعبية ـ الشفاهية والمكتوبة.

6 ـ نسخة الشيخ حبة:

نسخة الشيخ عبد المجيد بن حبة، بعث بها إلي عن طريق الأستاذ أحمد بن السائح من بسكرة، وهي نسخة مبتورة الأول قليلاً إذ تبدأ بعبارة «فارس والقبط، وأما أهل إفريقية فهم يهود (حلفاء) بني هاشم الخ». وفي النسخة تآكل في أطراف الأوراق، وهي تنتهي بالعبارة التالية، مثل معظم النسخ: «وقد أعذر من أنذر، وهاه عهدي بيني وبينك، لأن الزمان طويل، فكن على حذر، والسلام».

نسخت هذه النسخة سنة 1329هـ. واسم الناسخ غير مذكور، خطها مقروء بسهولة، وناسخها متعلم، وفيها انتقالات بالأحمر، وعدد سطورها

20 سطراً للصفحة، مقاسها 12 في 19,8. وقد استفدنا منها في بعض الأحيان للمقابلة ونحوها.

7 ـ نسخة الشيخ التليلي:

نسخة الشيخ محمد الطاهر التليلي القماري، في كراسة متوسطة، بخط الشيخ نفسه، وهو الآن على قيد الحياة (من مواليد سنة 1910). وهي تبدأ بعد البسملة «هذا كتاب السيد محمد بن محمد بن عمر القسنطيني المعروف بالعدواني في التاريخ، قال أهل التاريخ في كتبهم الخ». وتنتهي بهذه العبارات «وقد أعذر من أنذر، وهاه عهد بيني وبينك لأن الزمان طويل، وستحتاج، وكن على حذر، والسلام».

نسخ الشيخ التليلي هذه النسخة عن نسخة الشيخ أحمد بن أبي الضياف التاغزوتي السوفي، يوم 8 مارس 1973. وقد أضاف إليها الشيخ التليلي قائمة بالأعلام الواردة في النص. ونلاحظ أن هذه النسخة هي الوحيدة تقريباً التي وجدناها «مفَصَّحة» أي حولت النص من الدارجة إلى الفصحى بتصحيح الإملاء والنحو والإعراب ونحو ذلك ، مع المحافظة على سير الأحداث وترتيبها، وهي في مقاس الكراس 16 في 13. وفي هذه النسخة نقص كثير في أماكن متعددة يشير إليه الشيخ بالأحمر. وقد استفدنا منها أيضاً.

8 ـ نسخة السيد حنيش:

نسخة السيد الحبيب حنيش (الوادي) ترجع إلى سنة 1901، يبدو أن ناسخها أمي بحيث جاءت مليئة بأخطاء إضافية غير الأخطاء الشائعة في النسخ الأخرى والتي تبدو أنها أخطاء منقولة. ومع ذلك فخط هذه النسخة جيد، ولا ذكر فيها للناسخ، وتقع في 87 صفحة. ونهايتها مثل معظم النسخ الناقصة وهي قول الهادف للشابي: هذا ما عندي أعلمتك به. . . لأن الزمان طويل، فكن على حذر، والسلام». وهي في 23 سطر للصفحة، حجم الكراس، في 17,5 في 12,7. ولم نسجل بدايتها.

9 ـ نسخة السيد هيمة:

نسخة الأستاذ سعيد هيمة، جاءني بها من مكتبة الشيخ قريرة الحبيب بن إبراهيم البهيمي. وهي تبدأ من صفحة 16، ضمن مخطوطة آخر، وتنتهي بصفحة 132 منه. وسطها نقص نبه عليه الناسخ (بياضات). وهي أيضاً مبتورة لأنها تنتهي عند عبارة قال الراوي: فلما رجع الرسول إلى توزر وقال له أي يوم عولوا على القدوم، فقال لهم غداً، فبعث جماعة» وهذا يوافق ص 106 من نسخة خراز (أ)، مع ملاحظة أن هذه النسخة مصاغة صياغة فصيحة مثل ما فعل الشيخ التليلي في نسخته. وناسخها هو قريره الحبيب بن إبراهيم البهيمي يوم 25 مارس 1950. وتقع في 23 سطراً للصفحة، بمقاس 17,5 في 10,1. ولم نستفد من هذه النسخة أيضاً عند المقابلات.

10 ـ نسخ أخرى:

بالإضافة إلى ذلك اطلعت على نسخ أخرى من تاريخ العدواني عند عدد من أهل سوف منهم الأستاذ عبد القادر عوادي (تاغزوت)، وهو يمتلك ثلاث نسخ أطلعني عليها جميعاً وبسرعة، وراسلني بتواريخها، وهي (1) 29 أغسطس 1944، و (2) سنة 1951، و (3) 28 أبريل 1977. وهي بخطوط مختلفة وأحجام الزمامات. وكنت أبحث فيها عن الإضافات فوجدت أنها جميعاً تنتهي بالعبارة التقليدية المشار إليها، عبارة الهادف إلى الشابي. وكان إطلاعي على هذه النسخ صيف 1989، أما المراسلة بيني وبين الأستاذ المذكور فكانت بتاريخ 16 ـ أكتوبر 1986.

كذلك اطلعت في صيف 1990 على ثلاث نسخ من تاريخ العدواني عند الشيخ مصباح السالمي، وقال لي إن إحداها وهي ترجع إلى سنة 1951 هي الأصل أما النسختان الأخريان فمنقولتان عنها. وكنت أيضاً أبحث عن الإضافة وليس عن النص المتداول. فوجدت ما عند الشيخ مصباح هو نفسه

الموجود في النسخ التقليدية الأخرى، أي عبارة الهادف إلى الشابي المذكورة.

وعندي نسخة مصورة عن نسخة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، ذات ورق طويل. وهي صعبة القراءة في وضعها الحالي لأن تصويرها سيء جداً بعد أن حال لون الحبر. وكذلك أخبرني السيد الحسين الزبيدي أن نسخة قديمة جداً كانت عند أهل الزقم (قائدها) فطلبتها الولاية العامة بالجزائر أيام الحكم الفرنسي عن طريق السلطات العسكرية بالوادي، فسلمت لها النسخة ولم ترجع. كما أخبروني أن نسخة من العدواني في المكتبة الوطنية بباريس، ولم أحاول الحصول عليها ولا معرفة حالتها[1].

وهذه هي الرموز التي اتخذناها وأشرنا إليها في التعاليق بالنسبة للنسخ التي قابلنا بها واستفدنا منها فائدة كبيرة أو صغيرة:

1 ـ (أ) نسخة خراز (الوادي).

2 ـ (ب) نسخة بوعياد (تلمسان).

3 ـ (ج) نسخة تونس (ج).

4 ـ نسخة تونس (ج 2).

5 ـ (ف) نسخة فيرو (مترجمة عن نسخة علي باي بن فرحات).

6 ـ نسخة حبة (بدون رمز).

7 ـ نسخة التليلي (بدون رمز).

8 ـ نسخة هيمة (بدون رمز).

---

(1) رجعت إلى فهارس (كاتالوغ) المخطوطات العربية المطبوعة لهذه المكتبة، مثل ديسلان، وفاجدا، فلم أجد فيها ذكر التاريخ العدواني.

محتويات الكتاب وقيمته

يذهب البعض، مثل الشيخ التليلي، إلى أن العدواني كان يقص تاريخه في «مجالس» أو أسمار على السامعين في شكل أخبار بعضها حقيقي وبعضها خرافي. والحقيقة أن الطريقة التي سلكها العدواني في كتابه تسير على نسق تغريبة بني هلال أو طريقة ألف ليلة وليلة، فيها السرد للأحداث المتنوعة، وفيها المفاجأة والغرابة، والانتقال السريع ولا يكاد يوجد ترابط بين أحداث العدواني، لا من حيث الزمان ولا المكان، ولا الأبطال. ويمكننا أن نقول أن هناك رابطاً خاصاً لأحداث هذا الكتاب وهو الصراع بين السلطة والخارجين عليها، بين المدينة والبادية، بين السياسيين والمرابطين.

فقد وجدنا عبارات تدل على أن العدواني كان يؤلف «كتاباً» له بداية وله نهاية، رغم أنه لم يقسمه إلى فصول وأبواب، كما نفعل نحن اليوم. ففي عدد من المرات كان يذكر أمراً ويقول أنه سيتحدث عنه في آخر الكتاب، أو يقول عندما وصل إلى مرحلة متقدمة من عمله أنه سبق أن ذكر كذا في الكتاب، كما فعل مع قصة العش ص 78 وفي صفحة 48 عن نزول مرداس سوف قال كما مرّ الخبر. ففي صفحة 89 من المخطوط وعد بأنه سيذكر فيما سيأتي قصة حروب الشابي مع صاحب تونس وإخراجه من إفريقية. وقال في صفحة 6 من المخطوط أنه سيذكر نزول طرود بقصور عدوان في آخر الكتاب. وفي صفحة 34 قال عن قصة وادي ريغ والشابي أنها ستأتي إن شاء الله. وفي ص 40 قال عن واقعة الشابي مع صاحب المعلقة بأنها تأتي «في آخر الكتاب». وفي ص 42 قال عن قصة النيل بأنها تأتي «في آخر

الكتاب». وعن قصة علي الشابي في وادي ريغ ص 73 قال إنها تأتي. وكذلك قصة العرج في ص 208.

وهناك ما يدل على أن العدواني كان يملي كتابه على غيره، وذلك في قوله للراوي صفوان الطرودي ذات مرة «أكتب لكي تكون على بصيرة لأن العاقل من أدرك خبر غيره». ص 226. وليس غريباً أن نجد هذا الأسلوب لأن كثيراً من أهل العلم والتصوف يملون معارفهم على مريديهم وتلاميذهم، وهؤلاء عادة يكونون على درجة بسيطة من العلم والمعرفة، ومن ثم تقع الأخطاء في الرسم والقواعد. وقد يكون العدواني عاجزاً أو أعمى عندما أملى أخباره وتاريخه في عدة دورات وجلسات. ولعل ذلك ما يفسر عدم وجود نسخة أصلية حتى الآن ينقل عليها النساخ ويتخذونها مرجعاً.

وفي تاريخ العدواني قصص ومغامرات وحروب ومعارك وفروسية. فبالإضافة إلى حروب طرود وقصة الجازية الهلالية والزناتي خليفة، هناك مغامرات الهادف والعش والمرزوعي والحناشي والصولي، وإضرابهم. وفي هذه القصص والمغامرات بعض السذاجة والاحتكام إلى الغرائز ولكنها تأتي في شكل مسرحيات شكسبيرية فيها الحبكة الجيدة والتآمر والقتل والهروب والحيل والغدر. إن تاريخ العدواني يمكن أن يقرأ من هذه الزاوية على أنه قطعة طريفة من الأدب الشعبي الذي يحتوي على الخيال والتنوع والمفاجأة والألفاظ المنغومة ذات الوقع السحري على النفس.

ويحتل التصوف والشرف جزءاً هاماً من هذا التاريخ. فهناك حديث عن «نقباء» سوف، وعن شخصيات دينية لعبت دوراً بارزاً في حياة السكان وهدايتهم بعد أن كانوا ضعاف الدين يهزأون برجال العلم والتصوف والدين، ولا يقيمون لهم وزناً، وكانت العامة تكاد تكون حسب العدواني، أقرب إلى الكفر منها إلى الإسلام، فقد كانوا لا يعرفون قواعد الإسلام، وكانوا يحلقون عانات بعضهم البعض، وكانوا يلعبون الشاة عراة بطريقة ينفر منها الدين والأخلاق (انظر وصفها). وهم يتحاربون كما لو كانت الحرب جزءاً من

حياتهم اليومية، بحثاً عن الحرية ضد المخزن (السلطة) والضرائب، وبحثاً أيضاً عن الكلاء والماء والرزق الصعب. ولذلك يقول الشيخ البكري للعدواني «الملك لله وللصالحين». ويقول له أيضاً إن وطن العدواني خال من القائمين بأحوال الرجال، وينصحه بالرجوع إلى الفقر والبعد عن الغنى، حتى أنه عندما عزم على زيارة شيخه البكري لم يكن عنده (العدواني) شيء يأخذه للزيارة سوى سوار زوجته وكان من العاج الأسود (الأبنوس).

وهناك شخصيات كثيرة تتصل بعالم التصوف مذكورة في تاريخ العدواني، منها الشيخ حسن عياد وعلي عزوز، وزكريا البكري وبوعلي السني، وعبد القادر الجيلاني، وأحمد بن عبد العزيز، الذي يسميه «رفيقي»، والشيخ البكري، وعباس الغريب، وغير هؤلاء كثير. كما تحدث عن مطاردة ابن عافية للأشراف، وتحدث عن الأدارسة والعلويين بعاطفة خاصة.

أما المرأة فقد حظيت في تاريخ العدواني بنصيب وافر. فقد تحدث عنها كعنصر صالح يصلح ذات البين كما فعلت زينب بنت تندلة، حين تدخلت وأوصت بالصلح بين عدوان وطرود وآخت بينهم. كما تحدث عن دور المرأة في الحروب القبلية، إذ كانت تقوم بالحراسة عند تعب الرجال، وكانت تحمس الرجال للحرب وتدفعهم إلى المزيد من البذل من أجل الشرف والعرض مع ذكر العار الذي يلحق بالأولاد والقبيلة إذا وقعت الهزيمة. وهناك قصة الجازية الهلالية والابكار اللائي كن في مرافقتها ودورها في الحب والحرب وأخلاقيات الفروسية. بالإضافة إلى العديد من الحالات الأخرى التي ذكرت فيها النسوة كزوجات، وأمهات، ومنهن زوجة الشيخ البكري وزوجة العدواني نفسه، وزوجة الهادف، ونساء أخريات.

وهناك موضوعات أطال فيها العدواني وتكررت رغم عدم انتظامها في مقام واحد. ومن ذلك أصول بعض المدن والأماكن وأوضاع حكام تونس والجزائر ودور المرابطين، ومغامرات بعض القادة وطلاب المجد من المتآمرين والانتهازيين. كما أن هناك قصصاً خرافية وغير خرافية مثل قصة

العمالقة، وياجوج وماجوج، وهاروت وماروت، وقصة سبأ، وأهل السبت، وأصل اليهود والنصارى، ونحوها. وقد أخذت العدواني المغامرات الصوفية الخيالية إلى سمرقند وبغداد والشام والبحر الأحمر وبورنو والهند ومكة المكرمة. ولذلك فإن قراءة تاريخ العدواني تجمع بين طرائف الحقائق ومغامرات الخيال. فأنت معه لا تعرف هل أنت تقرأ كتاباً في التاريخ والمعرفة أو كتاباً في علم الخيال ومتعة الأساطير.

والراوي لكل ذلك هو شخصية غريبة تختفي أحياناً تحت اسم (الراوي)، وأحياناً تحت اسم (صفوان). وتظهر أحياناً باسم صفوان العدواني (ص 258)، وأخرى باسم شيخ بني عدوان الذي لقيه صفوان ببسكرة في جامع الشيخ زكريا البكري وأخبره أنه فعلاً من عدوان وروى له أخبار سوف بالتفصيل، وأخرى باسم شيخ من بني تارق عاشر قبيلة زناتة حتى صار منهم، وكان يرعى شياهه إلى أن قال له صفوان نفسه: اترك ما عندك للسباع واتبعني، فذهبا معاً إلى الشيخ البكري ببلاد الشام. وهو شيخ من المؤكد أنه ليس من قبيلة عدوان بدليل قوله لصفوان: «أخاف من العدوان أن تقتلني»، ثم كشف الشيخ عن اسمه الحقيقي وهو عزاز بن سالم (ص 107) ومن ثمة اختلط على بعض الناس أنه هو العدواني نفسه. كما كشف صفوان عن اسمه الحقيقي (ص 107). وفي عدة مرات يظهر صفوان على أنه من طرود.

ويصف العدواني حياة البداوة وحياة الحضارة. فإذا تحدث عن طرود ودريد والهمامة والحنانشة وصولة وزناتة وغيرها تحدث عن البداوة التي لا تعرف الحدود، من حب للحرية والبحث عن المجال الحيوي للعيش والرعي، والفروسية والحروب والغزوات، والدفاع عن المرأة والشرف والأولاد، والبحث عن مكان بعيد عن السلطة والضرائب، والمضايقات. وقد جاء على لسان طرود للشابي وهم يَزِنون مصالحهم بينه وبين أمير تونسي: «نحن لا منك ولا منه وإنما نحن أصحاب دراهم ودنانير، ما تعطينا وإلا نرجعوا عليك إلى صاحب إفريقية، نحن الذين قهرناه عليك» ص 139.

كما وصف العدواني بلاطات باي قسنطينة وباي تونس، وتحدث عن رخاوة أهل الحضر ووصفهم بأنهم الآكلون للهندي والدجاج، وأنهم جبناء في الحروب، وحين تحدث عن العش وصفه «بالحضري» الذي لا يألف إلا المهاد اللين لأنه جاء من نواحي القيروان، كما وصف بني مزروع بالحضر لأن أصلهم في رأيه من الأعلاج.

ويكاد العدواني يتهم الأتراك بالتبعية للنصارى. وهو يرمز إليهم باسم مراد، ولا يسمى منهم أميراً أو حاكماً بعينه، حتى أنه عندما سأله السائل عن اسم الحاكم منهم عندئذٍ قال إن اسمه يبدأ بحرف الحاء وينتهي بحرف الهاء. وتنبأ للأتراك بشر العاقبة، وقال إن الحاكمين باسمهم مثل بني مزروع وأولاد الهادف كانوا انتهازيين وكانوا يتآمرون بشتى الوسائل لفرض الضرائب والمكوس على الناس ونشر العداوة والبغضاء بينهم، واتهم الأتراك بأنهم في يد الأعلاج. ولا شك أن ذلك كله كان صدى لدعوة الشابية ضد الأتراك، وهي الدعوة التي حملها محمد المسعود الشابي وابنه علي إلى سوف مغلفة في التصوف، وحملها عبد الصمد وابنه علي وحفيده بوزيان إلى نواحي سوق اهراس والكاف وباجة والأوراس على ألسنة الرماح. ومن ثمة يظهر دور المرابطين ورجال التصوف الذين كانوا يمثلون البدائل لرجال السياسة والمخزن المتواطئين مع الأسبان في نظرهم.

وفي عدة مناسبات يذكر العدواني دور اليهود أيضاً. فقد تحدث عنهم أنهم كانوا يملكون المال والذهب، وأن الحكام كانوا يلتجئون إلى الاستلاف منهم قبل أن يردوا لهم قرضهم بعد الحصول عليه بطرق ملتوية من شعبهم. وكان المغامرون الذين يريدون الوصول أيضاً إلى السلطة بطرق غير شرعية يلتجئون أيضاً إلى اليهود ليحصلوا منهم على المال سلفاً لقضاء مآربهم. فهذا الهادف قام باستلاف الدنانير الذهبية من أحد اليهود لصاحب تونس (182، 184)، ثم فرض الهادف المكس على الناس والضرائب ودبّر المال لصاحب تونس ولقائد الحنانشة لنيل مطالبه.

إن تاريخ العدواني لم يكن هو تاريخ ابن خلدون، ولكن العدواني الذي عاش بعد ابن خلدون بحوالي قرنين كان أيضاً شاهداً على عصره. فوصف بأسلوبه الخاص تدهور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، وتكريس البداوة واستمرار الحروب القبلية، ودور اليهود الاقتصادي، وتبعية الحكام للأجانب وسذاجتهم وطاعتهم لمن يدفع المال دون السؤال عن مصدره. كما تحدث عن دور الاشراف والمتصوفة والمرأة.

ومن الممكن أن نقارن ما جاء في تاريخ العدواني بما جاء في معيار الونشريسي ونوازل ما زونة وكعبة الطائفين ومنشور الهداية والمؤنس، وغيرها، لأنها جميعاً كتب تصور عصرها بما فيه من اضطرابات وتفاعلات وتحالفات داخلية وخارجية، ولا سيما العلاقات بين السلطة والمواطنين الذين كانوا مهمشين بمعنى الكلمة. وبالإضافة إلى ذلك يعتبر تاريخ العدواني وثيقة هامة، كما يعرف اليوم بالتاريخ المحلي أو الجهوي، فرغم أن بلاد سوف والجريد والزيبان قد تناولها الكتاب هنا وهناك، فإن العدواني قد كرس لها عمله وتتبع أخبارها وصور بعض طبائع أهلها وعلاقاتهم الاجتماعية وعاداتهم.

وهناك بعض الآراء التي عبر بها أصحابها عن شخص وكتاب العدواني. فهذا فيرو يقول إن العدواني كان يقص بأسلوب متنوع، ولكنه أسلوب بسيط جداً لدرجة يمكن معها تسميته بالشعبي. وتدل التفاصيل التي يذكرها على أنه كان شاهد عيان لمعظم الأخبار التي كان يوردها. وهذا يبرهن على الحقيقة، ومعظم الأماكن التي ذكرها وحتى النقاط المعزولة منها كلها موجودة في خرائط الجنوب لدى مركز وثائق الحرب[1].

ولكن إبراهيم العوامر صاحب (الصروف في تاريخ سوف) قد رمى العدواني بالجهل، رغم أن الشيخ العوامر قد أخذ منه الشيء الكثير، ونقل عنه في كتابه صفحات كاملة. فقد رفض العوامر رواية العدواني عن الجازية

---

(1) فيرو (روكاي) عدد 12، 1868، ص 7.

وكونها تعلقت بالزناتي خليفة، وفي رأيه أنها تعلقت بذياب الهلالي. وقال إنه يفهم من كلام العدواني أن العش كان معاصراً للشيخ حسن عياد، وذلك باطل في نظره. وقال عنه إنه جاء بخرافة مقتل الإمام علي والخليفة معاوية في الجردانية. وإنه من العامة، واتهمه بالكذب والاختلاق.

أما الشيخ محمد الطاهر التليلي فقد قال في كتاب العدواني ما يلي: هذا التاريخ أشبه بقصة عامية، من قاص بين جماعة أميين، بلغة دارجة محلية سوفية أو جريدية، لا تتعدى سرد الغرائب والنوادر، وحكايات أصحاب البوادي ومجالسهم العامة. فلا يعول على أكثر ما فيه لا من حيث التاريخ ولا من حيث اللغة ولا من حيث الأسلوب إلا مع عاضد من غيره وسند من سواه...».

ولكن علي الشابي يذكر في مقالة له أن صالح بن سعيد الشابي، مؤلف كتاب (الأنوار السنية في تاريخ السادة الشابية) قال إن من أراد أن يرجع إلى تاريخ عبد الصمد الشابي فعليه أن يرجع إلى تاريخ العدواني، قائلاً إنه لا يكاد يوجد في زمنه (سنة 1924)، وإن الفرنسيين هم الذين اعتنوا به. وقال: «إن والده (أي والد صالح الشابي) كان يملك منه نسخة أعارها لأحد الفرنسيين فلم يرجعها إليه»[1].

وفي رأينا أن تاريخ العدواني، رغم كل النقد الذي قد يوجه إليه، يعتبر وثيقة حية عن الحالة الاجتماعية والسياسية، التي كانت عليها تونس والجزائر وطرابلس في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين. وكفاه ذلك أهمية.

قمار (الجزائر)،
12 أوت 1990

---

(1) علي الشابي، «مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية»، المجلة التاريخية المغربية، يناير 1979، ص 79.



المخطـوطـات

الحمد لله [illegible]

هذه أوراق [illegible] السودان [illegible]

ذاكرا فيها [illegible]

الحمد لله القديم الأول الأبدي لا يزول ملكه ولا يتحول [illegible]

الذوات بالكيفيات مغني الأمم ومحيي الرمم ومعيد [illegible]

النعم وما حبا الجود والكرم لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له

الحكم وإليه ترجعون وأشهد أن لا إله إلا الله تعالى [illegible]

أن سيدنا محمدا عبده ورسوله إلى الخلق أجمعين [illegible]

[illegible] الأولين صلى الله عليه وسلم ما تعاقبت الليالي والأيام

وتداولت الأزمنة والأعوام ....

وبعد يقول أبو عبد الله [illegible] بن عبد الغفار [illegible]

ثم [illegible] الأشعري العقيدة المالكي مذهبا [illegible]

المنسوب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

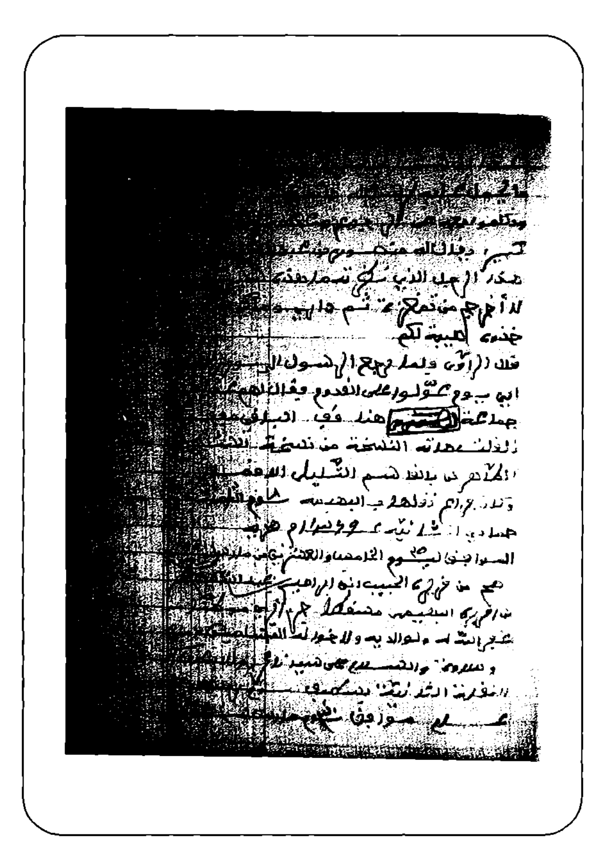
[illegible]

[illegible]

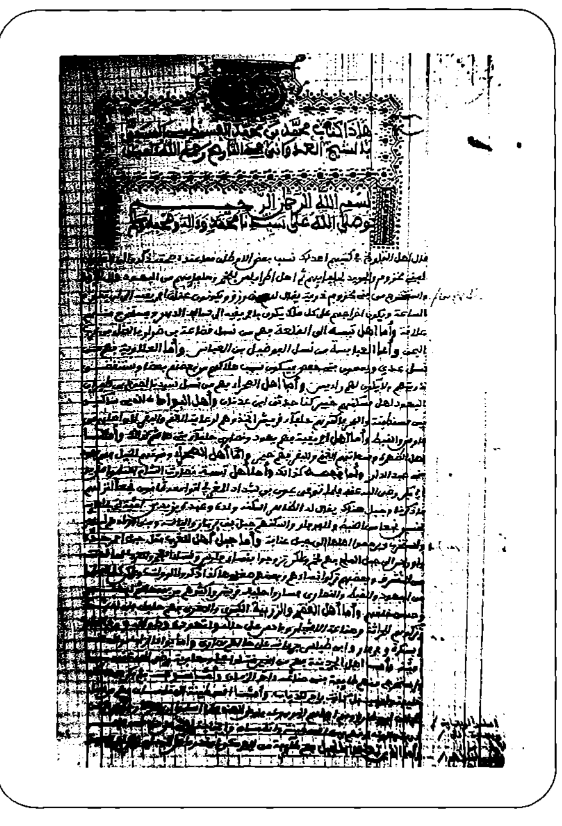
[illegible]

[illegible]

الصفحة الأولى من نسخة السيد سعيد هيمة



الصفحة الأخيرة من نسخة السيد سعيد هيمة



الصفحة الأولى من نسخة عبد القادر عوادي (أ)

مات من الترك اربعون رجلا ومن عرب آيتهم ثلاثمائة رجل ورجع الشابي وحده الى
باعد وسمع الابتر بانهزام جيشه فضاق صدره وقطع ثيابه وحث التراب على
وجهه وقد طلقت الخيول الاعنة الى الحرب حتى قام عليهم سبعة ايام حتى جمع
صاحب توزر بلقاسم بن اشطاطب فبعث الى الشابي قد انذرتك على صاحب
المشانة وورغلة وجه المسلمان مع سيدي الشريف وصاحب سوف والزواب
قد اتوا اليك بكثر على عدد ويوم السبت وهم عندك هاذا ما عندي اعلمتك به
وقد اعذر من انذر وها هو العهد بيني وبينك لان الزمان طويل [illegible]
والسلام انتهى بحمد الله كتابة هاذا الكتاب النفيس المشتمل على
تفصيل بيان الانساب للقاضي بسوف المسمى بالشيخ العدواني رحمه الله
وجميع المومنين والمومنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات انه
سميع قريب مجيب الدعوات يا ارحم الراحمين يا رب العالمين وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين وقد انتهت كتابته نصف نهار يوم الجمعة المبارك
في ١٣ رمضان الكريم سنة ١٣٦٣ هجرية وفي ٢٩ اوت ١٩٤٤م لطف الله بنا وعفى عنا

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق
والهادي الى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

الصفحة الأخيرة من نسخة عبد القادر عوادي (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

قال أهل التاريخ في كتبهم اعلم ان نسب بعض الأوطان مما عني محمد
ذكروا أن القيروان لبني مخزوم والجريد لخلفائهم ثم أهل الطرابلس
[illegible] خلفائهم من اليهود قال الراوي واستخرج من بني مخزوم ذرية يقال لهم
بنو [illegible] ويكونون عمال إفريقية إلى أن تقوم الساعة ويكون إخراجهم على كل
[illegible] بإفريقية إلى [illegible] الدهر ويستخرج منهم علاقة وأما أهل تبسة
[illegible] العلاقة فهم من نسل قضاعة بن ضرار بالضاد من عرب اليمن وأما العبابسة
من نسل [illegible] العباس وأما العلاوية فهم من نسل عدي [illegible]
[illegible] ينكرون نسب [illegible] من بعضهم بعضا ويستقضي ذريتهم ولا يكون لهم
[illegible] وأما أهل الحمراء فهم من نسل سيدنا [illegible] بن [illegible] اليهود
[illegible] مسكنهم خيبر كذا حدثني ابن عدنان وأما أهل البوادي الذين
[illegible] فنصفهم والبحر فأكثرهم علماء قريش [illegible] وهم لرعاية الغنم
[illegible] أصلهم من [illegible] والقبط وأما أهل إفريقية فهم يهود
ونصارى علماء [illegible] وأما أهل [illegible] وصناعتهم الغنم والبقر
[illegible] وأما أهل الصحراء [illegible] فهم يهود بني عبد الدار وأما
[illegible] ذلك وأما أهل تبسة نصارى الشام الذين أسلموا على يد
[illegible] بن شداد المغرب أتوا معه ثمانون [illegible]
[illegible] ذكرنا [illegible] يقال له [illegible] وعبد [illegible] زيد بن [illegible]

الصفحة الأولى من نسخة عبد القادر عوادي (ب)

٩٣

الا صاحب توزر بلقاسم بن القاضي بعث تانيسا بعد هولا وناتيك
للرعية خلق كثير وغاب عليهم من العطش قال الراوي فلما جمع جموعه
قصد الشابي على حين غفلة منه الى البساطيط وقام الشابي بخيله ورجاله
من اول النهار الى آخره وكان البلاء كله يومئذ فقاتل الى طلوع الفجر وقد
ولوا الترك الادبار وقام الشابي في اثرهم الى قبر تستور وقد مات من الترك
اربعون رجلا ومن عرب آيتهم ثلاثمائة رجل ورجع الشابي وقد قال
باسمه وصعق الابن بانقراع جيشه بطلق صدره وقطع ثيابه وحثا
التراب على وجهه وقد هلكت الخيول الا عشرة الى الجوهرية وقام عليه
سبعة ايام حتى سمع صاحب توزر بلقاسم بن القاضي فبعث الى
الشابي قد اندرتك بان صاحب الحنانشة وورقلة وبني
السلمان مع سيدي الشريف وصاحب سوف والزرايب
قد اتوا اليك بمكر على حذر بيوم السبت وهم عنزك هاذا ما عندي
اعلمتك به وقد اعذر من انذر وها هو عهد بيني وبينك كل الزمان
طويل مكر على حذر والسلام انتهى بحمد الله تعالى كتابة
هاذا الكتاب النفيس المشتمل على تفصيل بيان الانساب للقاضي
بسوف المسمى بالشيخ العدواني رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجميع
المومنين والمومنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات انك
سميع قريب مجيب الدعوات يا ارحم الراحمين يا رب العالمين وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين وقد انتهت كتابته عصر يوم الاحد من ربيع
الاول لطلب الله تعالى بنا وغفر لنا امين [illegible] ٧ [illegible] عام ١٣٧٠ هـ [illegible] سنة ١٩٥١ م [illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة عبد القادر عوادي (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

هذا كتاب السيد محمد بن محمد بن عمر القسنطيني المعروف بالعدواني
في التاريخ قال أهل التاريخ وكتبهم عند تعداد نسب
بعض الدرطان فذكروا أن القيروان لبني مخزوم والجزائر
لحلفائهم وأهل طرابلس للحشم ولحلفائهم من اليهود
قال الراوي ويستخرج من بني مخزوم ذرية يقال لهم كعب
ويملكون قصبات افريقية وان رزق الله أن تقوم الجماعة
ويستكثرون خراجهم ويتركون بلد يكون لافريقية ويستخرج
منهم عساكر وأما أهل تونس فينسبوا الى القلعة منهم من بني
حارثة ويستخرج منهم طائفة تسمى برياح من العرب وعجاجو
وأما أهل بسكرة فهم من أولاد عامر بن هلال ويستخرج منهم
طائفة تسمى بشارة وأما أهل افريقية فهم من نسل نقاعة
ابن خزار الطائي وأما أهل العيا بعد فهم من نسل الفضل بن عباس
وأما العلاونة فهم من نسل علي ويسمون بني حفص ويكون
بسبب دولة كلهم من بعضهم البعض ويستقضي ذريتهم ولا
يكون لهم رئيس وأما أهل الصحراء فهم من نسل أجوج
الى الجيفران اليهود بن أهل مدينتهم حيث كذا حدثني صالح
الله عنه وأما أهل البوادي لما كانوا في قسنطينة والبرحال
جاءوا افريقيا اتخذوهم لرعاية الغنم والبقر لأن أجدادهم

الصفحة الأولى من مخطوطة الشيخ محمد الطاهر التليلي

و أثرهم الى قبر تستور وقد مات من الترك اربعون رجلا ومن
عرف زهم ثلاثمائة رجل ورجعوا الى الشابي وقد طال باعهم
وقد سمع بهم صاحب تونس وباتحزابهم فضاق صدره وقطع
ثيابه وحثى التراب على راسه واطلق أعنة الخيول الى الجريد
وأقام عليهم سبعة أيام حتى سمع صاحب توزر وبعث الى الشابي
قد انذرك وان صاحب الحمامة وورقلة وبني المسلمان
مع سعيد الشريف وصاحب سوف والزاب قد اتوا
اليك فكن على حذر فيوم السبت هم عندك هذا ما عندي
اعلمتك به وقد أخذ رهنه انذر وهاه عهد بيني وبينك لان
الزمان طويل وستحتاج ولكن حذرا والسلام

الى هنا انتهت النسخة التي نقلت منها هذه النسخة
ويظهر أن كتاب العدواني لم ينته هنا بل مازالت قصصه
أو نوادره ممتدة وطويلة ومجالسه غير مستوفاة
ولعل الايام تكشف عن الاوراق الباقية والاخبار الناقصة
اهـ
نقلت هذه المسودة من نسخة الشيخ الموقر السيد أحمد بن
ابي الضياف التاغزوتي السوفي وانتهيت من نسخها يوم ٨
مارس من سنة ١٩٧٦ م الموافق ليوم ٦ صفر الخير
من سنة ١٣٩٦ هـ هجرية ببلدة تمار بقلم الطاهر التليلي
القماري البلدة السوفي كان الله له ولوالديه [illegible]

الصفحة الأخيرة من مخطوطة الشيخ محمد الطاهر التليلي

ى فارس والقبط اهل افريقيه فهم يهود
بني هاشم كذلك اهل الظهر ... تهم
... وهم حمير اهل الحمرة وفوقهم ...
... من عبيد الدار واهل قفصة كذالك
... وهم من الشام اسلموا اسلموا على يد
... عقبة فلما توفي عوده بنو ... المغرد انوا
... بعد انزلهم ما ذكرنا وجبل نفوسة كذالك يقال
... سكنه ولده وعبيده يزيد بن اميه اتابعوا ...
... من القبط وانبرا برو اسكنهم جبل ... بر بلد
... ولادهم ام العز واستعرب ويرجعوا اهلها
... اهل المغرب مثل جبل احمر خدو
... الى جبل اهل الملح كلهم وهم لخم ولاكن تزوجوا
نساء فارس ونساء العجم والعرب لما قدمت من المشرق
بعضهم تركوا نساءهم وبعضهم ... كما ذكروا
... ولكن كلما اسلموا من اليهود والقبط والنصارى
... فر دينهم واكثرهم من بني هاشم لبعضهم
... خلفهم ... اهل القصر والزريب الكبير والصغير
بعضهم ملجأ بني امية تركهم للحراثة وصناعة الاشجار
وبلاد ... على ما اهل التلمود وطولقه وبرج العامر

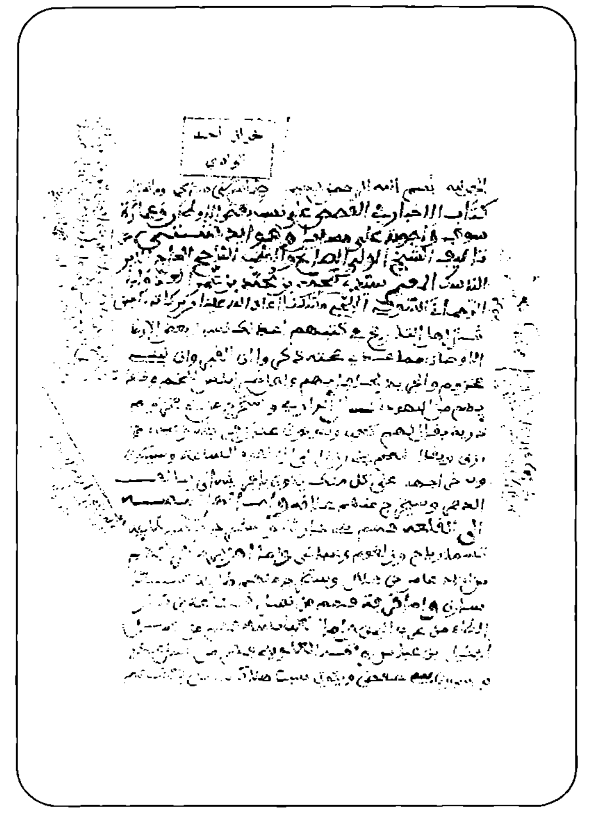
الصفحة الأولى من مخطوطة الشيخ عبد المجيد بن حبة

او رجع الشاب وقد طال باعه وسمع الابتر [illegible]
انهزام جيشه ضاق صدره وقطع ثيابه وحثا التراب
على وجهه وقد طلعت الخيول الاعنة الا الحربية وقام
عليهم سبعة ايام حتى سمع صاحب توزر جاء فاسم
من العادي فبعث الى الشاب فذا اخذ ذلك دار صاحب
العشائر وورقلة وبني المصعب اسمع [illegible]
وصاحب سوف والزوابي فذا انزوا اليك فكر على من
بيوم الصبت وليهم عندك لعدا اما عثر اعلمتك [illegible]
وقد اعذر من انذر وهذا عهدي بيني وبينك الى
الزمان الطويل وبكى على هذا والسلام

املاه الله كاتبه [illegible] اصحاب النبي مع النبي
واسكنهم في جنة عدن [illegible] الى امر العالي [illegible] انتهى

انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه
اللهم اغفر لكاتبه جميع المسلمين والمسلمات
والمومنين والمومنات الاحياء منهم والاموات
يا ارحم الراحمين يا رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا محمد كما صليت على
سيدنا ابراهيم [illegible] انك حميد مجيد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الصفحة الأخيرة من مخطوطة الشيخ عبد المجيد بن حبة



الصفحة الأولى من مخطوطة الشيخ أحمد خراز

صفحة وسطى من مخطوطة الشيخ أحمد خرّاز وفيها يظهر الانتقال من النص المتداول إلى غيره. (قارن مع نسخة تونس 2).

١٧٧

تم الجزء الاول بحمد الله من كتاب الشيخ الولي
الصالح والفاضل الناجح الحاج الابر الناسك
المختبر سيدي محمد بن محمد بن عمر رحمه الله في
الزمانية التشوية البهية متشنا اعاد الله علينا
من بركاته امين آه

[illegible] تم هذا الكتاب [illegible]
[illegible] الزاكي [illegible]
[illegible] الشيخ الولي الصالح [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] اعاد الله [illegible] امين

مات رحمه الله وخلف مسعود عرف بالشيخ
وتوفي عند الزوارات ومضان ١٢

الصفحة الأخيرة من مخطوطة الشيخ أحمد خراز

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

هذا كتاب محمد بن محمد بن علي القسطيلي

من علماء الجريد المسمى العدواني

في التاريخ من عدوان رحمه الله.

قال العالم الشيخ كنت عند أعدل نسابة العرب أولاد

عند ما صحبته ذكر أن الكلفي وأن لبني مخزوم والجريد

خلفائهم وأهل الطرابلس لخم وخلفائهم من

اليهود فقال إن أراد ويستخرج من بني مخزوم

ذرية يقال لهم كعب ويكونون عنان ويخرج

بني زرد بعد أن تغور الساعة ويكونوا أولاد

على كل ملك يكون بإفريقية إلى آخر الدهر

وسيخرج منهم علاقه وأما كما انتسب إلى الغلعة

وهم بني حارثة وسيخرج منهم طايفة تسمى

رياح وزغبة وعياض وأما العرب ماجر وهم

من أولاد عامر بن هلال وسيخرج منهم طايفة

الصفحة الأولى من مخطوطة تونس (1)

الشابي على حين غفلة منه الى البساطين وفر
الشابي بخيله ورجاله من اول النهار وكان الخيل
كله يومئذ فنازلهم طلوع الفجر وقد ولوا الترك
الادبار وفلح بنفسه وانهزم ريس في تستور وقد
مات من الترك اربعون رجلا ومن العرب ونحو ثلاثمائة
رجلا ورجعوا الى الشابي وقد طال باعهم وقد
سمع بهم صاحب تونس بانهزامهم وضاق في
صدره وصرف قبائله وحث الكتاب على راسه
وقد طلعت الجنود الا محلة الى الحرمين سه
وقام عليهم سبعة ايام حتى سمع صاحب
تونس وبعث الى الشابي قد انذرك ان صاحب
المشار نتور غلة وبينه المسلمين مع سعيد
الشريف وصاحب سوسة والي رايب قد انسوا
اليك فكن على حذر فيوم السبت ثم عندك هذا
ما عندي ان كان تكذبه وقد اعذر من انذر ونعاه
عهد بيني وبينك كان الزمان طويلا واستخراجه وكن
منذر والسلام

الصفحة الأخيرة من مخطوطة تونس (1)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

هاذا الكتاب محمد بن محمد بن يحيى الفسنطيني المسمى بالشايخ العدى واتى في التواريخ

قال اهل التاريخ في كتبهم اعدلك بعض نسل الاوطان مما عنده صحته ذكروا ان القيروان لبني مخزوم والجريد لحلفايهم واهل الهي ابلد للخم وحلفايهم من اليهود قال الراوي واستخرج من بني مخزوم ذرية يقال لهم بني رزق ويكونون عنا راهل بوالي ان تقوم الساعه ويكون خراجهم على كل ملك يكون باقي بقيه الوسالف الدم وسيخرج منهم علافه واما اهل تبسه الى الفلحه فهم من نسل قضاعه بن ضيار الطاء من عرب اليمن واما العبابسة من نسل الفضل بن عباس واما العلوية فهم من نسل علي ويسمون بني حجم ويكون سبب هلاكهم من بعضهم بعضا وستنقضي دولتهم ولا يكون لهم رايس واما اهل الصحراء فهم من نسل سيز اجوام موطنين ان اليهود

الاول

الصفحة الأولى من مخطوطة محمود بوعياد

صاحب توزر بالقاسم بن الهادي يبعث الى
الشاه فقد انذرتك بان صاحب الحشانـ
وورغلة وبني المسلمان مع سيدي الشيخ
وصاحب سوف والزاب فقد اتوا اليك فكن
على حذر يوم السبت وهم عندك
هذا ما عندي اعلمتك به وقد اكد رمزان الدر
وهذا عهدي بيني وبينك في الزمان الطويل
فكن على حذر والسلام الى حمد الله
وحسن عونه [illegible] شهر ربيع الثاني
سنة [illegible]

الصفحة الأخيرة من مخطوطة محمود بوعياد

صفحة وسطى من مخطوطة تونس (2) وفيها تظهر نهاية النص المتداول واستمرار النص غير المتداول كثيراً.

صاحب الجزاير ثم اتى الى زوجته وقال لها ازكوني فنالي في هذا البيت للذ تاعبر

من السيف فقالت ، على راسك ثم صار يحفر فوجد فيها مالا لا يحصى عدده الا

الله جملا فلعه وصار يبكي بين يديه نادى زوجته يا قرة عيني هلمي وانظري الى قدرة

الله كيف يجي من مات فاتت اليه ونظرت ما معه من المال فصاحت صيحة فغشي

عليها ثم فاقت وقالت له من اين لك هذا يا زينة المعي فحدثها بما جرى في المنام

فبن حوايج رجا نشد بدا وذهب عنه ما كان فيه من الجوع والفقر انظر العجايب

والغرايب فافهم يا مسكين واعقل قول العقلاء . كان الارزاق ثلاثة الى اصحابها

الصفحة الأخيرة من مخطوطة تونس (2)

كتاب العدواني

KITAB EL ADOUANI

OU

LE SAHARA

de Constantine et de Tunis

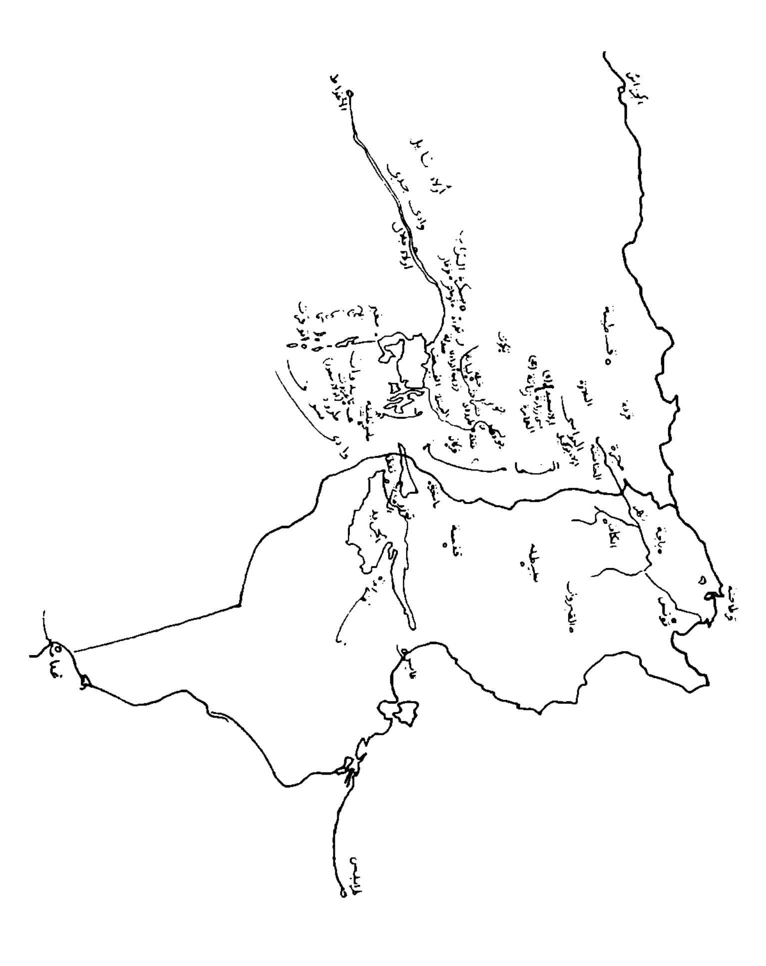
PAR

L. FÉRAUD

Interprète de l'armée d'Afrique

Tout ce qui touche l'Algérie et, en même temps, tout ce qui vise à nous faire connaître le passé de ce pays, excite notre intérêt et commande notre attention. Mais on sait, déjà, combien l'étude de ce passé est entravée par le manque de documents authentiques. A ce sujet, nous n'avons pas hésité à dire, dans une précédente notice, que la période de la domination turque devait être

الصفحة الأولى من ترجمة شارل فيرو لكتاب العدواني كما ظهرت في مجلة (Recueil)، 1868.



مقياس الخريطة: 1: 000. 4000.

من عمل الأستاذ عبد الحميد زوزو

تاريخ العدواني

كتاب في أخبار الهجرة واستقرار بعض القبائل العربية مع ذكر الاحوال والتقلبات السياسية والاجتماعية لمنطقة المغرب العربي واصول بعض المدن والقرى، والعلاقات الروحية بين المشرق والمغرب منذ الفتح الإسلامي.

تأليف

محمّد بن محمّد بن عمر العدواني

من أهل القرن الحادي عشر للهجرة

" القرن 17م "

تقديم وتحقيق وتعليق

ابو القاسم سعد الله

" جامعة الجزائر "

بسم الله الرحمن الرحيم

/ الحمد لله [1]

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

كتاب الأخبار في القصص على نسب بعض الأوطان وعمارة سوف وأجوبة على مسائل وفوائد شتى

تأليف الشيخ الولي الصالح والقطب الناجح الحاج الأبر الناسك المعتمر سيدي محمد بن محمد بن عمر العدواني الرحماني السوفي اللجى مسكناً دفين الزقم. أعاد الله علينا من بركاته(1). آمين.

قال أهل التاريخ في كتبهم أعد لك نسب(2) بعض الأوطان مما عندي(3) صحته.

---

(1) في نسخة (ب) لا توجد إلا العبارة التالية: هذا كتاب محمد بن محمد بن عمر القسطيني المسمى بالشيخ العدوان (كذا) في التاريخ. أما في نسخة (ج) فالعبارة هكذا «هذا كتاب محمد بن محمد بن عمر القسطيلي من عمالة الجريد المسمى العدواني في التاريخ، من عدوان ـ رحمه الله. »وزيد في هامش (أ) بعد عبارة اللجّي مسكناً عبارة (دفين الزقم)، والزقم إحدى قرى سوف وهي الآن معروفة بهذا الاسم. (واللجي) نسبة إلى اللجة التي سيرد ذكرها.

(2) في معظم النسخ (نسبا بعض الإوطان).

(3) في (ج) عندنا.

مجموعة من الأنساب غداة الفتح الإسلامي

ذكروا أن القيروان[1] لبني مخزوم[2] والجريد لحلفائهم وأهل طرابلس للخم[3] وحُلفائهم[4] من اليهود.

قال الراوي واستخرج من بني مخزوم ذرية يقال لهم كعب ويكونون عنان إفريقية ويقال لهم بني رزق[5] إلى أن تقوم الساعة، وسيكون خراجهم على كل ملك يكون بإفريقية إلى سالف الدهر، وسيخرج منهم علاقة[6].

---

(1) في (ب) القروان. والغالب أن العدواني كان يتحدث عن هذه الأنساب بُعَيْد الفتح الإسلامي بدليل الحديث عن أوائل العرب وحلفائهم.

(2) في (أ) أضيف في الهامش أن بني مخزوم نسب خالد بن الوليد وأن هذه المعلومة مأخوذة من تاريخ ابن الوردي. وعبارة (الجريد لحلفائهم) ساقطة من (ف).

(3) في هامش (أ) أن لخم من عرب الشام، وأصلهم من اليمن تفرقوا بعد سيل العرم، ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان، فنسبوا إليه. من تاريخ الوزير. (يعني الوزير السراج) الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ط. تونس.

(4) في (أ) خلفائهم بالخاء.

(5) في (ب) سقطت كلمة (كعب)، وتقرأ العبارة هكذا: يقال لهم بني رزق ويكونون الخ. وفي (ج) عنان فريقه و (إفريقية) بني رزق، وعنان تعني (رؤساء). وفي (ف) أن بني رزق من كعب وهؤلاء من بني مخزوم. وكلمة استخرج = ستخرج وكلمة فريقة = إفريقية (أي تونس).

(6) علاقة بتشديد اللام، وقافها معقودة، اسم قبيلة معروفة، وكتبت في (ف) علاّك باللام المشددة والكاف. وجاء في ابن خلدون 7/572 أن «شعوب علاق» كانوا في نواحي توزر. وأن بني كعب واتباعهم من أحلافهم أولاد القوس وسائر شعوب علاق، قد استدعوا أحمد بن عثمان بن إدريس ونصبوه أميراً عليهم من السلطان الحفصي أبي يحيى. كما جاء في نفس المصدر 6/144 أن (علاق) من بني سليم وأنها تتألف من بطنين: بنو يحيى وحصن.

وأما أهل اتبسه إلى القلعة فهم بني حارثة[1] وستخرج منهم طائفة تسمى رياح وزلغوم وعياض.

وأما أهل برماجر[2] فهم من أولاد عامر بن هلال، وستخرج منهم طائفة تسمى شارن.

وأما قرفة[3] فهم من نسل قضاعة بن ضرار الطائي من عرب اليمن.

وأما العبابسة[4] فهم من نسل الفضيل بن عباس.

وأما العلوية[5] فهم من نسل عدي، ويسمون ببني حفص، ويكون سبب هلاكهم من بعضهم/ بعضاً، وستنقضي ذريتهم، ولا يكون لهم رايس. [2]

وأما أهل الصحراء فهم من نسل سيز[6] جوج بن طيراق اليهودي، أصل مسكنهم خيبر. كذا حدثني سالم بن عدنان.

---

(1) عبارة (فهم من بني حارثة) ساقطة من (ف). والمقصود (بالقلعة) القلعة الكبرى إحدى مدن بلاد الساحل بتونس.

(2) في (ف) كتبت (ماجنة) وعرفها بأنها مدينة قديمة تقع على ثلاثين ك م شمال شرق تبسة، وبر ماجر «المساحة الممتدة بين قفصة والقيروان» أي مواطن الهمامة تقريباً. ولم تذكر النسخة (ف) عبارة (برماجر) وفي ابن خلدون 6/183، 287 وردت مرماجنة، ومرماجة. قبيلة عربية في تونس موقعها تقريباً في مواجهة سوق إهراس.

(3) من كلمة بني حارثة إلى كلمة قرفة، ساقط من (ب). ولم تذكر (ف) كونهم من نسل قضاعة ولا كونهم من عرب اليمن. وسيأتي الحديث عن قرفة، وفي ابن خلدون 6/48 أن كرفة (قرفة) من قبيلة الأثبج الهلالية.

(4) أي بني العباس، ولعله يشير إلى الأغالبة الذين حكموا لبني العباس. وكان قصر إبراهيم بن الأغلب يسمى (العباسة) غير بعيد من القيروان، وفي الباضة بسوف حي يسمى (العبابسة) ويقال إنه من المواطن القديمة.

(5) لعله يقصد العلوية (العلويين) الذين فروا من بني العباس إلى المغرب العربي وعلى رأسهم إدريس الأول. وتذهب بعض الروايات إلى أن بعضهم قد مروا بسوف.

(6) كلمة (سيز) ساقطة من (ج)، وكذلك من (ف)، وكلمة (طيراق) كتبت في (ف) طيران ـ بكسر الطاء ـ. وعلق فيرو على ذلك بقوله إن أول من حكم في الصحراء هو بيولوتان بن تكلان القيرواني.

وأما البوادي الذين ساكنين بين أقسمطين[1] والبحر فأكثرهم حلفاء[2] قريش اتخذوهم لرعاية الغنم والبقر لأن أصلهم من فارس والقبط.

وأما أهل جبل المغرب[3]، مثل جبل أحمر خدو وأوراس إلى[4] جبل الملح كلهم فهم من لخم، ولكن تزوجوا بنساء فارس ونساء آل العجم[5].

والعرب لما قدمت من المشرق بعضهم تركوا نساءهم هنالك، وبعضهم صغاراً، هكذا ذكر الرواة، ولكن كلما أسلم من اليهود والقبط والنصارى فصاروا حليف قريش وأكثرهم بني هاشم لفضلهم وحسن خلقهم.

وأما قصور فريقة طولاً وعرضاً[6] فهم يهود ونصارى، حلفاء بني هاشم كذلك.

وأما أهل الظهرة[7] وسعاتهم البقر والغنم، فهم حِمْير.

---

(1) تختلف النسخ في كتابتها، منها قسنطينة، واقسمطين، واقسمطينة (والأخيرة هي نسخة (ج).

(2) في (ج) خلفاء.

(3) من عبارة وأما أهل جبل المغرب إلى عبارة حسن خلقهم متأخرة في (ب).

(4) في (ج) وجبل الملح. ويقع جبل الملح قرب الوطاية، ناحية بسكرة.

(5) ترجم (فيرو) كلمة العجم بالرومان. وهي ترجمة غير دقيقة. كما أنه أضاف في المتن عبارة من عنده بعد الحديث عن اليهود والنصارى والقبط، وهي قوله (عند حلول المحتلين الجدد) وهو يعني المسلمين.

(6) عبارة (طولاً وعرضاً) ساقطة من (ب)، وفي (ف) ترجمت عبارة حلفاء بني هاشم بـ(الخضوع لبني هاشم). يتحدث العدواني عن السكان والوديان أيام الفتح الإسلامي. وسترد كلمتا اليهود والنصارى عدة مرات، وهو يعني اليهودية والنصرانية. ويذكر (القبط) منفصلين عنهم. وقد ذكر ابن أبي دينار ص 38 أن عدة قرى بإفريقية بقيت مسكونة بالكافرين إلى ما بعد المائة الرابعة. وكانت الأساقفة تأتي من الإسكندرية، الخ.

(7) في (ج) الضمن، وكذلك (أ) الظعن، ولكن مصححة في الهامش (الظهرة)، وسعاتهم تعني ماشيتهم. وقد جاءت في (ف) بمعنى الظهرة أيضاً.

وأما قصور الصخر[1] وقوتهم الخيل، فهم يهود بني عبد الدار.

وأما المعلقة[2] فأهلها نصارى وأهل قفصة كذلك.

وأما القوابس فهم نصارى الشام، أسلموا على يد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فلما أتى عون[3] بن شداد للمغرب أتوا معه ثمانون نجعا[4] أنزلهم ما ذكرنا[5] وجبل هنالك يقال له الظاهر[6] أسكنه ولده وعبده يزيد، وبني أمية[7] أتوا بحلفائهم بخمسين/ نجعا من القبط والبرابر، أسكنوهم[8] جبل بني بربار [3] وليانة، وبنوا لأولادهم أم العز وستخرب، ويرجع أهلها إلى جبل عنابة[9].

وأهل القصر والزريبة الكبرى والزريبة الصغرى[10] فهم حلفاء بني أمية

---

(1) في (ب) الصحر، بالمهملة، وفي (ف) ترجمت بمعنى الصحراء.

(2) الخبر عن (المعلقة) ساقط من (ب). وعرّفت (المعلقة) في (ف) بأنها الاسم العربي للحصن الذي يحمي قرطاجة القديمة. وفي الإدريسي أن (المعلقة) هي الجزء العامر من قرطاجة ويسكنه عرب بني زياد.

(3) كلمة (أتى) تقرأ (توفي) في (ب) وكذلك في (نسخة حبّه)، وهي تعني وفاة عون بن شداد، والمعنى لا يستقيم كذلك.

(4) في (ج) (حياً) بدل نجعا، وفي (ف) ثمانون عائلة.

(5) في (ف) ترجم عبارة ما ذكرنا بـ (قابس) = القوابس.

(6) جبل الظاهر يقع بين حامة قابس ونفزاوة (تونس).

(7) في (ب) يزيد بن أمية. والمعنى يقتضي الاستئناف، أي وأما بنو أمية فقد أتوا بحلفائهم. وفي (ف) ترجمت العبارة كلها (بأهل بني زيد بن أمية) بدون تفصيل. وأضاف فيرو في الهامش بأن بني زيد ما يزالون يسكنون منطقة خليج قابس حيث سلسلة جبال الظهرة ـ هكذا يكتبه وليس جبل الظاهر.

(8) في (ب) واسكنهم. وفي (ف) من القبط والأنبار (بدل البرابر)، وعلق فيرو على ذلك بقوله إن الأنبار مدينة تقع في فارس على نهر الفرات.

(9) حذفت في (ف) كلمة عنابة، واكتفت بعبارة ويرجعون إلى الجبل. وسيأتي الحديث عن (ليانة).

(10) العبارة كما وردت في (ف) وأهل قصور الزريبة الصغرى دون ذكر الكبرى. والمقصود زريبة الوادي (الكبرى) وزريبة حامد (الصغرى) ولعل المقصود (بالقصر) المدينة التي سيقول إنها معروفة بالقصر، جهة قصور عدوان.

تركوهم للحراثة وصناعة الأشجار.

وبادس على حالها، واتهوده وطولقه وبرج العامر وبسكره وفرفور وبن طيوس وجريانة[1] على حالهم نصارى.

وأما بوادي الزاب فهم موالي بني أمية.

وأما أهل الجردنية فهم الذين قتلوا علي ومعاوية[2] ـ رضي الله عنهما ـ، وستخرج منهم طائفة بني مناع آخر الزمان.

وأما سوف فلم يكن فيها ساكن حليف ولا سيد، بل كانت براح الذياب.

وسكان[3] القيروان ثلاثة مائة رجل سعايتهم الابل[4].

وأما سكان أقسمطينة فهم نصارى.

وأما سكان المغرب من أقسمطينة إلى تلمسان فهم من نسل عجلان[5] بن طارق، وهم أصلهم اليربوع بأرض الهند، فلما أسلموا

---

(1) في (أ) و (ف) جربانة بالباء الموحدة. وأفادني بعضهم أن جريانة هي أولاد طيفور اليوم.

(2) إشارة إلى المؤامرة التي اتفق أصحابها على قتل الإمام علي والخليفة معاوية والعامل عمرو بن العاص، والتي كانت نتيجتها مقتل الأول فقط. وفي (ف) أن أهل الجردنية (الجردانية) هم الذين انتصروا لمعاوية في حربه ضد علي صهر النبي، دون الإشارة إلى بني مناع. وأفادني البعض أن بني مناع قبيلة من لعامشة تبسة.

(3) من عبارة (سكان القيروان) إلى كلمة (المغرب) ساقط من (ب).

(4) خلطت (ف) هذه الفقرة، فجعلت سوف منطقة تابعة للقيروان، إذ جاء في الترجمة: ومنطقته (أي سوف) تابعة فيما مضى إلى الأفراد الثلاثمائة القاطنين القيروان الذين اعتادوا على رعي ماشيتهم وإبلهم فيه.

(5) في (ف) من نسل مهلان (أو محلان) وليس عجلان. ولعل ذلك غلط مطبعي فقط. ولكن الذي ليس غلطا مطبعياً هو أن (ف) لم تذكر جملة (أصلهم اليربوع بأرض الهند)، واكتفت بكونهم من ذرية جالوت. والغريب أن (ف) ترجمت: باجة (وليس بجاية) التي على شاطىء البحر، ثم نبهت إلى أن هناك نقصاً في النسخة وضعت مكانه خمس نقط. بينما النسخ الأخرى تتحدث عن السكان الواقعين بين قسنطينة =

أتوا[1] أربعمائة رجل، وهم من ذرية جالوت فأفرقهم[2] بين أقسنطينة وتلمسان وبجاية التي على شاطىء البحر.

وأما الذين تعلقوا بالجبل فهم طائفة من العرب لم يقدروا على الزحام، لم تكن لهم عصبة[3].

وأما الذين سكنوا جبل المحمل[4] واسبيخة قارع وواد أجدي إلى جبل البربر فهم من أولاد جالوت[5]. وأما الذين سكنوا ركن الجبل[6] فهم طائفة/ [4] من العرب طلبوا الحلال.

قصة مسروق بن حنظلة

وأما الأولاد الذين (سكنوا)[7] بافريقية مثل أولاد بُزَيد[8]، وأولاد

= وبجاية وتلمسان، ومن ثم فالجملة كاملة، رغم نشازها نوعاً ما. وذكر البحر يدل على أن الحديث عن بجاية وليس باجة.

(1) كلمة (أتوا) ساقطة من (ب).

(2) في بعض النسخ (فرقهم).

(3) في هامش (أ) أن جالوت آخر ملوك الشام من الكنعانيين، وأن بنيه قد تفرقوا وسكن بعضهم المغرب، وهم البربر. وفي (ف) إضافة هي أن أولاد زيان الذين يسكنون جبال المغرب هم أناس لا يعرف لهم أصل ولا نسب.

(4) جبل المحمل من جبال الزاب، قرب وادي العرب والخنقة. أما سبخة قارع فهي تنطق قارت وقارط وقارد، وهي أولاد أرشاش اللمامشة بتزقاغت خنشلة.

(5) أي البربر.

(6) يبدو أن المقصود (بالجبل) هنا وما قبله هو جبل أوراس. أما (ف) فتذكر جبل البربر على أنه جبل بني بربار. وترجم فيرو عبارة (طلبوا الحلال) على أنها اعتناق الإسلام. ولعل المقصود بذلك أنهم طلبوا السلامة والهدوء.

(7) ما بين القوسين زيادة في (ب). وفي (ف) أن أولاد زين تفرعوا إلى أولاد زايد وأولاد سعد، وأولاد علي الخ. ولم يذكر منهم أولاد موسى.

(8) في (ب) يزيد.

سعد، وأولاد علي، وأولاد موسى، وأولاد حامد[1]، وأولاد غنام، وأولاد زايد.

فأتى[2] مسروق بن حنظلة لما قتل ابن عمه، وهو من بني مخزوم، ففر بنفسه مع بني عمه، ثلاثون رجلاً ومعه هؤلاء الأولاد[3]، وهم من عرب جبلة من بني الأيهم، ونزلوا برقة بعد خروجهم من مصر[4] ثلاث سنين، فلم يجدوا فيها قرية يتحصّنوا بها لأنهم أصحاب جور، ثم نزلوا الجبل الأخضر عامين، فأخذوا مال سيوة[5] فأتى إليهم في أربعة آلاف من الخيل فطردهم من الجبل المذكور.

ثم نزلوا على طرابلس وبقوا فيها ستة سنين فقتلوا عمر الساعدي[6]، فطلب منهم ديته فهربوا في ليلة مظلمة ونزلوا قرية ببلد على شاطىء البحر من عمل طرابلس، فبعث لهم إما أن تعطوا الدية وإلاّ خذوا على أنفسكم[7]، فقالوا لا نعطي ولا نخرج، وإن كانت عندكم جنودا آتي بها.

فبعث[8] إلى صاحب غدامس، وصاحب فزان، وصاحب ورغه[9]، فأتوا (إليه)[10] بعشرة آلاف من الخيل، فأخذت أهل البلدة وما حولها الغيرة،

---

(1) أولاد حامد ساقطة من (ب).

(2) في (ب) فإن بدل فأتى، وفي (ف) أن القتيل من بني خد.

(3) في (ف) أن هؤلاء الأولاد هم بنو زين، وأنهم من العرب، وليس هنا ذكر لجبلة ولا قومه.

(4) في الأصل (مصرة).

(5) واحة سيوة. والشخص الذي طردهم، حسب (ف) هو السلطان الحفصي.

(6) في (ف) أنهم قتلوا عم الساعدي، فطلبهم هذا بدية عمه، ونظن أن ذلك خطأ في الفهم، لأن (عمر) و (عم) قريبان في الخط.

(7) أي لا تلوموا إلا أنفسكم.

(8) أي الساعدي، حسب رواية (ف) أو قوم الساعدي حسب بعض النسخ الأخرى.

(9) في (ب) و (ف) ورقلة، وفي بعض النسخ ورقه. وقد اكتفت (ف) بذكر غدامس وورقلة فقط، ولم تذكر فزان ولا ورغة.

(10) (إليه) زيادة من (ب) ومن (ج).

فأتوا إلى مسروق بخمسة آلاف من الخيل[1]. وهو معه ألف من الخيل فتلاقوا بموضع يقال له بن قرحان[2]، ولا زال القتال بينهما وذلك من طلوع الشمس إلى غروبها، وافترقوا وقد مات من (قوم)[3] مسروق والأولاد/ أربعمائة [5] رجل، ومن صاحب طرابلس ألف فارس.

مسروق وصاحب قابس

وهرب مسروق ومن معه، ونزلوا على موضع في ساحل البحر يقال له الجرجر[4]، فنزلوا عليه وبقوا هنالك ثلاثة أشهر فسمه بهم صاحب قابس فبعث إليهم بالترحيب، هلموا إلى بلادي، ولكم فيها ما تريدون، فنزلوا فيها وأخذوا في صلاح شؤونهم.

وكان رجل اسمه[5] ضرار بن عمر يلوج[6] في السواني ويأخذ العنب فنهاه صاحب الحديقة ونهر عليه، فأخذ ضرار سيفه وضربه على رأسه فقتله وحمله إلى ساحل البحر ورماه، ففقده أهله فلم يجدوه فاتهموا جماعة مسروق بتهمة النفس، فأمرهم صاحب قابس بالخروج.

فرحلوا[7] وقصدوا ساحل القيروان، فأشكل عليهم النزول[8].

---

(1) عبارة (من الخيل) ساقطة من (ج).
(2) في (ب) بن فرحات. وفي (ج) (برقرحان)، وفي (ف) قرحان فقط.
(3) كلمة (قوم) زيادة من (ب).
(4) في (ف) الفجرج.
(5) في (ب) زيادة هي: وبعد مدة ذهب رجل من جماعة مسروق اسمه الخ. وفي (ف) كتب الاسم (قران) وليس ضرار، على أنه من قوم مسروق أيضاً.
(6) يلوّج = يفتش أو يبحث.
(7) أي جماعة مسروق.
(8) أي منعوا من النزول فيها.

مسروق وطرد بن دابس

وكان رجل منهم اسمه طرد ابن دابس، شيخ كبير قد أحنى ظهره الكبر، أتى إليهم على عصاه[1]، فوجد مسروق ومن معه حائرين إلى أي موضع يقصدوا، فتكلم كل واحد منهم بكلام.

فقال لهم الشيخ (طرد): أتممتم من الكلام؟

قالوا له: نعم.

قال لهم: لو توّلوني على رقابكم وتبايعوني البيعة الصحيحة لأشرت عليكم حينئذ برأي يكون فيه صلاح[2] ـ إن شاء الله ـ.

قالوا بأجمعهم: فإننا بايعناك على أنك أنت أميرنا وسيدنا.

ثم قال لهم: أزيدكم حجة أخرى، فاذهبوا[3] اسم مسروق (منكم)[4] وتسموا باسمي، (وتكونوا كلكم أولادي، وإذا فرَّ أحدكم بموضع يقول: نحن أولاد طرد)[5].

[6] فقالوا: نعم. فصاروا/ من يسأل عن هذا الفارس؟ وهذه العير؟ فيقول: نحن طرود بن دابس[6].

فغضب مسروق لذهاب اسمه، لأنه أفضل منه، وكان من بني مخزوم، وطرد من الأخلاط، فحلف (مسروق) بالله لا بد أن أفارقكم، فنزل في مدينة القيروان هو وأبناء عمه ثلاثون رجلاً، وبقي هنالك إلى أن سمع بطرود ومن

(1) في (ب) عكازه. وفي (ج) سقطت كلمة (ظهره). وترجمة الاسم في (ف) (طراد) وليس طرد، ولكن الجمع بقي (طرود) كما هو.
(2) في الأصل (صلاحا).
(3) أي أزيلوا.
(4) زيادة في الهامش من الناسخ (أ).
(5) عبارة (وتكونوا... إلى طرد) مضافة في هامش (أ) وموجودة في (ب).
(6) في (ب) فيقول نحن أولاد طرد بن دابس بني مخزوم، وفي (ج) دامس، وفي (ف) طراد بن دابس.

معهم[1] نزلوا قصور عدوان، ليبنوا فيهم[2] (فلما وصلوا إليه)[3]، كما يأتي الخبر ـ إن شاء الله ـ بتمامه آخر الكتاب[4].

قال عدوان[5]: فولوا طرد على رأيهم[6]، ونزل بهم على قرية خربوها أصحاب عثمان بن عفان، يقال لها المهدية، وبقوا على ذلك الموضع ثلاثة سنين.

طرد وأمير تونس

ثم سمع بهم صاحب ترشيش[7]، بعث إليهم حانبه بن سعد ومعه ثلاثون فارساً من خواصه، فأتى إليهم فرحبوا به وذبحوا له جذعة من الإبل فأكلوها، ثم قال لهم الحانبة: إن صاحب تونس يسأل عليكم ويريد منكم أن تقدموا عليه[8].

فأتوا إلى طرد فحدثوه بمقالة الأمير، فقال لهم: نحن رجال لا ولاية لأحد علينا ونريد اتساع البقعة ولا تضيقوا علينا في الحكم، لأن أبانا يربوع[9]، والسلام.

---

(1) في (ج) طرود ومن معه.

(2) (ليبنوا فيهم) زيادة في هامش (أ). وهي موجودة في (ب) وساقطة من (ج).

(3) جملة (فلما وصلوا إليه) زائدة في (أ) وهي غير موجودة في (ب) ولكنها موجودة في (ج).

(4) عبارة (آخر الكتاب) تدل على أن العدواني كان يؤلف كتاباً له بداية ونهاية، وليس راوية فقط أو محدث مجالس، كما ذهب بعضهم.

(5) كذا، أي العدواني، وسترد تارة قال صفوان وتارة قال الراوي، الخ.

(6) في (ف) بيان وهو أن جماعة طرد نزلوا القرية المخربة بعد خروجهم من قابس.

(7) ترشيش = تونس.

(8) في (ف) تفيد الترجمة أن أمير تونس قد أمرهم بالابتعاد عن بلاده، عكس ما هو في النسخ الأخرى.

(9) في (ب) لأن أبانا يعرفوا علينا، بدل كلمة (يربوع) التي هي ساقطة من (ب)، و (ف).

فرجع الحانبه ومن معه إلى صاحب ترشيش، ثم رجع إليهم فقال لهم: ما طلبتموه فهو علينا ـ إن شاء الله تعالى.

قال صفوان: وكنت معهم، فأخذنا في الرحيل، وسرنا حتى نزلنا على إفريقية، وقصدنا الأمير في أربعمائة من الخيل، فأقام[1] إلينا إجلالاً وإكراماً، وفرح بنا غاية الفرح[2]، ونزلنا، وبتنا عنده ثلاثة ليالي، وكان/ الأمير من بني [7] عبد الدار[3]. فلما فرغنا من الضيافة أمر إلينا بكسوة حسنة وقال: غداً ـ إن شاء الله ـ يأتيكم صاحبي[4] ويقسم لكم أرض إفريقية، كل قبيلة على حدتها منعزلة عن صاحبتها، ويفرض إليكم مؤونة إلى خيولكم وكسوتكم، ومن ماتت له فرس فعليّ خلفها، وأقفوا[5] معي لأن إفريقية لا خير فيها، لأن أهلها يأكلون لحم الدجاج، أورثهم ذلةَ الأجساد وشرّ القلوب. قالوا: نعم. ونجعل لكم سوقاً يسمى بسوق أولاد بُزَيد[6]، قالوا: نعم، ومدوا أيديهم[7] للفاتحة.

الميتة وعقلة الطرودي

وبقوا على ذلك خمسة عشرة سنة على ذلك الهيئة، وترعى إبلهم على موضع يقال له الميّتة، وسبب تسميتها لأن الرعاة يرعون هناك وكل ميتة من الإبل يجمعوها هناك، فسميت بذلك الميتة، وهي موضوع ينفذ منه السيل ويفيض كِيفْ تصب النّو، ويرتعن إبلهم وكسبهم أيضاً على عُقْلَة الطرودي[8]،

---

(1) في (ب) قام وهو الصواب.
(2) في (ج) الأفراح.
(3) في (ب) وكان الأمير بن عبد الدار.
(4) في (ج) حاجبي، ويقسم إليكم. أما (ف) فلم تذكر شيئاً عن الكسوة.
(5) يعني كونوا معي. وكلمة (فرس) في الأصل (فرساً).
(6) في (ب) يزيد.
(7) في (ب) أيديكم... وإبلهم... يقال لها.
(8) في (ب) الطرود بدون ياء. وعبارة «كيف يصب النو = عندما ينزل المطر، =

لأن شداد بن حارث مات في ذلك الموضع وهو من طرود، سميت بذلك باسمه، وكانوا طرود من إفريقية[1]، وكان لطرود سطوة عظيمة. وهكذا حالهم.

قصور عدوان

فأخذ عمارة بن سالم[2] والأسد[3] بن سارية يلوجون في الأوطان حتى لقوا قصور عدوان، فلم يجدوا فيها أحداً إلاّ أمة اسمها شحمة، وعبداً اسمه شكر، وشيخاً هارماً[4] قد عدّوا لمن يأتيهم بالأخبار القديمة، قد كان له[5] من العمر مائة سنة وعشرون سنة، وقد نقل عن أبيه قد توفي وهو ابن مائة وخمسون سنة[6].

قال الراوي: وكان بيد الأمة طبل من النحاس فإذا رأت ما تكره ضربته ضربتين، وإذا كان للضيافة ضربته ضربة واحدة[7]، وكان/ من عادة عدوان [8]

= وعبارة (كسبهم) = مواشيهم. والعقلة = محبس المياه.

(1) في (ب) وكان من طرود إفريقة. لم تذكر (ف) أي شيء عن عقلة الطرودي، واكتفت بالقول أنهم (أي طرود) ظلوا يرعون إبلهم مدة خمس عشرة سنة، وأنهم قسموا إبلهم مائة مائة، وأنهم كانوا يرعونها في مكان يسمى (الهايشة) أو العيشة. وهذا يدل على سوء فهم النص، لأن المترجم قد يكون فهم من (الميتة) المائة. ولكننا لا ندري من أين جاء بالاسم العيشة El-Aicha. ولعله يقصد «الهيشة» وهي تعني مجمع الأشجار الطبيعية المتشابكة، في اللهجة المحلية.

(2) (بن سالم) ساقطة من (ج) و (ف).

(3) في (ب) الأسود.

(4) في الأصل عبد... وشيخ هارم.

(5) في (أ) كان لهم، وفي (ج) وكان لهم، بسقوط (قد). في (ف) تحوير في المعنى وهو: أن الشيخ الهرم قد علم من أبيه المتوفي عن مائة وخمسين سنة، أخبار الماضي وأنه، أي الشيخ، يحب أن يقص هذه الأخبار على من يستمع إليه.

(6) في (ب) لا وجود لجملة (وقد نقل عن أبيه... إلى سنة).

(7) في (ب) جملة (فإذا رأت الخ. إلى ضربة واحدة) فيها تقديم وتأخير. أما في (ج) =

يرعون بمواشيهم أول يوم في الربيع، ويأتوا إليهم عرب[1] جبل مجور ويرعون إلى ناحية الأغواط إلى أرض ورقلة.

قال صفوان الراوي: فلما وصل[2] الرجلان إلى القصور، فسألا هل فيها أحد أم لا، فأجابهما شكر: ما فيهم أحد، إنْ كنتم تريدون الضيافة فاقفوا (في موضعكم)[3] حتى نخرج لكم الخبز[4] والماء، وإن أردتم الأخبار والكلام فهلموا إلى ذلك القصر المعروف بالمدينة[5]. قالا: لا بد[6].

فحملهما شكر إلى الشيخ القصي[7] البعيد إلى أن دخلا عليه، فوجدوه جالساً على حَوِيّة محشية تِبْناً، فسلما عليه[8] فرد عليهما السلام فقال لهما: (من)[9] أين أنتما من القبائل، وما تريدان؟ قال الرجلان: من أخلاط إفريقية أتينا نلوج في الأوطان. قال لهما الشيخ: كذبتما! فعندنا في التاريخ أن هذا الوقت خروج طرود، وسيملكون هذه الأرض، قالا له الرجلان: وما هذا العلم عندك؟.

قال: لأن سوف من وراء ظهري، وهذه تسمى بقصور عدوان، وإن شئت قلت قصور الرهبان، وإن شئت قلت قصور النازية[10]. فعرف الرجلان

= فإن الجملة تقرأ هكذا: «فإذا رأت ما تكره ضربته ضربة واحدة.. وكان من عادة عدوان الخ.».

(1) في (ب) (من عرب)، ولم تذكر (ف) عبارة (عرب جبل مجور). ومجور جبل بقرب نقرين.

(2) في (ب) فلما سمع وصلا... (أي عمارة وأسد).

(3) ما بين القوسين ساقط من (ج). واقفوا = قفوا = قفا.

(4) في (ف) زيادة: (واللحم).

(5) إن (المدينة) اسم قصر، كان فيه الشيخ.

(6) عبارة قالا: لا بدَّ غير واضحة، لكن يفهم منها أنهما يريدان الأخبار ضرورة.

(7) في (ب) إلى الشيخ الساكن بالقصر البعيد.

(8) جملة (فوجدوه جالساً... إلى فسلما عليه) غير موجودة في (ب).

(9) ما بين القوسين ساقط من (ج).

(10) سقطت عبارة (قصور النازية) من (ف).

أنه صاحب أخبار. فقالا له: ما معنى قصور الرهبان؟ قال: نعم كان فيما مضى[1] سبعة رهابين من النصارى، بنى كل واحد[2] قصراً لنفسه، ثلاثة من وغلانه، واثنين من جلهمة، وواحد من بادس، وواحد من اتهوده، بنوا هذه القصور يتعبدون فيهم[3].

[9] وأما عدوان فكان رجلاً/ من بني مخزوم، حين[4] فتح أصحاب عثمان أرض إفريقية، وبعث أمير الجيوش الذي دخل إفريقية إلى عثمان أننا فتحنا إفريقية طولاً وعرضاً والغرب، وأخبرنا. فبعث[5] إليهم[6] بني مخزوم وبني هاشم فأتوا إلى المدينة، ولا تخلف أحد منهم، هكذا رواه علي عن رسول الله ﷺ، وقسم[7] الأرض بين باقي الناس. فتخلف عدوان فتزوج امرأة عربية فولدت له عشرين ولداً ذكراً في خمسة عشر بطناً.

وركبوا الخيول وولد لهم الأولاد وهو حي ، وملك من الإبل ألف ناقة ، ومن المعز ثلاثة آلاف ، وقام في أيامهم[8] قياماً حسناً ، وأتوا إليه الناس من كل جانب ومكان[9] ، إلى هلم جرا . انظر العجائب وما

(1) في (ب) و (ج) كان فيها موضع سبعة الخ.
(2) في (أ) كل واحد منهما.
(3) جملة يتعبدون فيهم ساقطة من (ب).
(4) في (ب) وحين فتح الخ أي أن جدّ عدوان قد جاء مع جيش الفتح.
(5) أي الخليفة عثمان. ويعني «بالغرب» المغرب الأوسط والأقصى. والمعنى كما جاء في (ف) أن الخليفة أمر بأن يرجع بنو مخزوم وبنو هاشم إلى المدينة المنورة. وعبارة (هكذا رواه علي عن رسول الله ـ ﷺ ـ) لا معنى لها هنا. وأسقطت (ف) جملة تقسيم الأرض. أما زواج عدوان فتذكر (ف) أنه تزوج من امرأة «أهلية».
(6) المعنى يستقيم إذا استبدلت (إليهم) بـ(إلى)، وتصبح العبارة بعدها هكذا: (ولا تُخَلِّف، أيها الأمير، أحداً منهم).
(7) كلمة (وقسم) ساقطة من (ب). وتعني أن الخليفة عثمان أمر الوالي بتقسيم الأرض على الباقي، أي عدا بني مخزوم وبني هاشم.
(8) في (ب) أيامه.
(9) كلمة (مكان) ساقطة من (ب).

مضى[1] من الغرائب إن كنت عاقلاً.

قالا له: أين سوف؟ قال لهما[2]: سوف أول من ملكها لؤي بن لونان[3] من ذرية بني هلال. وقاموا فيها مدة، حتى ظنوا أنهم أهلها، نحو أربعون سنة[4]. ثم نزلوا عليهم ابن نلوت[5]، فأقام فيها أربعون سنة ثم أخرجوهم (بني)[6] مرداس، وقاموا فيها أربعين سنة وظنوا أنهم أهلها، ثم خرجوهم منها ابن مرين[7] بن نزال من ذرية بني عافية، ثم نزل عليهم عدوان، هذا الذي نحدثكما عنه. وخرجوهم منها. وعندنا في الكتب (القديمة)[8] أن عدوان يملكوهم طائفة من العرب يسمى أميرهم بطرد[9] وتسمى قبيلة[10] بطرود، وهم أهل سوف، ولا يكون لهم غالب فيها، ولا يخرجهم أحد إلا الله إلى أن تقوم الساعة، فإنا لا نكذب. فإن تخلفت القاعدة فهي الكاذبة، والله أعلم/ . [10]

ولا بد أنتما طرود، وهذا أوان خروجكم وظهوركم[11] في هذه البقعة، قالا لبعضهما بعض: من حيث ظهر لنا هذا الخبر، وقد أعجبتنا هذه الأرض،

(1) عبارة (وما مضى) ساقطة من (ب) ومن (ف).
(2) في (ج) قال له: أين سوف؟ قال له الخ. وهو يعني الرجلين: عمارة والأسد السابقين.
(3) في (ف) بن لقمان.
(4) في (ب) نحو الأربعين عاماً. وكذلك في (ج)، وفي (ف) مدة أربعين سنة. وكلمة (نحو) في (أ) مكتوبة (نحن) فاستبدلناها. أما الخطأ النحوي فقد تركناه على حاله.
(5) في (ب) أيضاً نلوت، وفي (ج) نوت، وفي (ف) تلوت.
(6) ما بين القوسين من (ب) وفي (ف) بني عداس (العدايسية) وهم من هوارة التي منها، حسب تعليق فيرو، الحنانشة والحراكتة، والنمامشة. وأسند ذلك إلى ابن خلدون.
(7) في (ف) بني مرين بن نوال. وفي نسخة التليلي (أمدين بن يزنوال).
(8) ما بين القوسين زيادة من (ب). وهو يعني كتب التاريخ والأخبار.
(9) في (ف) طراد.
(10) في (ب) قيلة.
(11) كلمة ظهوركم ساقطة في (ب).

فهيّا نرجع[1] إلى قومنا.

قال الراوي فأخذا ظهور خيولهم، وأخذ الشيخ يريد أن يودعهما وطال الكلام وهم يتحدثانه، فقال لهما: انزلوا على ظهر الخيول[2]، أما سمعتم قول النبي ﷺ لا تجعلوا ظهور دوابكم منابراً؟ قالا: ما هذا إلا حكيم زمانه. فأطلقوا أعنة[3] خيولهم إلى أن أدركوا قَوْمَهُمَا بباجة[4]. وقد أعجبتهم لوسعها وبُعْدِها من الأخلاط، وأرض حراثة، وقد شكوا من الوخم لأن أكثرهم ضرهم الوخم[5].

رحيل طرود من نواحي باجة إلى قصور عدوان

قال الراوي فاجتمعوا قومهما عليهما وسألوهما ما وراءكم من الخبر؟ وهل رأيتما أرضاً غير هذه؟ فقالا لهم: يا قوم لقد رأينا بلاداً متسعة غاية وخالية من المخزن وتصلح[6] لرعاية الإبل والغنم، لأن طرود يحبون الغنم لطراوة لبنها، إلا أن لها اليوم ساكناً[7]. وحدثا قومهما بما حدثهما الشيخ.

فكان أول من نطق رجل يقال له يزيد[8]. قال لهم: يا قوم كيف تتركون أرض الحراثة وتقيمون بأرض غيرها؟ وكيف تتركون بلاد الأمراء وتقيمون في

---

(1) في (أ) نرجعا.

(2) في (ب) ظهر الخيل. وقد أسقطت (ف) الجملة التي تبدأ (وأخذ الشيخ إلى... حكيم زمانه).

(3) في (أ) أعانة. ولاحظ اختلاف الضمائر رغم أن الحديث عن شخصين.

(4) لم تترجم (ف) هذا الاسم، ولا معنى وجود طرود في باجة.

(5) مرض يصيب الأمعاء من تعفن المياه (البالوديزم).

(6) كلمة (تصلح) ساقطة من (ب). أي ليس فيها سلطة أو إدارة رسمية، وذلك هو المقصود من كلمة (مخزن).

(7) أي أنها الآن مسكونة.

(8) هذا الاسم غير مذكور في (ف).

أرض الغرض، وستحتاجون إلى الأمراء[1]، وتتمنونه ولا تلقونهم، هذا ما عندي.

وصار كل واحد يتكلم بما ظهر له، فاجتمع رأي خمسة رجال ومعهم قومهم، أولهم زايد في العدد[2]، وحامد الرأي، وقائد الخيل، وزبدة القوم[3]، وغنام، فخرجوا من مجلسهم وأمروا أهليهم بالرحيل/ وتخلف [11] أبو زيد وعلي بإفريقية، وبقوا إلى زماننا هذا، انظر[4] العجائب.

قال الراوي: وخرجوا من إفريقية على رأس ثمانمائة من الهجرة[5]، ولا زالوا يسوقون إلى أن نزلوا على بلد نفطة.

فدخلها رجلين يسأل عن أخبارها وحالها[6]، فأعجبتهم وقاموا فيها سبعة أيام بلياليها، ورجعوا إلى قومهما وسألوهما عن حال البلاد فقالا: هذه بلاد ذل، والمؤمن لا يذل نفسه، وبلاد الله واسعة، فمرض الرجلين بالوخم فماتا ودفنا هناك، وقبرهما معروف بالدحداح والبرّيان[7] بقرب نفطة.

قال الراوي: ولا زالوا يجدّون السير إلى أن وصلوا قصور عدوان،

---

(1) من (وتقيمون إلى كلمة الأمراء الثانية) ساقط من (ب). والجملة نفسها فيها تقديم وتأخير في (ج). وعبارة (أرض الغرض) تعني مكان الخصومات والفوضى، بدون حكومة.

(2) في (ب) في العد.

(3) كلمة (القوم) ساقطة من (ج). ولم تذكر (ف) أي واحد من هؤلاء الخمسة، واكتفت بذكر عملية الرحيل مما يدل على أن المترجم كان يختصر ويكتفي أحياناً بالمعنى العام.

(4) عبارة (إلى زماننا هذا) ساقطة من (ف) ولكنها أضافت أن أبو زيد وعلي بقيا مع اتباعهما أيضاً. وقد مرَّ بنا أن أبا زيد يكتب أحياناً بُزَيد.

(5) 800هـ = 1397م كما في (ف). هذا إذن في رأي العدواني هو تاريخ نزوح طرود إلى سوف.

(6) في (ب) عن أخبارهما وحالهما. ويجب أن تصاغ الجملة على النحو التالي: فدخلها رجلان يسألان عن الخ. فأعجبتهما وأقاما فيها، ورجعا...

(7) في (ج) الرّيان وفي (ف) ريحان Rihan.

فنزلوا بموضع يقال له الزرق[1]. وبعثوا أربعمائة من الخيل إلى أن وقفوا على شحمة صاحبة طبل عدوان. فلما نظرت إليهم[2] أنكرت عدتهم وقالت لهم: ما تريدون عندي؟ قالوا: نريد منك الضيافة. قالت: ما أنتم باغيين الضيافة وإنما أنتم باغيين[3].

طرود وأمير إفريقية

قال الراوي فسمع بخروجهم صاحب تونس إلى الصحراء فأجمع إليهم أهل دولته، وقال لهم: يا قوم[4] ما بلغكم من عمل طرود؟ قالوا: سمعنا بذلك. قال لهم: اليوم تناموا هنيئاً، لأنهم أهل بغي وفساد، ولا يصلحون بأرض الحكم لأنهم أهل غرض وفساد[5]، قالوا: نعم.

وفي رواية صفوان: كنا جلوساً ذات يوم حول أميرنا طرد، وقد أهلكنا أهل[6] إفريقية بالفساد والبغي حتى وصل بعضنا الحريم[7] ـ والعياذ بالله ـ فشكت أهل إفرقية للأمير، وقال: يا قوم ما تريدون؟ قالوا: نريد أن تخرجهم عنا وعن بلادنا، إن لو كان فيهم خيراً ما خرجوا / من الشام إلى المغرب. [12]

قال دبروا كيف نخرجهم بالرأي (من)[8] غير غضب، فتكلم كل واحد منهم

---

(1) في (ف) الزاف Al-Zâf.
(2) في (ج) نظرت رأيهم.
(3) في (ب) تقرأ العبارة هكذا (قالت لهم: ما تريد الضيافة، وإنما أنتم حينئذ باغين). وباغيين الأخيرة = معتدين.
(4) عبارة (يا قوم) ساقطة من (ب).
(5) كلمة (فساد) ساقطة من (ب).
(6) كلمة (أهل) ساقطة من (ب).
(7) في (ج) حتى وصل بعضهم بعضنا الحريم، والمعنى أنهم ارتكبوا الفظائع حتى ضد الحريم (النساء)، مما جعل أهل إفريقية يشكون إلى الأمير ويطلبون إخراجهم منها قائلين له: لو كان فيهم الخير ما خرجوا من بلاد الشام.
(8) (من) زيادة من (ب).

برأي، إلى أن قال واحد من أرباب دولته: أصلح الله (أحوال)[1] الأمير، أشير عليك بالرأي فيكون فيه خير إن شاء الله، قال (الأمير): وما هو؟ قال: إن[2] طرود أهل إبل وغنم، وقل لهم إني محتاج إلى مائة ناقة سود السنام لكي نبعثها هدية إلى صاحب طرابلس، فلا يعطوك لأني رأيت منهم قلّة الصواب[3]، والمعاين أصدق من الخبر، قالوا[4]: هذا هو الرأي.

فبعث إليهم حانبة[5] في ثلاثين من الخيل، فوصلوا إليهم فوجدوهم رغبوا في سكن إفريقية، فلما حدثوهم بمقالة الأمير، قالوا لهم: انصرفوا عنا إلى غد نجتمعوا مع بعضنا بعضاً، فحدثتهم أنفسهم إن لو[6] أعطينا اليوم مائة ناقة أو خمسين[7] لبقت علينا عادة. فاتفق رأيهم على الخروج من إفريقية، فلما جن الليل حملوا على إبلهم فقصدوا المغرب، وحيثما وجدوا أرضاً غلبوا أهلها ونزلوها، إلى آخر الكلام[8].

استيلاء طرود على قصور عدوان

قال الراوي: فلما وصلوا شحمة أمروها بالضيافة، قامت[9] لهم وأتت لهم بخبز وماء، فنهروا عليها وقالوا لها: لا بد لك أن تأتينا بالتمر والثريد

---

(1) (أحوال) زيادة من (ب).

(2) (إن) زيادة من (ج).

(3) أي سوء التدبير وفي (ب) العبارة هكذا: (فلا يعطونك، قلّت الصواب الخ. وهي عبارة غير واضحة أما (ف) فلم تذكر شيئاً عن الهدية إلى صاحب طرابلس، كما أنها عكست المعنى تماماً فجعلت صاحب إفريقية هو الذي يعرض على طروف النياق لكي يغادروا بلاده.

(4) المراد المثل القائل: (المعاينة) (المشاهدة) أقوى دليل، وقالوا = قال (أي الأمير).

(5) أي فرقة من الجيش، والحانبة كلمة تركية.

(6) (لو) غير موجودة في (ب).

(7) في (ب) مائة ناقة وخمسين ناقة.

(8) في (ب) كلمة (آخر) ساقطة. والمقصود (بالمغرب) = الغرب، أي اتجهوا غرباً.

(9) في (ج) فأقامت.

والمرق. ثم[1] هربت منهم، وعرفتهم أنهم لم يقصدوا الضيافة، وأتت إلى طبلها وضربته ثلاث ضربات حتى إن الشيخ قام مرعوباً. وكان من عادتها إذا رأت العدو ضربت ضربتين.

قال صفوان: ونحن لم نعرف قاعدة الأمة[2]، وبقينا هنيهة نحن وزوجها شكر إلى أن رأيت الخيل تتسابق إلينا وبأيديهم / الرماح والعوالي، [13] وإذا بهم أربعون من الخيل، فتسابقنا إليهم فقتلوا لنا رجلاً على حين غفلة منا، ثم رجعنا إليهم فكنا يومئذ خمسمائة من الخيل عدا الرجال وقبضناهم بالكف وقتلناهم عن آخرهم.

ثم أتت لنا ثمانون من الخيل فقصدوا الحرب فقاتلونا وقتلناهم إلى أن جرح لنا عدي وعماره السلمي[3] ومات منا خمسة: رافع الطائي ومنصور بن سالم اليربوعي وهلال ابن أمية[4] وحنظلة وخالد بن جابر وقتلنا منهم نحن اثني عشر[5] رجلاً، وبتنا نتحارسوا. فلما أصبح الله بخير الصباح وجدنا عددهم[6]. وقصدناهم إلى غروب الشمس[7]. وقد مات منا سبعة ومات منهم خمسة. وبتنا فلما أصبح الله بخير الصباح وجدنا عددهم تزايد[8]. فأرسلنا إلى رجال قومنا ، وكانوا نازلين على قصر البومة، فأتوا إلينا خمسمائة راجل، وتلاقينا من مزارة سيدي رضوان وقبره،

---

(1) في (ج) حتى هربت. في (ف) أن شحمة رفضت إعطاءهم الخبز والماء. كما أهملت هذه النسخة الحديث عن طلبهم منها الثريد والمرق إلخ وعن الرعب الذي أصاب الشيخ الخ.

(2) يعني عادة شحمة في ضرب الطبل.

(3) في (ف) ثلاثة: عدي، وعمارة، والسلمي.

(4) في (أ) بني أمية. وفي (ف) هلال بن معاوية.

(5) في (ف) الموتى خمسة عشر رجلاً.

(6) المعنى: وجدنا نفس العدد. وفي (ج) وجددنا.

(7) في (ب) من طلوع الشمس إلى غروبها. وعدد القتلى في (ف): خمسة من الضيوف و 107 (مائة وسبعة) من المغيرين (غير طرود).

(8) كلمة (تزايد) ساقط من (ب).

وتقاتلنا[1] ذلك اليوم كله[2] والليلة، فلما قرب طلوع الفجر ولّوا الأدبار، ولحقنا في أثرهم إلى واد ريغ، فقتلناهم عن آخرهم، ولا نجا إلاّ من طال عمره.

قال الراوي ـ رحمه الله ـ ورجعوا طرود إلى موضع خيامهم، فكان يوماً[3] إذا بالخيول قد أتت إليهم خمسمائة فارس وثمانمائة[4] راجل بنسائهم وذراريهم إلى خيام طرود[5].

قال الراوي: حدثني معمر بن سالم، قال: كنت حاضراً الواقعة عدوان حين أتوا إلينا عند خيامنا. انظر تقلب[6] الأيام **﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾**. قال: ثم قمنا في / وجوههم وصبروا لنا صبراً عظيماً حتى [14] ماتت امرأة لنا كانت بأعمدها[7] تقاتل مع الرجال، ثم سمع بموتها زوجها فنهر علينا وصاح ونادى:[8] يا ولاد العرب! يقتلوا[9] ذرية العبيد زوجتي وأنتم مقيمون بموضعكم، وإن العرب كادت أن تهرب وتقلع أعمدتها، وكانوا يومئذ[10]عندهم بنادق ومائتين والباقي بالرماح.

قال الراوي: ثم عدت[11]طرود للهروب إلا زوج المرأة، قال

---

(1) في (ب) وتلاقينا، في (ف) أن المغيرين (غير طرود) هم الذين كانوا في قصر البومة.
(2) كلمة (كله) ساقط من (ج).
(3) أي ذات يوم، أو لم يمض إلا يوم.
(4) في (ف) ثمانون راجلاً فقط.
(5) من قال الراوي إلى طرود ساقطة من (ب)، والمعنى في (ف) أن هذه الخيول والفرسان جاءت إلى طرود مهاجمة لهم.
(6) في (ب) انظر العجائب وتقلب الأيام. ولم يترجم (ف) الآية الكريمة.
(7) أي كانت تقاتل محتمية بعمود الخيمة.
(8) في (أ) وناده، وفي (ب) نادا.
(9) في (ب) يقاتلوا. والمعنى: أيرضيكم، أيها العرب ـ أن يقتل أبناء العبيد زوجتي ولا تفعلوا شيئاً؟.
(10)في (ب) وكانوا (باين)، ولعلها بايتين.
(11)عدت = استعدت.

(الراوي): ثم غطوا وجوههم بطرف ثيابهم[1] وصاح بعضهم لبعض: يا قوم أتريدون أن تملكوا أرض الرجال من غير حرب، إياكم! ثم إياكم!

قال صفوان: وأتت إلينا نساءنا وبأيدهم أولادنا حتى أن المرأة تقدم الرجال[2]، وتقول: اتركونا نتزوجوا العبيد، حتى أخذت الرجال الغيرة لأجل ذلك[3] وتقدمت الخيل للخيل والرجال للرجال، وذلك من طلوع الشمس إلى غروبها.

وبات كل واحد بموضعه، وبقت القتلى مطروحين ولم يفقدوا واحد[4] مما لحقهم من التعب، والنساء قائمة للحرس تلك الليلة فلما أصبح الله بخير الصباح أخذ كل واحد في صلاح شأنه، وإذا بعدوان قد ركبت خيولها وتقدمت إلى طرود على غير هيئة، ثم ركبت طرود خيولهم وتلاقوا بهم وصارت الرماح ترشق[5] والنبل ترمي إلى غروب الشمس. ونزل كل واحد على حدته، ولم يفقدوا من مات إلى طلوع الفجر.

قال الراوي: فلما طلعت الشمس من اليوم الثالث ركبت عدوان خيولهم، وأتوا إلى طرود وقد / غلبوا وظنوا أن لا يبقى أحد منهم. وأن [15] عدوان كل يوم يتزايد في العدد وطرود في النقص؛ وركبت خيول طرود[6] وتقاتلوا قتالاً ذريعاً، إلى غروب الشمس.

فلما أصبح الله بخير الصباح بعثوا طرود إلى عدوان: اليوم لا

(1) في (ب) تقرأ العبارة هكذا (قال في وجوههم بطرف ثيابه، يا قوم) الخ.

(2) في (ب) للرجال. والمقصود من ذكر النساء والعبيد والأولاد هو تحميس الرجال حتى لا يفروا.

(3) في (ب) تقرأ العبارة هكذا: (لأجل ذلك مقالة النساء. قال الراوي: وتقدمت الخ.).

(4) في (ب) ولم يقدروا على دفن واحد مما لحقهم من التعب من الفريقين. قال الراوي: وبقيت النساء قائمة للحرس الخ.

(5) كلمة ترشق ساقط من (ب).

(6) في (ج) طرد وكلمة (غلبوا) في النص تعني أن التعب قد أنهكهم. والمعنى العام للجملة أن المدد كان يصل إلى عدوان بينما عدد طرود كان في نقصان.

قتال[1] نحملوا موتانا وتحملوا موتاكم[2]. قالوا: نعم، فحملوا موتاهم، فوجدوا قد مات من عدوان ثلاثمائة وسبعين رجلاً، ومن الخيل مائة وثمانون فرساً. (قال الراوي)[3]: ومات من طرود مائتين وستون رجلاً من الخيل أربعون فرساً جياداً.

قال الراوي: وإن طرود كان تخلفهم أنهم بعثوا إلى عرب مجور[4] يأتوا إليهم، وقد نزلوا على بلد نفطة. فلما كان في اليوم الخامس بعثوا (طرود)[5] إلى عدوان: لا قتال (بيننا)[6]، نستريحوا وغداً ـ إن شاء الله ـ القتال، قالوا: نعم. وحدّث (عدوان)[7] بعضهم أنهم يرجون نجدة تأتيهم، اقصدوهم على غفلة منهم واقتلوهم، لأننا نظرنا منهم التقصير.

قال (الراوي)[8] صفوان: فكنا في خيامنا[9] حتى دهمتنا الخيل ونحن على غفلة، وقمنا بعون الله إليهم، ولا زال القتال بيننا وبينهم إلى الظهر، حتى ظهرت لنا راية من قبل نفطة، فانكشفت عن مائتين من الخيل وثلاثمائة راجل، والناس قد تعبوا. فلما نظرنا إليهم عرفناهم أنهم منّا، وأنهم من نسل هَمَّام الحميري المعروفين بالهمامة. وقمنا إليهم بأجمعنا، وصبروا لنا صبر الكرام إلى غروب الشمس، فلما رأونا قد زدنا في الحرب، وأمرنا نساءنا أن

---

(1) في (ب) لا قتال بيننا ونحمل موتانا الخ.

(2) في (ج) نحملوا قتلانا موتانا وموتاكم.

(3) عبارة (قال الراوي) وردت في (ب).

(4) لم تشر (ف) إلى هذه القصة أي استنجاد طرود بعرب مجور، ولم تذكر اسم نفطة في هذا المجال.

(5) (طرود) زيادة من (ب).

(6) (بيننا) زيادة من (ب).

(7) (عدوان) زيادة من (ب)، وبعدها يقرأ هكذا: بعضهم بعضاً أن طرود يرجون نجدة منهم تأتيهم، إلخ. أي أن عدوان قد علموا أن طرود كانوا ينتظرون النجدة، فقرروا عدم إعطاء الفرصة لطرود.

(8) (الراوي) زيادة من (ب).

(9) في (أ) أخيامنا.

يلبسوا الثياب البيض ويأخذن[1] بأيديهم / الرماح من الطرفه، ولووا[2] [16] الأدبار، وركنوا إلى الفرار، فسهل الله لنا في غلبهم، وهربوا أمامنا ونحن في أثرهم، فقبضنا منهم مائة امرأة في وسط الهوادج، وقتلنا منهم سبعمائة راجل، وهربوا في ظلام الليل في وسط الحشان[3]، وصرنا نأخذ المشاعيل[4] ونفحصوا عنهم.

زينب بنت تندلة والصُلح

وبتنا عند الولية الصالحة زينب بنت تندلة[5]، ودخلنا بيتها، كلما وجدنا فيها من الطعام والتمر أكلناه. فلما شعرت بنا أتت إلينا مغضبة وقالت: يا قوم! من أخذ لنا شيئاً[6] من غير الطعام والتمر[7] فليرده إلي. فردوا لها ما أخذوه منها إلاّ غنّام[8] بقت عنده سقاء ماء، فلحوا عليه[9] فلم يردها لها. ثم قالت: أما من أخذ مالي ورده إلي يجعل الله له رزقاً في هذا الواد بحرمتي، ومن أخذ ما لي ولم يرده إلي فيجعله خديماً لي ولأهل هذا الواد!

---

(1) في (أ) ويأخذ، وفي (ج) ويأخذ بأيديهم، والمعنى بأيديهن، لأنهم حاولوا أن يوهموا الخصم بكثرة العدد، فأمروا النساء بارتداء الثياب البيضاء وحمل الرماح كأنهن رجال في عدة الحرب.

(2) (ولوا) يشير إلى عدوان. و (الطرفة) أي من الطرفاء، وهو شجر معروف بجودة رماحه.

(3) الحشان ـ بشد الشين ـ يعني به النخيل الصغير المتشابك.

(4) في (ب) (المشاعيب).

(5) تندلة تقع حالياً في وادي ريغ. على مسافة حوالي 70 ك م شمال تقرت.

(6) كلمة (شيئاً) ساقطة في (ب).

(7) كلمة (والتمر) ساقطة من (ب).

(8) أي إلاّ الرجل غنام فإنه لم يرد لها سقاء الماء، أي القربة؟. ولم تذكر (ف) قصة غنام. وهو أحد السبعة الذين تقدم ذكرهم عند الحديث عن جماعة مسروق، وسيعود إلى ذكره أيضاً.

(9) في (ب) فلحقوا في أثره.

قال صفوان: ثم أتينا راجعين بعدما أمرتنا الولية بالرجوع والعفو عمن بقي، فأجبناهم لذلك، ثم قالت لنا: لو تقبلوا كلامي ونصيحتي أن تحملوا بقية الذراري والنساء والشيوخ إلى وطنهم، ويكونوا لكم عوناً على عدوكم، لأنهم إذا كبروا لم يعرفوا أحداً غيركم، وإذا لم يعرفوا أحد غيركم صاروا منكم، وتزوجوا بناتهم[1]. قالوا: هذا هو الرأي. ثم أتنوا راجعين إلى القصور[2]، بعدما جمعوا الإبل والأسلاب، فكانت جملة الإبل التي أخذوها ألفين وسبعمائة وأربعين ناقة، ورجعوا من عند الصالحة زينب (بنت تندلة)[3].

قال الراوي: ثم ودعتهم وقالت لهم: يا قوم احسنوا يحسن الله لكم فاليوم صاروا في حماكم، وأنا المراقبة/ عليهم فإن قبلتم قولي ونصيحتي [17] فنطلب الله أن يجعل ولاية واد ريغ على يديكم وتكون لكم الحرمة والاحترام ولا يولي عليكم ظالماً تخاف منه وتكونوا أرزاقكم ومعيشتكم أكثرها[4] من هذه الدار. قالوا: ننكروا الولاية التي تضيّق علينا[5] فقالت لهم: اشهدوا علي، لا يجعل والياً ولا أميراً عليكم ولا منكم إلى يوم القيامة. ثم حملوا النساء والصبيان والشيوخ ورجعوا[6] إلى قصور عدوان.

قال ذلك الراوي: فبقوا على ذلك مدة من خمسة عشر سنة، بعدما

---

(1) في (ف) وتزوجوا (أي عدوان) بناتكم.
(2) أي قصور عدوان. أتنوا = اتنوا.
(3) ما بين القوسين زيادة من (ب)، وفي (ف) توسع في وصية الولية زينب لطرود بشأن حسن معاولة عدوان، وهي الناصحة بالعفو عنهم الخ. ولم تذكر (ف) حصيلة الإسلاب التي أخذوها لعدوان وهي 2740 ناقة وإنما ذكرت فقط 700 (سبعمائة) جمل حملوا عليها الإسلاب ورجعوا إلى القصور.
(4) كلمة (أكثرها) مفقودة من (ب). وكلمة تخاف = تخافون.
(5) في (ب): قالوا لها ننكروا الولاية التي تضيق فقالت: لهم الخ. أي أنهم كانوا ينفرون من أية سلطة مخزنية، ولو كانت منهم.
(6) كلمة ورجعوا ساقطة من (ب).

قسموا[1] القصور وأهلها[2] على الأولاد المذكورة، وبقوا بقية عدوان تحت أيديهم.

قال الراوي: فكانت هذه الوقعة في شهر الله محرم فاتح سنة ثمانمائة بعد الهجرة[3].

حروب طرود في الجريد على المراعي

فلما[4] كان ربيع الثاني[5] وإذا برجل من عدوان[6] سمع بأهليهم اعطوهم الأمان، وكان عند عرب مجور، وقيل عند نهد[7]، وقال لهم: يا قوم، إن العرب قد جزعوا[8] عن اخوانهم، وقد جمعوا لكم العربان ومن كان في الجبال، وإن صاحب قرفة وخيل البربر وكافة القبائل قد عولوا على قتلكم، وأظنهم[9] قادمين عليكم الساعة قالوا: بَٱلْحَق؟[10].

ثم جمعوا أنفسهم ومن كبر[11] من عدوان، وبعثوا إلى بقية طرود الذي بافريقية، وإلى عمر بن حنظلة في القيروان، فأتوا إليهم[12]. وبعث عمر بن

(1) كلمة (قسموا) ساقطة من (ب).
(2) (أهلها) ساقطة من (ب).
(3) سنة 800هـ = 1397.
(4) (فلما) ساقطة من (ب)، وبناء على (ف) فإن ظهور الرجل العدواني كان بعد خمسة عشر عاماً، أي ربيع الثاني سنة 815 (1411 ـ 1412م).
(5) أي سنة 815.
(6) (من عدوان) ساقطة من (ب).
(7) لم تذكر (ف) عرب مجور ولا الاسم (نهد) واكتفت بعبارة (القبائل العربية).
(8) في (ب) عجزوا.
(9) في (ب) وأنهم، وفي (ج) وأظنه قادم عليكم. ولم تذكر (ف) صاحب قرفة.
(10) أي هل هذا صحيح؟.
(11) كلمة (كبر) ساقطة من (ب). والمقصود من أصبح قادراً على الحرب من شباب عدوان.
(12) فأتوا إليهم ساقطة من (ب).

حنظلة ولِداناً له، واحد عبد الله وحمد ومزيد، فأتوا[1]. وجدّوا السير إلى أن وصلوا محروسة توزر، فبقى عبد الله ومزيد فيها، وانطلق حمد بمن معه، فوجد طرود قد عولوا على القتال مع عدوهم.

قال الراوي: أما أولاد عبد الله فهم أولاد عبد الله المعروفين بأولاد [18] عبد الله، نقباء[2] الشيخ/ سيدي أحمد الغوث، ومزيد أولاده المزايد معروفين[3].

قال الراوي: فلما وصل إليهم حمد قال: يا قوم إياكم نقتلوا[4] العدو، فقالوا اشْغُلْنا السواد واطوال الأعناق[5]، قال لهم: أنا اكفيكم[6] ما تريدون، قالوا له: انصرف إلى قبر موسى وإلى قرية اسبيطل[7] أرعى بالإبل، قال: نعم، وأخذ الإبل والماعز.

قال الراوي: وإذا بالعدو قد أقبل كله، وكانوا ثلاثة آلاف[8] فارس.

قال صفوان[9]: فتلقيناهم عند طرف الجبل واحْدَروا هم[10]

---

(1) في (ب) العبارة هكذا: فبعث إليهم عمر المذكور ثلاثة أولاد واحد اسمه عبد الله والثاني حمد والثالث مزيد مع جماعة طرود الذين بإفريقية فجدوا السير إلى محروسة توزر الخ. وفي (ف) ذكرت أحمد وليس حمد.

(2) في (ج) بقباء.

(3) في (ج) ومزيد أولاد المزايد المعروفين.

(4) في (ب) إياكم تقتلوا العدو.

(5) يريدون: بالسواد الغنم وطوال الأعناق الإبل، أي أن عملنا (اشغلنا) هو رعاية الغنم والإبل.

(6) في (ج) قال لهم اكفيكم. وفي (ف) أن المعنى هو أن طرود ومن معهم من عدوان يريدون الأرض الواقعة بين قبر موسى وسبيطلة لرعايتهم.

(7) سبيطلة مدينة تقع حوالي 70 ميلاً غربي القيروان، كما في الإدريسي، نزهة، ص 145.

(8) كلمة (آلاف) ساقطة من (ب).

(9) في (ب) قال الراوي بدل صفوان.

(10) في (ب) (وحدروهم)، والمعنى انحدروا في أثرنا. وفي نسخة (التليلي) وحدّروا هم في أثرنا. وفي (ج) وأحدرنا وهم.

في أثرنا وقد غلبونا.

قال الراوي: فبعثنا إلى زينب بنت تندله، فأعطتنا طرف ثوبها وجعلتُه فوق رمح[1] وسرنا إليهم، فأول من مات منا[2] وازارن بن سالم، من بني أمية وقبره معروف، ونحن وإياهم (نتقاتلوا)[3] للعصر، فولوا الأدبار، وقمنا في أثرهم إلى وقت العشاء، ورجعنا وبتنا في خيامنا إلى غد.

فلما طلع الفجر وإذا بالخيل قدمت علينا فتلقيناهم عند قبر وازارن، وأتوا إلينا وهم يقولون: يا أرضنا ويا بلادنا! ولا زلنا في القتال إلى العصر وحملنا ما مات[4] منا وما انجرح، وقد مات منهم مائة وستين[5] رجلاً وعشرة من الخيل، ومات من عربنا سبعين رجلاً وعشرون فرساً[6]. وبتنا[7] إلى صباح غدا[8]، وإذا بهم قد أقبلوا إلينا ولبسوا السواد على وطنهم، ولاقونا ولقيناهم، فلم نلقوا حرباً إلى صباح غد، وقلنا هؤلاء نحملوا عليهم قبل حمولهم علينا[9]، فلما رأونا قادمين إليهم هربوا منا، ولحقناهم فولوا علينا وقتلوا منا سبعة: زعرور، ومعمر بن موسى[10]، ومحمد اليربوعي، وقابس بن سرية، وسعد بن عمارة، وجدى بن كعوان، وبشر السلمي[11].

---

(1) في (ب) العبارة هكذا: (فأعطتنا طرف من ثوبها وجعلته فوق رمحي..).
(2) في (ج) فأول من مات وازارن، وهو في (ف) (زوزان بن سالم من بني معاوية).
(3) ما بين القوسين زيادة من (ب).
(4) في (ب) من مات، ومن جرح، وفي (ج) وحملنا وما مات منا أحد، وما انجرح. وفي (ف) مائة وعشرون فرساً بدل عشرين.
(5) في (ج) وستون.
(6) في (ج) فارساً.
(7) في (أ) وبتا.
(8) في (ب) زيادة وهي (فلما أصبح الله بخير الصباح وإذا بهم الخ..).
(9) في (ب) حمولهم علينا وقتلوا فلما الخ. أي بزيادة (قتلوا)، وفي (ج) قبل حملوهم علينا وقتلوا فلما الخ. أي بزيادة (قتلوا)، وفي (ج) قبل حملهم علينا.
(10) عبارة (ابن موسى) ساقطة من (ب).
(11) في (ف) الأسماء كالآتي: الأعرور، ومعمر بن موسى، عمر (عامر؟) الأربوح، =

[19] قال الراوي: وزدنا عليهم بالنساء والذراري/ فتحصنوا بامديله[1]. وبقينا[2] عليهم ثلاثة أيام حتى سمعنا (من)[3] يقول: الأيام لله والأرض لله، الأمان! الأمان!

قال صفوان: فرجعنا عليهم بعد جذاذها إلى رطابها[4].

قال الراوي: وحملنا الأعمدة ورجعنا إلى القصور[5] فبقينا فيها مدة ما شاء الله.

طرود والأمير الحفصي

فحدثنا[6] أنفسنا على طلب الحفصي[7] مما عنده من الكسوة والعلفة، فبعثنا إليه رجال من قومنا فقال: يا قوم[8] ما أظنكم لا عقل لكم، أعطيناكم لكي تحرسوا بلادي وتدفعوا[9] عن أرضي.

قال الرواي: فرجعوا إلى طرود[10] وأخبروهم بمقالة صاحب

= وقابس بن سارية، وجابر بن كعوان، وبشير السلمي. ولا شك أن بعض الأسماء لم تترجم بدقة مثل زعرور والأعرور، واليربوعي والأربوح.

(1) لم تذكر (ف) اسم المكان (امديلة)، وإنما ذكرت فقط أنهم لجأوا إلى ملجأ. و (أمديلة) تقع بنواحي بئر العاتر، شمال شرق افركان.

(2) في (ج) ولا بقينا عليهم.

(3) ما بين القوسين زيادة منّا.

(4) في (ج) إلى رطبها.

(5) أي قصور عدوان.

(6) في (ب) فحدثنا وكذلك في (ج).

(7) في (ب) (الحفـ)، وهي الحفصي كما في (ج)، والمعنى أنهم احتاجوا إلى الكسوة والطعام فأرسلوا وفداً إلى الأمير الحفصي الخ. والحفصي هو محمد الحفصي أحد باشوات العثمانيين في تونس، عين سنة 1091/1680.

(8) في (ب) أظنكم بدون (ما).

(9) أي تدافعوا. والترجمة في (ف) أن الأمير قال لهم لن أعطيكم شيئاً وسأدافع عن بلادي.

(10)(إلى طرود) ساقط من (ب).

المعلقة[1]. فاجتمع رأيهم إلى الأمير طرد، وتحدث كل أحد منهم بما ظهر له فقال طرد: إيكام واشلاء[2] الغارة على افريقية وعملها[3].

قال الراوي: فشنوا[4] الغارة على افريقية، كل يوم خمسون من الخيل ونزلوا بالنساء بعَمْره[5]، وصاروا يشنون الغارة، حتى بعث إليهم: إياكم وان الشابي قد خرج، وطلب شركة الأرض، وقد فسدوا فيها وظلموا أهلها ظلماً كبيراً. واقعة منازعة[6] الشابي مع صاحب المعلقة ظاهرة[7]، تأتي آخر الكتاب - إن شاء الله ـــ بوفية الغرض[8].

قال الراوي: فبعث لهم ورقة من صاحب المعلقة إلى صاحب تمرنا[9]: لا بد لا بد[10]حين يقدم لك كتابي فاعطي نصف مالي عليك إلى طرود ومن معهم لأنهم ظلمونا وضيقوا علينا أرضنا.

---

(1) في (ب) وأخبروهم بما قال لهم الحفصي، وعبارة (صاحب المعلقة) ساقطة من (ب). والمعنى أن الحفصي هو صاحب المعلقة. وقد سبق أن المعلقة هي ما بقي عامراً من قرطاجنة (تونس).

(2) كذا، أي شن الغارة. وفي (ج) أشناء.

(3) في (ب) وعمالها، أي عمالاتها. والترجمة في (ف) أن طرد نصحهم بشن الغارة على إفريقية، ففعلوا ذلك، كل يوم، الخ.

(4) في الأصل (فنشوا)، وكذلك يشنون بعدها مكتوبة (ينشون)، وهي كذلك في (ب) أيضاً. وفي (ج) فشنوا في الأولى، و (ينشون) في الثانية.

(5) منطقة شاسعة تقع شرقي قفصة.

(6) في (ج) وبعث المنازعة الشابي. وفي الأصل (أ) (واقعت) بفتح التاء.

(7) كلمة (ظاهرة) ساقطة من (ب).

(8) هذا التعبير (بوفية الغرض قال الراوي) ساقط من (ب) ومن (ج). مرة أخرى نلاحظ عبارة (آخر الكتاب).

(9) في (ب) تقرأ تمونة، وهي قرية بوادي ريغ. كانت على مسافة 12 ك م من تقرت. وهناك تمرنة القديمة والجديدة. والمعنى أن الأمير الحفصي طلب إليه إرضاء طرود حتى يكفوا عن مهاجمة بلاده (المعلقة).

(10) في (ب) لا بد مرة واحدة.

قال صفوان: فلما وصلنا إليه بكتاب (صاحب)[1] المعلقة قال: حباً وكرامة، فأعطانا ما رضينا به ورجعنا إلى وطننا وبقينا[2] ولا منازع لنا في القصور إلا الله.

قال الراوي: وبقينا في البلاد: الشتاء بأرض النازية[3]، والربيع بواد ريغ، والصيف بالزاب، والخريف بأرض/ الجريد، وهكذا[4] الخ. [20]

قال الراوي: فمات صاحب تمرنا، وأشكل[5] على أهل واد ريغ من يولوا، فاخترنا رجلاً اسمه إبراهيم بن عبد القادر وولیناه، فبقت الولاية لنا إلى أن مات هذا[6].

وفاة طرد ووصيته

قال الراوي : فلما تم عشرون سنة بالنازية توفي طرد ، وحين أراد الله بقبض روحه بعث إلينا واجتمعنا عليه ، ثم قال (لهم)[7]: يا قوم إني أريد أن أموت ولكن خذوا (مني)[8] وصيتي ولا تتركوا منها شيئاً، قالوا: (بأجمعهم)[9]، نعم. قال: أوصيكم إذا مات

(1) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(2) في (أ) وبقالنا، وكذلك في (ج)، وكلمة (لنا) الثانية ساقطة من (ج).

(3) تسمى أيضاً عيون النازية وهي اثنتان: نازية الماء ونازية الغب = العطش بين 50 و 60 ك م ناحية تبسة، وهي مراعي جيدة: تذهب الأساطير إلى أن بها كنوزاً.

(4) عبارة وهكذا الخ. ساقطة من (ب) ومن (ج). والحدود المذكورة هي الحدود «الطبيعية» لأهل سوف منذ القديم. وهي مجال مراعيهم ونشاطهم ومعاشهم.

(5) في (ب) واشتكل.

(6) في (ج) إلى زماننا هذا. وذكرت (ف) أن اختيار صاحب تمرنة قد تم بناء على اختيار أهل وادي ريغ، وإن وفاته تصادفت مع وفاة طرد أيضاً، زعيم طرود.

(7) (لهم) زيادة من (ب).

(8) (مني) زيادة من (ب).

(9) في (ب) العبارة هكذا: ولا تتركوا منها ـ بدون كلمة شيء ـ قالوا بأجمعهم نعم الخ.

أحدكم[1] فلا تضجعوه كالنائم، فإذا فعلتم ذلك نقصت حرمتكم، وإذا حكمتم هذه البقعة فانزلوا سوف فهي داركم، وإذا تخالفتم في الرأي فخذوه[2] من رجل كان أبوه صاحب رأي، ولا تجعلوا أمراء واد ريغ عليكم[3] فيفسد[4] رأيكم وتنقص حرمتكم ويأخذكم الغرض، وأحسنوا إلي بقية عدوان ليكونوا لكم عوناً، وإذا خرجتم من النازية فيأخذ كل أهل قصر وحده لئلا تقع بينكم الفتنة، وإذا وقعت الفتنة بينكم فسد رأيكم[5].

نزول طرود وعدوان بسوف

قال الراوي: ثم انحدروا[6] إلى سوف وكان فيها يومئذ غديرة النيل، كان بها على عهد نبي الله داوود[7] ـ عليه السلام ـ ثم قصته[8] تأتي آخر الكتاب، وكيف أصله، ومن أين يخرج، وعلى أي قرية يجري عليها.

---

(1) (أحدكم) ساقطة من (ج) وقد علق فيرو على وصية طرد بشأن الدفن بأن طرد كان يريد تعليم قومه قواعد الإسلام، لأنهم كما سنرى كانوا أعراباً غير ملتزمين بقواعد الدين. انظر موضوع «العبة الشاة»، وأكل رمضان، الخ.

(2) في (ج) فَخُذُوه (فوائل) من رجل الخ. ولم نهتد إلى معنى الكلمة (فوائل).

(3) في (ج) واد ريغ (لي ولك) فيفسد رأيكم الخ.

(4) في (ب) فيفسدوا.

(5) في (ب) العبارة هكذا: ليلا تكن بينكم الفتنة، وإذا وقعت الفتنة فسد رأيكم ـ دون كلمة بينكم الثانية. وفي (ج) فسدوا رأيكم.

(6) في (ب) (انحدر) بالمفرد.

(7) في (ب) عهد نبيه داود. وفي (ج) كان (كلمة غير واضحة) بها على عهد نبي داوود ـ عليه السلام ـ ثم اندثر إلى آخر قصته، قال الراوي: تأتي آخر الكتاب... الغريب أن فيرو أضاف في (ف) عبارة أن طرود وعدوان وجدوا بسوف سكاناً منحدرين من النبي داود، بينما النسخ الأخرى تتحدث عن الغدران المنحدرة من النيل من عهد النبي داود.

(8) أي النيل. ولاحظ أيضاً عبارة (آخر الكتاب) لأننا قلنا إن العدواني أو الراوي كان يكتب كتاباً له بداية ونهاية. ولكن الكتاب مبتور، كما عرفت.

قال الراوي: فنزلوا وقبض[1] كل واحد غديرة ونزل بها وبمن تبعه من بقية عدوان، وقبضوا أرض سوف خمسة عشر سنة.

لعبة الشاة

قال صفوان[2]: وإني رأيت البالغين من قومنا يلعبون في الشاة[3] عراة في النهار، ويأكلون في رمضان، وقد تزايد جهلهم، وهكذا (إلى)[4] أن سمع بهم/ [21] الشيخ الولي (سيدي)[5] محمد المسعود الشابي، فركب جواده وأتى إليهم فوجدهم لا مؤمنين ولا كافرين، لم تبلغهم دعوة من عالم رشيد[6].

محمد المسعود الشابي ونسبه

قال الراوي: وهو المسعود بن محمد (بن؟) الشابي بن عبد اللطيف بن أبي المكرم (بكر) بن أحمد بن مخلوف بن علي بن محمد بن ساعد بن سليمان بن مروان بن عبد الغني بن حسن بن احيد بن حميد بن ليث[7] بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عبد العزيز بن سهم[8] بن هنين بن

---

(1) أي تملك.

(2) في (ب) قال الراوي فقط.

(3) لعبة الشاة يمثلها فرد في دور الشاة، وفرد في دور الكلب المدافع عنها، ضد مجموعة من الذئاب تريد التهامها. وهي لعبة فيها أصوات وحركات قوية تأخذ في التصعيد المسرحي إلى أن تصل إلى القمة بِتَغلب الكلب على الذئاب وانقاذ الشاة.

(4) (إلى) زيادة من (ب).

(5) كلمة (سيدي) زيادة من (ب). سيأتي الحديث عن الشابي والشابية.

(6) في (ب) العبارة هكذا (لم تبلغهم دعوة لا من عالم رشيد ولا غيره). حذفت (ف) كل ما يتعلق بنسب الشابي وحديثه مع الشيخ أحمد وغير ذلك (حوالي ثلاث صفحات) واستأنفت فقط مع حوار الشابي مع الرقيق، وكتبت اسمه (رقيت) Rekit.

(7) في (ج) الليث.

(8) في (ج) سعد.

تانير بن داود بن هذيل بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن مسعود، صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ بن الحارث بن شملخ بن مخزوم بن صله بن كاهل بن الحارث بن ايم بن سعد بن هذيل (بن)[1] مدركة ، وفيه يجتمع نسبه ونسب النبي ـ ﷺ ـ[2]، وفيه كفاية عن[3] من صافحه، لأن شهرته تغنيك اهـ.

أحمد بن عبد عزيز اللجي

قال الراوي[4]: ونزل على اللجة[5] قيل اسمالاج[6]، وقيل لأن الهارب أول من تمنعه، فوجد فيها الشيخ العارف بالله تعالى سيدي أحمد بن عزيز، واستضافه ثلاثة أيام، فلما فرغ من ضيافته طلب سيدي المسعود السيّد أحمد[7] المذكور، هل تجد لي عاقلاً أجالسه؟ فقال له: ولماذا؟ قال: نريد أن آدله على معرفة الله وتوحيده ويدخل في دين الإسلام. فقال له السيّد أحمد: هيهات، هيهات يا شيخ البركة! وإني قد عالجتهم معالجة موسى لبني

(1) (بن) موجودة في (ج).
(2) في هذا النسب بعض الاختلاف، في (ب)، مثلاً: المسعود بن محمد بن الشابي. . . بن أبي بكر (بدلاً من أبي المكرم). . . بن مسعود صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ ابن الحارث ابن مخزوم (بسقوط بن شلخم). . . بن هذيل بن مدركة.
(3) عن ساقطة من (ب).
(4) عبارة قال الراوي ساقطة من (ب). أي ونزل محمد المسعود الشابي، وللشابية هنا دور ديني ظاهر وسياسي خفي.
(5) في (ب) إلى اللجة وهي مشكولة بضم اللام وفتح الجيم. وفي (ج) عن اللجة. اللجة مكان بعينه بين الفولية والمعزية شمال ـ شرق قمار بحوالي 30 ك م. واللجج (بالجمع) ضواحي سوف، سيما الشرقية، ومنها لجة الزقم حيث مدفن العدواني.
(6) كذا في كل النسخ أ، ب، ج. ولعل الصواب: قيل اسماً للاج، وقيل الملجأ. وقيل من لجة الماء وتجمع على اللجج.
(7) في (ب) سيدي أحمد المذكور.

إسرائيل، فلم يقبلوا مني[1] قولاً ولا عرفوا شيئاً، وإذا رأوني أذكر أو أقرأ كتاب الله يصير يلعبوا بي ويقول[2] : ما أحلى غناك يا مرابط/ أحمد ، [22] وهكذا.

فقال سيدي[3] المسعود : يا شيخ اقصص عليك ، وإني نائم ذات ليلة بموضع يقال له[4] فوتى وإذا بسيدي عرفه[5] أوكزني برجله وقال له: يا لمسعود انطلق إلى ناحية القبلة[6] ، فإن فيها أمة لا يعرفون رباً ولا نبياً، دُلّهم على الطريق الرباني ـ إن شاء الله ـ يسلموا على يديك، وهذا أمراً.

فقال له السيّد أحمد: إن شاء الله[7]، فبعث عبده[8] إلى رجل يقال له عون بن موسى، وكان كثير المجالسة معه، فأتى إليه وقال له: يا مرابط، من هذا الشيخ الذي معك؟ ما رأيت[9] ما أحسن وجهاً منه! ولكن رأيت البارحة في منامي رجلاً مثله يدلني عن طريق صعبة وأرض هائلة وأنا بدابتي، وهو يقول لي: اقصد هذا الطريق فإن ماؤه كثير ولا صعوبة فيه إلا هذا الذي بين

(1) كلمة (مني) ساقطة في (ب).
(2) في (ب) تقرأ العبارة هكذا (وإذا رأوني ذكروا الله واقرأ كتابه يصير يلعبوا بي الخ. وفي (ج) يصير يلعب بي ويقول الخ. وتركيب الجملة واضح وهو: يصيرون يلعبون بي ويقولون.
(3) في (ب) العبارة هكذا: فقال لسيدي المسعود.
(4) كلمة (له) ساقطة في (ب).
(5) عرفة القيرواني الشابي، الذي ثار باسم الشابية على الأمير الحفصي. انظر عنه كتاب علي الشابي. وقد ولد حوالي 878 (1473) وتوفي حوالى 949 (1542).
(6) كلمة (قبلة) ساقطة من (ب).
(7) عبارة (يسلموا على يديك وهذا أمراً، فقال له السيد أحمد إن شاء الله) ساقطة من (ب).
(8) أي بعث أحمد بن عزيز عبده (بالليل) الذي سيأتي ذكره.
(9) (ما) ساقطة من (ب).

يديك، وأنا قد قابلَتْني أرضاً ساهلة كثيرة الخضورة، فانتبهت وأنا مرعوباً ممّا رأيت[1]. عَبِّرْ لي هذه الرؤية يا مرابط!.

قال له الشيخ المسعود: هذه الرؤية فقط؟ قال: هذه الرؤية. قال له: ألم يأخذك الرجل[2] من لجام جوادي ويضربك على رأسك؟ قال له: بَالْحَقْ، نسيتُ. ألم تكن أنت يا شيخ؟ قال له: الله ورسوله أعلم[3]. فقام الشيخ المسعود[4] وضربه على رأسه. فلما ضربه قال له: والله أنت، بالله عليك[5] دلّني لِمَا طلبتَه مني. فقال له الشيخ: قل[6] لا إله إلا الله محمد رسول الله. فقال له : نعم ، لا إله إلا الله محمد رسول الله . قال له الشيخ : قل ﷺ. قال: ﷺ.

فأسلم عون بن موسى اللجي إسلاماً كاملاً، وأخذ سيدي المسعود وضيّفه ضيافة حسنة وعلمه سورة/ الفاتحة، وبقى عنده سبعة أيام، وهو كل [23] يوم ينادي: المرابط المسعود يدعوكم يا أهل اللجة! فما تم سبعة أيام حتى أسلموا على يديه[7] ثلاثة وعشرون رجلاً[8]، معهم عون، وبَاللّيل عبد سيدي أحمد، وسالم ابن عماره، وجابر بن سالم، والخامس[9] بن زكرياء، ويحيى بن عمر، ومبارك بن علي، ومثل هؤلاء، وعلمهم الفاتحة وجعلوا له على رقابهم خراجاً كل عام.

---

(1) في (ب) فانتبهت مرعوباً مما رأيت الخ.
(2) كلمة (الرجل) ساقطة من (ب).
(3) في (أ) بعد (الله ورسوله أعلم) وردت عبارة يا شيخ، وهي غير موجودة في (ب) وفي (ج) أيضاً. والمعنى يستقيم بدونها.
(4) في (ب) فقال الشيخ سيدي المسعود، وهي قام الخ.
(5) عبارة (بالله عليك) ساقطة من (ب).
(6) كلمة (قل) ساقطة من (ب).
(7) عبارة (على يديه) ساقطة من (ب).
(8) كلمة (رجلاً) ساقطة من (ب).
(9) في (ب) الخازن بن زكريا.

قرية تكسبت ونزول الشابي

ثم ارتحل (سيدي المسعود)[1] حتى نزل بقرية تك بنت سبت، وكان قبل ذلك موضع امرأة عابدة من بقية مرداس حين نزلوا بسوف، كما مر الخبر، فقالوا لها أهلها: اقربي إلينا وانزلي بساحتنا، فحلفت يميناً بالله لا يقربني ذكر ولم[2] ير لي سوء أبداً، كما قالت (السيدة)[3] مريم ابنة عمران التي قال الله فيها: ﴿والتي أحصنت فرجها﴾ الخ. فأخذتْ مجلساً وبقيتْ تعبد الله وحدها في خلوة حتى توفت، رحمة الله علينا وعليها، ودفنت بها وبقيتْ وحدها[4]، وقبرها معروف، حتى وقع بطرود ما ذكرنا. فنزل بها بني قايد ومن معهم من عدوان، كما قيل.

فأتى المسعود الشابي إليهم، فنزل بهم[5] فسألوه عنه: من أين هذا الرجل؟ ومن أين أقبلت؟ ومن أين تريد؟ فقال: أنا رجل مرابط بعثني شيخي وجدّي إلى هذه القبيلة ندعوهم إلى الإسلام. فقالوا له: أخرج من عندنا فإنك لا تجد من يساعدك عليه فيما طلبْتَ. فهذا أمر غريب نزل بنا. ما أشوَمَ هذه الطلعة! فتهددوا عليه بغلظ القول وفساد الجواب، وهو يقول لهم: ربي الله[6] ونبيي محمد - ﷺ -/. [24]

فقام له رجل يقال له[7] رقيق: ما قصدنا هذا إلاّ للأكل حيث لم يجد

(1) عبارة سيدي المسعود ساقط من (ب) وكذلك من (ج).

(2) في (ج) ولو.

(3) كلمة (السيدة) ساقطة من (ب) وكذلك من (ج).

(4) عبارة (ب) فيها نقص وزيادة هكذا: (حتى توفت رحمة الله عليها وعلى كافة المسلمين ودفنت بها وقبرها معروف الخ).

(5) في (ج) فنزل بها. . . فسألوا عنه من أنت هذا الرجل الخ. أي سألوا عنه المرافق له (عون؟).

(6) عبارة (ب) هي: (فغلظ القول وفسد الجواب، وهو يقول الله ربي الخ).

(7) عبارة (يقال له) ساقطة من (ب).

شيئاً في بيته. بحرام جـواد[1] وقطعي ذراعي لا أعطيـك شيئاً من الأكل! اخرج عنّا يا[2] وجه المشـماش.

قال الراوي: فضحك عليه ثم قال له خادم واده[3]: ادع الله عليهم أن يهلكهم كما طلبت الله[4] في النميلة، قال: اصبر فالذي بعثـني إليهم صـادق ولـم يأمرني بما قلت.

قصة هروب العش إلى سوف

قال الراوي: وبقي على متن جواده خمـس ساعات في وسط جماعتهم. فلما نظر إليـه رجل ممن قد سِبقَتْ له العناية يقال له[5] العش[6] بن عمر بن سليمان بن محمد اليربوعي، فاستضافه وأتى به[7] إلى منزله. فلما نزل (عنده)[8] قال له: يا سيدي المسـعود اعذرني، فإنـي نزيل هذه الفرقة الباغية

(1) كذا (جواد) في كل النسخ، وهي جوادي. والمقصود القسـم بحرمة الجواد وقطع الذراع.

(2) عبارة (ب) (لا أعطيناك شيـاً من الأكل أخرج علينا الخ.) وعبارة (وجه المشماش) و (آكل الدجاج) ونحوها عبارات تعييرية، ستكرر في النص، وهي من تعبير البدو للحضر، وتعني الرخاوة والجبن ونحوهما.

(3) هي واده في (أ) وهي ساقطة في (ب) وفي (ف)، ولكنها تقرأ (ولده) في (ج)، وسترد بعد حين (واد) اسم رجل.

(4) اسم الجلالة ساقط من (ب).

(5) كلمة (قد) و (له) ساقطتان من (ب).

(6) في (ف) الاسم هكذا: الحش (بالحاء المهملة) بن عمر بن سليمان، دون زيادة (بن محمد اليربوعي). وفيها أن الشابي هو الذي سأل مضيفه أولاً عن مكانه وحاله. وعندئذ أجابه عن نفزاوة الخ. متحدثاً بضمير المتكلم مثل: كنت وزير إبراهيم بن كنعان وأرسلني إلى صاحب تونس إلخ. واسم تلمين في (ف) هو (تلميم)، والكبرى مكتوبة بالياء وليس بالألف المقصورة مما يدل على ضعف الترجمة El-Kebri.

(7) (به) ساقطة من (ب).

(8) عنده زيادة من (ب) ومن (ج).

الكافرة التي تعبد ظهور أجودتها. فقال له سيدي المسعود: ممّن أنت يا شيخ؟ قال له: غرائب الدنيا كثيرة ولا عبرة لتبديلها. أقْصُصُ عليك أحوال ما أنا فيه.

قال الراوي: وكانت قرية من عمل نفزاوة، يقال لها تِلِمّين الكبرى، فيها أمير اسمه إبراهيم بن كنعان الكربي، والعش[1] وزيره، فبعثه[2] الأمير مرة في قَضْي حوائجه، إلى الأمير سعيد الشريف بالمحروسة تونس، وكلمه[3] بأتم مقالته، (فقلت له:)[4] فإن الجماعة لم يرتضوا بمن أمرته عليهم ولكنهم رَضُوبِي وبابني[5]، يرحمك الله، عليهم[6].

فقال له الأمير: ارجع إلى أهلك وجماعتك واتني بخطوطهم[7] ومعك أكابر القوم ورأس[8] القوم، نوليك عليهم.

[25] فلما رجع إلى وطنه[9] سمع بخبره إبراهيم بن كنعان ففحص/ عليه حتى وجده جالس مع بعض القوم، فقال[10] له: الأمير يدعوك، فأتى إليه، وقال: مرحباً بسيدي وقرة عيني.

قال الراوي: فحضر (العش)[11] بين يدي الأمير، قال له الأمير[12]: ما

(1) في (ب) وأنا بدل والعش، وكذلك في (ف).
(2) في (ب) فبعثني وكذلك في (ف).
(3) في (ب) وكلمته.
(4) ما بين القوسين زيادة من (ب).
(5) كذا، وهو يقصد (بولايتي)، ورضوبي = رضوا بي.
(6) كلمة (عليهم) ساقطة من (ب).
(7) في (ج) ويخطوهم.
(8) في (ب) رايس.
(9) في (ب) فلما رجعتُ إلى تِلمِّين سمع بخبري...
(10) في (أ) فقيل.
(11) ما بين القوسين زيادة من (ب).
(12) (قال له الأمير) ساقطة من (ب).

فعلت مع الشريف بتونس؟ قال[1]: أحسن إليّ لأجلك وأوصاني بالطاعة إليك وأمرني: قُلْ للجماعة يأخذوا بخاطر[2] أميرهم، وهاه بعث معي حلة إليك[3] مقومة باثنيْ عشر ألفاً[4] وولاية جديدة.

فقال له (الأمير إبراهيم بن كنعان)[5]: ابعث من يؤتينا بها. فقال له العش: أنا أولى بتفتيش أثاثي. فقال له: انطلق بنفسك واتني (بها) عاجلا، وقم يا حراث[6] واعنه على حمل ما عنده[7]. وغمزه لكي لا يهرب. فانطلقا حتى منزله، فجمع ما عنده من الأثاث والمال، وحمل على أربعة عشر بعيراً، وأمر أولاده أن يأخذ الطريق[8]، وقال لهم: عليكم بسوف فهي أم الهارب، وأنا بحاجة الأمير، وحراث يسمع وينظر إليه ما يقول، فقال له: يا لعش! هلمّ لقد أبطأ[9] خبري عن الأمير، اعجل! فقال له: على رأسك حتى أجمع مال الأمير.

قال الراوي: فحملوا أولاده ما عنده[10]، وكان عنده سبعة أولاد كبيرهم الفقيه، وسعد، ومرجان، وخليفة الابتر، وجبنون، وجبر، وسفيان هـ.

قال الراوي: ركبوا على خيولهم، وأخذوا الجادة قاصدين سوف لِمَا

---

(1) عبارة (ب) فقلت له.
(2) كلمة (بخاطر) ساقطة من (ج).
(3) (إليك) ساقطة من (ب). وهاه = ها هو.
(4) في (ف) اثنا عشر ألف دينار. وفي الأصل باثنا.
(5) ما بين القوسين زيادة من (ب). يأتينا أصلها يأتين.
(6) في (ب) العبارة هكذا: (وايتني بها عاجلاً وقم يا حارث الخ. وهذا الاسم مكتوب تارة حراث وأخرى حارث في (أ).
(7) في (ج) يا حراث واحمل ما عنده الخ بإسقاط عبارة (واعنه على).
(8) أي يهربون. ويأخذ = يأخذوا.
(9) (هلم) ساقطة من (ب)، وكل تدخل حراث مع العش ساقط من (ف). وعبارة (على رأسك) = انتظر.
(10) عبارة (فحملوا أولاده ما عنده) ساقطة من (ب)، ولم تذكر (ف) إلاّ ستة أولاد بحذف جبنون.

عاينوا من (نية)[1] قتل الأمير أبيهم، فأخذ العشُ حراثَ وانطلق به إلى أسفل منزله، وفيه بئر طويل، فأخذ فراش وجعله على فم البئر، وقال له: اجلس حتى تأكل من زادنا/ ونأتوا للأمير مسرعين فارحين. [26]

قال الراوي: فأتى حارث بقصد الجلوس، فوضع رجلا بالفراش فسقط في البئر، فلما عرف العش (أن) صاحب الأمير[2] سقط أخذ في صلاح شأنه، وركب جواده وحمل عوده[3]، وخرج هارباً قاصداً لأبنائه فأخذ أثرهم.

قال الراوي: فلما بْطَا الخبر[4] عن الأمير أمر عبده، اسمه الأسعد، فانطلق حتى بلغ منزل العش فلم يجد فيه أحد، ونظر إلى[5] البئر وإذا بحارث ينادي: يا طالب العش! فقد هرب وأنا بوسط هذا الجب[6]. اخرجني يا هذا، لكي أعطيك ألف دينار.

قال له: من[7] أنت؟ قال: أنا حراث بواب الأمير، فقال له: ما صنع بك هذا؟ فقص عليه القصة من أولها إلى آخرها. فأمر بإخراجه فخَرَّجوه، وأتى به[8] إلى الأمير، فسأله عن فعله، فحدثه بما وقع الخ. فقال له الأمير: من هو مني؟! وقالوا له الوكلاء ومن حولهم: نعم! (قال لهم)[9]: اركبوا خيولكم، واطلبوا هذا اللعين فإنه فعل في فعل العدو، وإياكم وطلبه[10].

---

(1) كلمة (نية) أضفناها للمعنى.

(2) عبارة (صاحب الأمير) ساقطة من (ب).

(3) في (ب) وحمل عدوه. وفي بعض النسخ (ترك عدوه بالبير).

(4) في (ب) بطا خبر حارث عن الأمير الخ. بطا = أبطا.

(5) في (ب) تقرأ العبارة هكذا: (فانطلق نحو دار العش ونظر إلى البير الخ). وفي (ف) الاسم (الأسد) وليس الأسعد.

(6) في (أ) بوسط البير هذا.

(7) في (أ) ما أنت؟ قال: أنا حراث. وفي الجملة تقديم وتأخير في (ب).

(8) في (ب) فأمر باخراجه وذهبوا إلى الأمير.

(9) ما بين القوسين زيادة من(ب). الوكلاء = المستشارون.

(10) في (ب) في طلبه، والمعنى لا بد من طلبه.

قال الراوي: فركبوا أربعة مائة فارس يطلبُ العشَّ. قال الراوي: وأما[1] ما كان من خبر العش، فإنه قد عدل إلى قرية يقال لها عوينه قرية من تلمين، فخرجوا أهلها في الربيع، وتكون خاوية[2] يومئذ، فدخلها (العش)[3] هو وأولاده السبعة، وعبيدهم سبعة، ونساؤهم اثنى عشر امرأة.

قال الراوي : وأما[4] ما كان من خبر الخيل اللاحقين في أثره ، فإنهم وصلوا إلى الجريد، وسألوا أهله فلم يقفوا له على خبر، فرجعوا خائبين.

العش وحسن عياد

وأما العش فلما جن الليل حمل/ أهله، وأخذ بساحل الشط إلى أن [27] نزل على الولي الصالح سيدي حسن عياد[5]. فلما نظر إليه السيد، قال له: مالك أيها الفارس؟ فقال له: هارباً بالنفس التي حرمها الله بغير قتل نفس. فقال له سيدي حسن عياد: تبقى عندي الليلة ونَسْتَخِرُ الله فيك، إما أن تكون عندي وإلا نأمرك لغيرنا.

قال الراوي: فبات عنده إلا وإذا بالشيخ قبل طلوع الفجر يقول (له)[6]:

---

(1) في (أ) و (ج) وما كان.

(2) في (ب) وبقتْ فارغة. و (عوينة) تقع اليوم في ولاية قبلّي (تونس). أما تلمين فهي في أرض نفزاوة.

(3) زيادة من (ب) والضمير للمتكلم دائماً في (ف)، ولم تذكر (ف) عدد الأولاد السبعة ولا عبيدهم السبعة.

(4) في (أ) و (ج) وما كان.

(5) حسن بن عياد دفين نفطة. توفي سنة 541 (1147) حسب (الصروف) للعوامر، ص 307، وهو تلميذ لسيدي الصالح البكري. والسياق يقتضي أن يكون العش في زمن محمد المسعود الشابي، أي القرن الحادي عشر الهجري (17 م). وهو حسن ابن عياث في (ف).

(6) (له) زيادة في (ب). ويبدو أن لقاء الولي حسن عياد والعش كان من باب الكرامة الصوفية؛ لأن العش كان في زمن الشابي، كما ذكرنا.

يا هذا! اركب جوادك واسكن أرض عدوان التي حولها الذيب[1] والغراب. قال العش: نعم. قال[2] فأمره بإخراج زاده، وركب ودعا له بالبركة. وأخذ (العش)[3] جادًا في الطريق.

العش والولي بوناب

فلما وصل موضع من السحارى[4]، نظر الفقيه[5]، وقال (له)[6]: يا أبتِ هاه خاطر[7] أمامنا، فقال له (والده)[8]: يابن اليهودية! ايتني به عاجلاً[9]، فإن الأعداء أول من يطلبني[10].

قال الراوي: وكان (الفقيه)[11] تحته جواد أحمر كأنه قطعة[12] من حناء، فانطلق (مسرعاً)[13] حتى وصل إليه، فوجده سيدي محمد بن علي بن محمد أبو ناب، يحفر في جب للمارين. وقال: اللهم اجعله خالصاً لوجهك ولا تعطله أبداً!

قال: فرجع[14] إلى أبيه وإخوانه فوجدهم قد أخذوا في صلاح شأنهم

(1) في (ب) الذياب، وفي (ف) اذهب فاسكن أرض صفوان، وهو خطأ واضح.
(2) (قال) ساقطة من (ب). قال = الراوي.
(3) ما بين القوسين زيادة من (ب).
(4) في (ب) الصحراء.
(5) اسم الابن الأكبر للعش، وكان في طليعة القافلة.
(6) (له) زيادة من (ب).
(7) خاطر: فَرْدٌ أو أكثر من الناس.
(8) (والده) زيادة من (ب).
(9) (عاجلاً) ساقطة من (ب).
(10) في (ب) يطلبه.
(11) زيادة من (ب).
(12) في (ج) كأنه قصعة.
(13) زيادة من(ب).
(14) عبارة (ب) هي: قال الراوي فرجع الفقيه إلى أبيه.

فبشرهم بالعافية، فرحلوا ونزلوا على سيدي محمد بوناب[1]، فأعطوه سوقاً[2] من التمر وزيتاً، ودعا لهم بالله.

العش والفقد

وأخذوا في السير حتى نزلوا على سيدي إبراهيم بن الفقد[3] رئيس الصالحين. فقال له العش: ننزل عندك يا شيخ؟ فقال له: أنا فريد، انزلْ بجماعة فإنه معك خيل وابل ونساء وصبيان وعبيد، انزلْ على حَمَدْ، فإنه قد نزل[4] على قبر عميش الزناتي[5]/ فركب (جواده)[6] وقصده فإذا هو بالقبر [28] المذكور، فبقى عنده سبعة أيام، فخطب حَمَدْ بن عمر بن حنظلة[7] ابنةَ الفقيه، اسمها[8] مايسة، فزوجها إياه وتم أمره على ذلك فبقي عندها شهراً.

فقال له: يا لُعش، أما أنت رجل حضري ، وأنا رجل بدوي، أسكن قريـة تلك بنت سبت[9] ، فإن لـي بها عراثفي من أبنـاء القائد، فركب جواده،

(1) في (ب) سيدي محمد بن علي بن محمد بن أبو ناب، وفي (أ) سيدي محمد بنّاب.

(2) كذا في (أ) و (ب)، وهي في (ج) سويقاً.

(3) في (ب) سيدي محمد إبراهيم رايس الصالحين، وهو في (ف) إبراهيم بن البندريس (كذا)، وهو بدون شك خطأ في فهم الكلمتين: (الفقد) و (رئيس).

(4) في (ب) فإنه نازل الخ.

(5) في (ف) اختصار لكلام الشيخ إبراهيم مع العش، وحذف اسم (حمد) الأول، وذكر النزول مباشرة عند قبر الزناتي.

(6) زيادة من (ب).

(7) في (ف) إضافة القريشي إلى آخر النسب.

(8) كلمة (اسمها) ساقطة من (ب)، وكذلك بعض الاختلاف اللفظي البسيط في الجملة التالية بين النسختين (أ) و (ب) لم ننبه عليه. والفقيه هو ابن العش.

(9) الترجمة في (ف) أهملت كلمة (تك) واكتفت (بنت سبت)، وبذلك يضيع المعنى من (تكبت).

وأعطاه جواداً[1] من ركائيب أولاده إلى حمد بن عمر بن حنظلة القريشي[2]، وأتى العش إلى تك بنت سبت فاستضافته سبعة أيام.

عودة إلى الشابي

قال الرواي: فسأل العش عن دينهم، فلم يجد لهم ديناً وبقي نزيلاً عندهم، حتى أتى سيدي المسعود، كما مرّ الخبر آنفاً، فأضافه وحسَّن معه الضيافة.

فقال له العش: أنا رجل غريب ليس لي في هذه البقعة مقعداً[3]، ادع الله لنا.

فقال له سيدي المسعود: افرش[4] رداءك، ففرش رداءه، وقال سيدي المسعود: اللهم بحرمة مَنْ عَبَدَكَ وحْدَهُ في خلوة ووحَّدَكَ، وهو يشهد أنك أنت الله [5]، وبحرمة سيّد الورى: اجعل لهذا[6] الرجل في هذه القرية حظاً عظيماً، واجعل اللهم ساكن هذه القرية يسمى باسم هذا[7] إلى يوم القيامة[8].

قال (الرواي)[9]: فجمع طرف فراشه، وقال (العش): سعدى وحدى بدعوة شيخي، ولكنه بشرط النزول عندك[10]وأنا، والله أعلم، هذا آخر

(1) عبارة (وأعطاه جواداً) ساقطة (من (ب)، وكلمة (أولاده) مكررة في (أ).
(2) في (أ) القريش.
(3) في (ب) موضع.
(4) في (أ) افراش.
(5) من عبارة افرش رداءك إلى أنت الله، ساقطة من (ب).
(6) كلمة (لهذا) ساقطة من (ب).
(7) في (ب) يسمى باسمه إلى يوم الخ.
(8) في (أ) القيمة.
(9) زيادة من (ب).
(10) في (ب) عندي. وبناء على سياق الكلام فإن جملة (ولكنه بشرط. . .) هي من كلام الشابي للعش، أي (فقال الشابي: ولكنه بشرط. . .).

القدوم إليكم، ولكن - إن شاء الله - سأبعث ابني علي (الشابي) فإن له حظاً (عظيماً)[1] في الولاية.

قال الراوي: وبقي[2] عنده سبعة أيام، ثم ارتحل منها، ولم يجد من يقول لا إله إلاّ الله محمد رسول/ الله - ﷺ - إلاّ العش وأولاده. [29]

قرية غنّام

فقصد[3] قرية غنام. قال الراوي: فلما نزل بهم فوجدهم كافرين معوّلين على قلة الخير، فقالوا له: ما تريد يا شيخ؟ فقال لهم سيدي المسعود: طالباً منكم أن تدخلوا في دين نبينا محمد - ﷺ - وتعرفوا ربنا وتوحدوه.

فقام له رجل من وسط القوم، وقال له: يا شيخ ما تريد عندنا؟ فقال له سيدي المسعود: ما قُلْتُه لكم أولا، فقال له: اسمع مني وأنا رايس القرية، اخرجْ من عندنا، فإنك رجل كبير كي نعثر في دمك، فقال له سيدي المسعود: ما اسمك؟ فقال له: اسمي[4] غنّام بن مبارك بن فارح، فقال له سيدي المسعود: اللهم لا تُغَنِّمه ولا تباركه ولا تفرحه، وابقيه قارح بن قارح، واخلي منه البلاد[5].

فمكث ساعتين فوق ظهر جواده، حتى أحس بالجوع فخرج من القرية فلما نزل بئر هناك يتوضّى، وإذا بخليفة ابن العش عنده نصيب من التمر

---

(1) زيادة من (ب).
(2) أي الشابي.
(3) في (ب) قصدوا. والحديث عن الشابي.
(4) كلمة (اسمي) ساقطة من (ب).
(5) لم تذكر (ف) عبارة: (وابقيه... إلى البلاد)، وذكرت أن الشيخ بقي ساعة واحدة على ظهر جواده.

ومنديلاً خبزا[1] وبرمة مملوءة مرقة، فوضع الجميع بين يدي سيدي المسعود وقال له: والدي يقرئك السلام، ويقول لك خذ وكلْ على[2] بركة الله. فأكل هو و (عبده) واد[3] حتى شبعوا.

قال الراوي: حدثني من أثق به أنه قال[4]: اللهم مَنْ شَبَّعَني شبّعْه مالاً وأولاداً، واعطيه الحظ الأوفر، واجعل كلمته العليا، واجعل اللهم غنّام بن مبارك يحتاج إلى العش، واجعله اللهم وارثاً ماله من غير لا حول منه ولا قوة.

تاغزوت

[30] ثم ارتحل قاصداً تاغزوت/ قال واد: يا[5] سيدي ما أحسن هذا الواد للسكنى، فإنه برّ واسع، قال له سيدي المسعود: اسكنه يا واد[6] وادع الله أن يكون معك أنساً في الدنيا والآخرة[7]، وتكون أميرهم وسيدهم. قال له[8] بأي اسكن؟ لا مالاً ولا ولداً ولا امرأة. فقال له[9]: اجعل فيه كانوناً تأتيك الرجال والنساء، واجعل غنام يأتيك رغماً عليه. فقال: نعم. فنزل على حماره وأوى النزول، ثم قال له: حتى تبلغ تاغزوت[10].

---

(1) في (ب) منديلاً وخبزاً. وأخطاء الرسم والنحو واضحة وكثرية في هذه الجمل.
(2) في (ب) ويقل لك خذ على بركة الله تعالى، فأكل هو وولده حتى شبعا الخ.
(3) كذا (واد) في (أ) و (ج). وفي (ج) حتى شبع.
(4) في (ب) بعد قال الراوي (حدثني أثق به أنه اللهم الخ.).
(5) في (ب) قال واد: سيدي ما أحسن الخ. وخالفت (ف) فجعلت الشيخ المسعود يدعو العش ويطلب منه الإقامة بتاغزوت، وليس واد.
(6) في (ج) سقطت كلمة يا من واد.
(7) في (أ) في الدنيا واخرة. وكلمة (انسا) = الناس أو الأنيس، أو الإنس.
(8) في (ب) قال واد: بأي اسكن الخ.
(9) في (ب) فقال له سيدي المسعود.
(10) في (أ) تغزوت. وأوى = همَّ بالنزول والاستقرار.

قرية جلهمة والشيخ عباس الغريب

قال الراوي صفوان: ثم ارتحل حتى نزل بقرية جلهم[1] وكانت قبل ذلك نصارى، هكذا حدثني ثقة ممّن عنده علم بهذا الفن[2]، فوجدهم جماعة من عدة أربعين رجلاً عراة الأجساد، وبعضهم يحلقوا في عانة[3] بعض، ويقول لبعضهم: هلموا نلعب الشاة، فخرجوا ووضعوا ثيابهم، وصاروا يلعبون عراة حفاة لا خير فيهم.

فبقيت عندهم ثلاثة ساعات ولم نجاوبهم بشيء، حتى أحسست حرارة الشمس، وكان وقت الربيع، وأنا واقفاً نلتمس منهم الضيافة، فلم يضيفوني.

قال الراوي: وكان فيها رجلين، واحد منهما يقال له محجوب والآخر يقال له عمران، أتيا شيخنا[4]، شيخ البركة سيدي عباس الغريب يلتمس من علمه وبركته، وهما من تاغزوت، قرية بجبلنا[5]. فأخذ بلجامي وسار بي حتى دخلت عريشاً لهما يسكنان فيه، وهم يقرأون (فيه)[6] القرآن خوفاً من أهل جلهمة، فأضافاني وأقاما بحظي، وبت عندهما[7] / إلى الصباح[8]. وإذا [31] بالشيخ العباس قادم إليهما[9] يقرهما في عريشهما، فسلم على سيدي

---

(1) في (ب) جلهمة. وهي على ألسنة الناس كذلك إلى اليوم. ونصرى = نصرانية. وكونهم يلعبون لعبة الشاة. دليلاً على ضعف إسلامهم. وفي ذلك تمهيد لنشر الطريقة الشابية عندهم.

(2) في (ب) حدثني من عنده خبر وعلم بهذا الفن الخ. وهو يعني فن التاريخ والأخبار.

(3) في (أ) في إعانة.

(4) كلمة (شيخنا) ساقطة من (ج).

(5) كذا، ولعلها بجلهمة.

(6) زيادة من (ب).

(7) في (ج) عندهم.

(8) في (ب) فلما أصبح الله بخير الصباح وإذا بالشيخ الخ.

(9) في (ب) قادم لهما فسلم على سيدي المسعود. الخ. يقرهما = يقرنهما.

المسعود، فقال له: ما تريد يا شيخ البركة؟.

قال له: بعثني سيدي عرفه[1] إلى أهل هذه البلاد، ندلّهم للطريق الرباني.

فقال له السيد العباس: هيهات هيهات يا شيخ البركة! قد عالجتهم أشد المعالجة، كما عالج موسى بني[2] إسرائيل، فلم نرا لهم سيمة[3] ولا مساعدة أبداً. فقال له سيدي المسعود: أنا ولا بدّ[4].

ثم دخل عليهم من الغد، وعالجهم وطلب منهم الإسلام، فأبوا وكادوا يضربونه، فرجع خائفاً منهم.

ثم قال: (سيدي المسعود للرجلان)[5]: ما تريدان يا هذان الرجلان؟ قالا له: نريد منكم أن تدع الله أن تنتقل جلهمة[6] وتأتي إلينا حتى[7] تسمى باسمنا، فأصابها وباء، فخرّجهم من قريتهم، حتى نزلوا بعريش[8] تاغزوت فسميت بها إلى الآن، وتم أمره.

---

(1) أي عرفة الشابي القيرواني الثائر، والظاهر أن الشيخ المسعود الشابي كان داعية لتجنيد الأنصار لثورة الشيخ عرفة أكثر مما كان داعية دين وزهد. انظر عنه دراسة علي الشابي.

(2) في (أ) بنوا.

(3) سيمة = علامة الطاعة والتدين.

(4) في (ج) لا بدّه.

(5) زيادة في (ب). أي الرجلين.

(6) كذا في (أ) و (ب) و (ج)، والمعنى أن ينتقل الشيخ إلى جلهمة أو أن تتحول جلهمة من مكانها (؟) وسيأتي أن دعاءه قد تحقق فخلت جلهمة وعمرت تاغزوت مكانها.

(7) في (ب) تأتي إلينا وتسمى باسمنا الخ.

(8) في (ب) حتى نزلوا بعريشهما فسميت بذلك إلى الآن وتم أمره ثم ارتحل الخ.

قرية كوينين

ثم ارتحلوا[1] إلى اللجة قاصداً الرجوع إلى أهله، فقبضوه أهل اللجة، وقالوا له: قم عندنا! فقال له واد: يا[2] سيدي، نسيتَ ما أشرتَ به عليّ؟ فقال: نعم، فأمر رجالاً[3] من أهل اللجة ابنوا مع واده كانوناً، فهو مني وبدلاً من شخصي، فأتوا إلى موضع البناء، وبنوا له داراً ومنزلاً، والناس يقولون: كنا نبنوا حوش، وهو يقول: لا قولوا كانوناً، فبنوا له كانوناً[4]، وأقيم معه إحدى عشر رجلاً، وأتوه الناس، وتم أمره على ذلك. وبقت عمارة، فتسمى كانوناً ناراً حامية، عَلَمٌ على معنا[5] الفتن.

رجوع المسعود الشابي

قال الراوي: فلما أراد سيدي المسعود/ الرجوع[6]، (ذهب) إلى سيدي [32] أحمد بن عبد العزيز[7]، قال له: اعطيني رجلاً يدل بي الطريق، فأعطاه بالليل.

قال[8] بالليل خرجنا معولين على السفر إذ لحقوا بنا أهل اللجة قائلين: يا سيدنا فإن أولاد يعقوب (ونسل اليزيد بن معاوية، بني علي

(1) في (ف) إن الشيخ الشابي هرب إلى اللجة من أهل جلهمة، ورضي بالإقامة فيها مع أحد عشر ممن أسلموا على يديه. ثم انضمت إليهم عائلات أخرى وأنشأوا قرية تسمى كانون نار حامية.

(2) في (ب) فقال واد: سيدي الخ. قِمْ = أقِمْ.

(3) في (ب) (رجلاً). انظر سابقاً حيث أشار الشابي على خادمه باتخاذ كانون يأوي الناس إليه.

(4) جملة (فبنوا له كانونا) ساقطة من (ب) وكذلك من (ج).

(5) في (ج) معن، وهي معنى. وبقت عمارة = وبقيت عامرة.

(6) كلمة (الرجوع) ساقطة من (ب). وكلمة (ذهب) من إضافتنا لاستقامة المعنى بها.

(7) في (ج) سقطت كلمة (عبد) فهي فيها أحمد بن العزيز.

(8) في (ب) قال له بالليل.

وغيرهم)[1] يأتوا إلينا ويأخذُ سعينا[2]، ويقتلُ أرجالنا، فإن طرود أهل إبل ينطلقوا إلى موضع لفلاء كبار الرؤوس، ونكونوا نحن يومئذٍ نازلين بقرب البلاد، ولا نجدوا من يقاتل علينا[3]، هل لك أن تجعل لنا نائباً يحمينا من عدونا؟ وكذلك أولاداً عقّاب، ونسل اليزيد ابن معاوية هَلْ بني علي، وغيرهم[4].

فقال: نعم، على رؤوسكم إن شاء الله، فإن تحت طاعتي فرقة من أولاد بلحمرْ من الجان أصحاب شم[5] نأتي به إليكم، قالوا: نعم. فبعث رجل من الجان يقال له[6]: دُوَيْ، فأتوا أربعون نفراً ومائة، وصاروا يحرسونهم من الأعداء صيفاً وخريفاً، وتم أمرهم (على ذلك)[7]. ونزلوا على قبر الفقد بن إبراهيم[8]. فهكذا حدثني (وهو معروف)[9] سعيد الفاسي، قال: حدثني نصر[10] المساعد، قال: حدثني بَاللَّيْل، وهو معروف عدلاً ثقة وعدلاً رواية.

---

(1) ما بين القوسين زيادة من (ب)، وهي ستأتي بعد قليل في (أ). وفي (ف) أولاد يعقوب، وأولاد عقاب، وهم نسل اليزيد بن معاوية، وبنو علي الخ. وهي هنا مقدمة. و (ف) أيضاً جعلت أحمد بن عزيز هو الذي يزور الشابي ويطلب منه رجلاً من أتباعه.

(2) في (ج) امْعُزنا بدل سعينا.

(3) في (ب) يقاتل معنا علينا.

(4) سبقت الإشارة إلى هذه الجملة، و (هَلْ) أي أهل.

(5) في (ب) تقرأ (شر)، وفي (ج) ابن الأحمر بدل بلحمر، وفي (ف) من الشام (سورية). وكلمة (الجان) مكتوبة في (ف) اللجة.

(6) عبارة (يقال له) ساقطة من (ب).

(7) عبارة (على ذلك) زيادة من (ب)، وفي (ف) صيفاً وشتاء.

(8) سبق أنه إبراهيم بن الفقد. وهو في (ف) بني الفند بن إبراهيم.

(9) زيادة من (ب). ويفهم من النص أن سعيد الفاسي معاصر للعدواني.

(10)(نصر) ساقطة من (ب).

حاسي خليفة وأفركان

قال الراوي[1]: نزلنا بِحَسِيْ خليفة الزناتي، وبتنا فيه، وركبنا بعد صلاتنا، وبتنا على قبر العريش الخامسي، ورحلنا[2] ونزلنا على الزرق[3]، وبتنا على قرية أفركان[4] اليهود، فوجدنا الزاوية بمجّور، فعرضنا سيدنا علي بن المسعود[5]، فقالوا له: يا سيدي ما وراءك؟ قال: ورائي قوماً يلعبون الشاة عراة الجسد، يحلق الرجل عانة أخيه. قال: ويأكلون رمضان، وهذا فعلهم.

فقال: / يا سيدي أرسلني إليهم. قال له: يا بني حتى وقت الصيف [33] والخريف يجتمعوا والشتاء والربيع يفترقون[6]. قال له: نعم.

قال الراوي: فلما تم الوقت، قال سيدي علي: يا أبتِ، رأيت[7] في ما يرى[8] النائم كأني بأرض رمال ومعي عبدي[9] نصر، وجلست في موضع وإذا

---

(1) بناء على (ف) فإن صاحب الرواية هو باللَّيْل الذي أخذ عنه نصر المساعد الذي أخذ عنه سعيد الفاسي الخ.

(2) (رحلنا) ساقطة من (ب)، وفي (ف) الاسم هو العويش الخامسي. وكلمة (الخامسي) ربما تشير إلى أن صاحب القبر كان على المذهب الإباضي.

(3) (سيوف الزرق) تقع بين سوف وتبسة، كما أخبرني البعض أن هناك بلدية تقع بالقرب من عين البيضاء تسمى (الزرق). وتنطق كلمة الزرق بالجمع (بضم الزاي وتسكين الراء).

(4) في (ف) تعليق هو أن (فركان) واحة غير بعيدة من نقرين، وأن بالقرب منها بقايا لمركز روماني يسميه العرب (بسرياني)، وأن سكان فركان ونقرين من النمامشة.

(5) في (ف) أن الشيخ المسعود الشابي رفض التوقف بفركان، فسأله ابنه علي عن السبب، فأجابه بأن أهلها غير متدينين الخ. وكلمة (اليهود) قد لا تعني المدلول اللفظي، ولكن غير التابعين للشابي. وقد سبق معنى آخر لذلك. وكلمة (عرضنا) = لقينا.

(6) في (ج) يتفرقون.

(7) (رأيت) ساقطة من (ب).

(8) في (ج) رأيت ما يرى الخ.

(9) في (ج) عندي بدل عبدي.

به فِرَقٌ من الطير واقفين[1] مع بعضهم بعض، ونزلت في وسطهم، فلما تم نزولي، طارت تلك الطيور حتى بلغوا عنان السماء، وقد تركوا بقيهم[2]، وأنا خائفاً مرعوباً من علو الطيور، وإذا بهم قد نزلوا قطعة بعد قطعة حتى حاطوا بـي، فصرت أقبض فرقة منهم بعد فرقة، حتى قبضتهم عن آخرهم. فقال له سيدي المسعود: هذا ـ والله أعلم على تأويل رؤياك ـ إن سوف تُسْلِم[3] على يديك جملة.

علي الشابي في سوف

قال الراوي: فأمر سيدي علي بالقدوم إلى سوف، وكان معه بالليل ورجل[4] يقال له سعد الكبير بن عمر بن نصر العدواني[5] اللجي، فلما أراد الرجوع مع سيدي علي قال: يا سيدي المسعود، أنت شيخي[6] وأنا إذا احتجت إلى أمر أو أصابني ضيق، ما أقول؟ قال له: قل بالصياح والعياط يا لمسعود! فأنا أتيك ـ إن شاء الله آمين! ـ فسمي عياط[7] إلى زماننا هذا.

قال الراوي: فانطلق[8] سيدي علي بن مسعود بنا قاصداً سوف[9].

---

(1) في (أ) واقفين. وفرق = سرب.

(2) في (أ) و (ب) بقيهم، وفي (ج) باقيهم. وكلمة تركوا مكتوبة للمعلوم في (ج) وللمجهول في (أ).

(3) في (ب) يسلم.

(4) كلمة (رجل) ساقطة من (ب) ويبدو أنها ساقطة من (ف) أيضاً، لأن نصها يثبت أن بالليل هو نفسه يقال له سعد الكبير بن عمر بن نصر العدواني اللجي.

(5) في (أ) العدوان.

(6) في (ب) أنت (شيخ). في (ف) أن الذي طلب حماية الشيخ المسعود هو ابنه علي.

(7) في (ف) أن المكان الذي قال فيه الشيخ المسعود ذلك يسمى (عياط). وقد ذكر لي البعض أن هناك عرشاً يسمى العيايطة يسكن بلدة البهيمة (حساني عبد الكريم) اليوم. وليس هناك ما يدل على أنه مشتق من الاسم المذكور.

(8) في (ج) فانطلقا.

(9) جملة (قال الراوي: فانطلق. . . إلى كلمة سوف) ساقطة من (ب).

قال الراوي: فبلغنا قصور سوف، أولها اللجة، فعرضوه بالسلام[1] والترحيب، وقاموا بضيافته ومعهم سيدي أحمد بن عبد العزيز[2]. فجازاهم الله خيراً. فبات بها سبعة ليالي، وانطلق نحو تك بنت سبت، فعرض له العش[3] بخبز ومرق حارة قبل/ الوصول إلى القصر، فجازاه الله [34] بخير، ثم انطلق معه[4] إلى منزله، فسأله عن حاله، فقال له العش: كلُّ رِزْقكم وأنا خديم هذه البيت، فجازاه الله (عنا)[5] خيراً.

قال (الراوي)[6]: حدثني سالم، ولّى[7] ثانياً سيدي علي بن المسعود إلى العش، وقد صنع طعاماً كثيراً، فأكل سيدي علي[8] وأكل جميع من تبعه. وبعث إلى (سيدي)[9] حَمَدْ وأولاده وغلمانه مع حضور العش، فاحضروا لديه، قالوا له: ما تريد منا يا سيدي[10]؟ قال لهم: نريد منكم إلى إصلاح أحوالكم والدخول إلى ملة النبي -ﷺ-. فقام[11] رجل يقال له مستور (وقال)[12]: هذا هو الصواب. فقال له رجل آخر يقال له يعقوب: ما نعرف

---

(1) كلمة (بالسلام) ساقطة من (ب). فعرضوه = استقبلوه، تلقوه.
(2) في (ب) سيدي عبد العزيز فقط. وهو نفسه الذي سبق ذكره على أنه أحمد بن عزيز، وهو أحمد بن بوعزيز في (ف).
(3) في (ج) العشاء.
(4) في (ج) فجازاهم الله بخير ثم انطلق معي.
(5) (عنا) زيادة من (ب). كل رزقكم = كل ما عندي لكم. و (البيت) = بيت الشابية (الزاوية؟).
(6) (الراوي) زيادة منا.
(7) في (ج) العبارة هكذا (سالم مولى علي بن مسعود...) والجملة على هذا النحو ناقصة.
(8) (علي) ساقطة من (ب).
(9) (سيدي) زيادة من (ب).
(10) في (ب) فاحضروا له وقالوا له: ما تريد منا يا شيخ الخ.
(11) كذا في (ج) وفي (ب) فقام له رجل يقول له مستور الخ. وفي (أ) فأقام الخ.
(12) (قال) زيادة منّا.

هذا النبي، ولا الذي قلتم لنا، ولكنه في طاعة الشيخ (سيدي علي)[1]، والمنظر نقيّ الثياب[2]. فأسلموا كلهم.

ثم ارتحل[3] قاصداً قرية غَنَّام، فأدلهم (وأرشدهم)[4] على الطريق، فمنهم من أبى ومنهم من أسلم.

وأتى[5] إلى كانون واده فأسلموا كلهم.

ثم ارتحل قاصداً قرية عريش تاغزوت، فقالوا لبعضهم: هو لا يدخلنا ولا يجالسنا، فإنما هو وأبيه كالأَرَضَة يأكلوا الصناعة ولا يعلم صاحبها، فسمع بذلك (سيدي) عباس الغربي[6] وتلامذه، فأتوا به إليهم، فمنهم من أسلم ومنهم من أبى.

قال الراوي: حدثني من أثق به ولا أُتَّهَم في خبره، إن سوف لم تسكنها النصرى إلا جلهمة، موضع تاغزوت[7].

قال الراوي: ثم انتقل قاصداً إلى واد ريغ، تأتي قصته[8] ـ إن شاء الله ـ.

---

(1) في (ب) ولكنه طاعة الشيخ سيدي علي الخ.
(2) في (ج) الشيخ المنظر (دون واو) الخ. أي من أجل هيبته وهيئته.
(3) في (أ) ثم ارتحلوا.
(4) زيادة من (ب). أي حاول جلبهم إلى الإسلام الصحيح، وكلمة (الطريق) مهمة فهي تعني طريق الدين وطريق التصوف.
(5) في (ب) وأتوا. وكانون واده = بلدة كوينين.
(6) (سيدي) زيادة من (ب). وفي (ج) عباس الغريبي وتلاميذه. وقد سبق أنه الغريب، وهو في (ف) الغريب أيضاً.
(7) سبق معنى هذا الخبر عند الحديث عن تاغزوت.
(8) لم نلاحظ هذه القصة عند الحديث عن وادي ريغ.

الشيخ زكريا البسكري وحسن عياد

قال صفوان: كنت بمدينة بسكرة، وحضرت مجلس الولي الصالح سيدي زكريا البسكري، فوجدته يحدث عن أخبار الأولياء والصالحين، حتى ذكر شيئاً من مناقب الشيخ سيدي حسن/ عياد النفطي، ثم اشتقت إلى [35] ملاقته، فأخذت ركابي، وسرت نحوه فوجدته جالساً مع خيار قومه[1]، وهو يحدثهم، فقلت له: يا سيدي بماذا نلت هذه الدرجة الرفيعة؟ قال لي: يا بني نلتها من اشتاق[2] اسمي عياد المَرْضَى والكَرَباء، قلت له: ادع الله لي أن يسهل علينا أمورنا وينظمنا مع سلككم[3]. فدعا الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

بعض أخبار سوف

قال صفوان[4]: فانطلقت نحو مسجد الشيخ (عياد)[5] المذكور، وإذا له[6] حلقة ووسطها رجل كبير قد أحناه الكبر، وهو يحدث عن أخبار سوف وأحوالها، والناس حوله، فقلت له: ولا بد.

ثم أتيته وإذا به يحدث. فلما فرغ، قلت له: يا شيخ الفاني! هل عندك شيء[7] من أخبار سوف؟ فنظر إلي، قال: نعم ولا بد.

---

(1) في (ب) و (ج) قومه، وفي (أ) قومي.

(2) كذا في كل النسخ، وهي اشتقاق، وفي الأصل (المرضا والكربا) أي المرضى والمكروبين.

(3) أي طريقكم، وفي (أ) سلاككم.

(4) في (ب) قال الراوي.

(5) أضفنا الاسم (عياد) بناء على هامش الأصل إذ فيه أن المراد بالشيخ المذكور هو حسن عياد. أما (ف) فقد ذكرت أنه مسجد الشيخ زكريا البسكري، وهو الأرجح.

(6) في (ج) به.

(7) (شيء) ساقطة من (ب). واضح أن الشيخ الذي سأله صفوان غير مذكور الاسم، فليس هو زكريا البسكري وَلاَ حسن عياد. وإنما هو شخصية مجهولة راوية للأخبار، =

ثم قلت له: إن كان خبرك صحيح أو صادق[1]. حدثني عن من سكنها[2] أولاً، قال لي: يا سيدي قصدُكَ تعنّت أم معرفة الأخبار[3]؟ قلت له: والله ما قصدي[4] إلا المعرفة الكاملة، لأن معرفة الأخبار القديمة تزيد في العقل وتوافق القياس.

قال لي: اسمع! إن سوف كانت خالية من لدن آدم (عليه السلام)[5] إلى زمان إبراهيم الخليل، ثم عمرت وقت العمالقة[6] أربعين عاماً، (ثم خربت إلى زمان داوود ـ عليه السلام ـ، ثم أعمرت أربعين عاماً)[7]. ولها حظ كامل وعمارة قوية، والنيل يجري عليها.

ثم خربت إلى زمان لوي فأعمرها أربعين عاماً، ثم أتوا إليهم (بني مرين فأخرجوهم منها وعمروها أربعين عاماً)[8]. ثم أتوا إليهم مرداس[9] وعمروها أربعين عاماً، ثم أتوا إليهم زناتة وعمروها أربعين عاماً، (ثم أتوا [36] إليهم/ عدوان فأخرجوهم منها وعمروها أربعين عاماً)[10].

= ويظهر أنه من عدوان. ويبدو أن الرواية فيها الكثير من المبالغة والوضع، وقد يكون ذلك من بعض النساخ المتأخرين.

(1) في (ج) صادق وصحيح.

(2) في (ب) يسكنها.

(3) في (ج) في قصدك الخ. وفي (أ) تعنة.

(4) في (ب) تقرأ (نصدم).

(5) زيادة من (ب).

(6) العمالقة جيل من العرب القدماء يمتازون بطول الأجسام، وهم أمم كثيرة، تذهب الروايات الشعبية إلى أن مساكنهم في سوف وما حولها كانت بوادي الجردانية قريباً من عيون النازية، كما سكنوا قرطاجنة. وكانوا أصحاب ماشية.

(7) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(8) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(9) هم بنو عداس في (ف). وقد ذكر ابن خلدون أن (مرداس) و (علاق) جذمان عظيمان من بني سليم، مواطنهم من وادي قابس إلى أرض بونة. انظر ابن خلدون 6/144.

(10) ما بين القوسين ساقط من (ب).

أخبار أخرى عن طرود

فلما تم لنا أربعين عاماً، (فهاهم)[1] قدموا إلينا (...)[2] فقتلونا وذلونا، وهذا هو الحال، كما بلغك، إفهم إن كنت عاقل، تدرك.

قال[3]، قلت له: من هؤلاء؟ قال لي: طرود. قلت له: ومن (أين)[4] طرود إن كنت تعلم ذلك؟ قال لي: يا سيدي: حامد وقايد وغنام وزايد وزبده[5]. قلت له: إن كنت صادق. مَنْ قبض منهم البلاد ومن لم يقبض؟ قال لي: حامد في اللجه. قلت له: هل له أولاد؟ قال لي: نعم، ثلاثة أولاد: نصر الأكبر وموسى، وأمهم من نفطة وتوفت، ثم تزوج حامد بعدها رقية المجورية، فولدت له محمد[6].

قلت (له)[7]: ومن سكن قبر تك بنت سبت؟ قال لي: يا سيدي، قايد. قلت: هل له أولاد؟ قال: نعم له اثنان: مبارك وإبراهيم.

قلت له: ومن سكن الغديرة الوسطى؟ قال لي: غنّام. قلت له: هل له[8]

---

(1) جملة (فها هم) زيادة من (ب).

(2) في (ف) طرود «الكلاب»، Klab (أي من بني كلاب)، ومنذ هذا النص سنكتفي نحن بعبارة طرود فقط. ويظهر من السياق أن الذي كان غاضباً على طرود هو الشيخ حسن عياد.

(3) (قال) ساقطة من (ب). والمقصود الراوي.

(4) زيادة من (ب).

(5) في (ب) و (ج) زيد.

(6) في (ف) أن حامد (وفيها أنه أحمد) له ثلاثة أولاد وهم: نصر، والبكري وموسى. وبعد زواجه من رقية المجورية (وهي المهجورية في هذه النسخة) كان له ولد رابع وهو محمد.

(7) (له) زيادة من (ب) و (ج) والغديرة الوسطى هي مكان مدينة الوادي اليوم، والغديرة السفلى جنوب الوادي حالياً.

(8) (هل له) ساقطة من (ب).

أولاد؟ قال: نعم. موسى وفارح والبكري[1].

قلت له: ومن يسكن الغديرة السفلى؟ قال لي: زايد. قلت له: ومن أولاده؟ قال لي: احميد[2] وأبو الضياف والعايشي[3]. قلت له: هؤلاء فيهم كفاية.

قال لي: يا سيدي، بقى زَبَد[4] لم يعين له غديرة[5]، ولم يضع إلا بن حال[6]. قلت له: يا شيخ، لماذا؟ قال لأن البناء يورث الذل، لكن كل[7] سوف لنا فيها سهم وافر، وأنا راعي بإبلي وغنمي فيهما كفاية. قال لي: اعقل ولا يصفح[8] عن كلام العقلاء إلا ليس بعاقل.

قال قلت له: يا شيخ[9]، عرفني بساكن سوف، من هو طرود؟ قال: الخمسة المذكورة طرود[10]، وباقيهم أخلاط من العرب.

[37] قلت/ له: وأين حمد ممن[11]؟ قال: (هو) ولد عمر بن حنظلة

---

(1) في (ج) البكر.

(2) في (ج) أحميدة.

(3) في (ب) العياشي، وفي (ج) تقرأ الغايشي.

(4) في (ب) و (ج) زيد، والجملة كلها (من: قال لي يا سيدي بقي زبد... إلى ليس بعاقل) ساقطة من (ف).

(5) في (ب) ولم يعين غديرة. وف ي(ج) لم يعين لي غديرة.

(6) في (ب) ولا يضع حالاً بن حال. وفي (ج) ولم يضع إلا بن حال. ومعنى الجملة غير واضح.

(7) كلمة (كل) ساقطة من (ب).

(8) كذا، وفي (ب) (ولا يفصح) وهو الصحيح معنى.

(9) في (ج) يا سيدي. وفي الأصل (قال له، قلت له).

(10) في (ب) قال لي الخمسة المذكورين الخ. وفي (ف) سيق الخبر هكذا: إن خمس سكان سوف من طرود والباقي أخلاط من العرب، وهو خلاف المعنى الذي في النسخ الأخرى. والمقصود بالخمسة المذكورة: أولاد حامد (حمد)، وأولاد قائد، وأولاد غنام، وأولاد زايد، وأولاد زبدة.

(11) في (ج) لمن؟ وفي (ف) هو الذي لجأ إلى القيروان بعد مقتل ابن عمه، كما مر بنا في =

القريشي[1]، قتل ابن عمه وأتى إلى القيروان هارباً.

شخصيات أخرى

قلت له: والعش؟ قال: أهله من جبل ريحان، عمه حمرون، نزل بنفزاوة، وقصته كذا[2] مرت.

قلت[3] له: وبَالّيل، ممن؟ قال لي: من ولد حمام بن الفرّاء الكاشني، عبداً مملوكاً إلى سيدي أحمد بن أبو عزيز العدواني.

قلت له: وكساب؟ قال (لي): من جبل أبو سعادة.

قلت له: ومصعب؟ قال لي: مصعب اثنان إخوان، واحد يقال له الأعور، والآخر يقال (له)[4] التاجر، أما الأعور من ولد همام بن فطناسة[5] البدوي، وأما التاجر (من)[6] ولد عمر بن أبو بكر بن سعد بن لؤي بن المسعود بن حرملة بن جازيه بن الغالب بن كثير بن عواج بن مصعب الصحابي[7].

قال، فقلت له: يا شَيخ من يشهد لك بصدق ما قلته؟ قال: يا سيدي،

= بداية القصة. انظر قصة مسروق في أول الكتاب.

(1) سبق أن اسمه مسروق بن حنظلة. انظر أول الكتاب.

(2) في (ب) كما مرت. لم تذكر (ف) اسم الجبل الذي جاء منه العش، ولا اسم عمه ولا كون قصته قد مرت، انظر عن العش ما مضى.

(3) في (أ) قالت، وفي (ج) قال، وفي (ف) إسقاط لذكر بن الفراء الكاشني، وكذلك إسقاط كلمة العدواني في نسبة أحمد بن عزيز.

(4) (له) زيادة من (ب) و (ج).

(5) في (أ) فطاسة.

(6) (من) زيادة من (ب).

(7) في (ب) يقتصر النسب على (عمر بن أبو بكر بن سعد بن لوى بن المسعود الصاحبي) فقط. وفي (أ) الصاحبي أيضاً، لكن في (ج) (الصحابي)، وفي (ف) (السائح).

شاهدي لا يكذّب، عدلين هما غاية الصدق. فقلت له: من هما؟ قال لي: هذان، وأشار للحيته ورأسه لكونهما قد غطاهما[1] البياض. ثم قمت وقبلت يده ورأسه.

واد ريغ

ثم قلت له: أخبرني عن واد ريغ، لما سمي ريغ؟ وعن مسكنه؟[2].

قال لي: يا سيدي ريغ اسم رجل يقال له باهوت بن شملخ بن كعب بن غاوية، من ولد أندلس بن يافث بن نوح[3]، على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

قال، قلت: أَخْبَرُونا أن مدينتهم يقال (لها)[4] تمرن[5]، كان واليها من تونس.

قال لي: نعم يا سيدي، وذلك قبل ولاية الترك في قصر طينة[6]. قلت له: أكان قبل الترك ولاية غيرهم؟ قال: نعم، كان اعداس قد ترك فيها أربعين ولداً وأربعين أميراً، وهم الذين يسمون بالعدايسية، ثم خلفت الترك ولا يتهم ففكوها/ إلى صاحب تونس، وبقت تحت (صاحب)[7] اقسنطينة. [38]

---

(1) كذا في (ب)، وفي (أ) غطاتها البياض، وفي (ج) غطتهما.

(2) في (ج) عن وادي ريغ وعن مسكنه أولاً، قال الخ.

(3) في (ب) النسب هكذا: (باهوت بن شملخ بن نوح بن كنعان بن غاوية الخ. وفي (ف) هكذا فقط: أول من سكن واد ريغ هو كعب بن غوية من أولاد أندلس بن يافث (جافث) بن نوى.

(4) (لها) زيادة من (ب) و (ج).

(5) نص (ب) فيه اختلاف وهو (قلت له أخبرني أن مدينتهم يقال لها الخ. وفي (ج) تمرنا. وقد سبق ذكر تمرنة وأنها اثنتان قديمة وجديدة. وكانت الأولى شهيرة وذات نفوذ.

(6) كذا يكتب قسنطينة أحياناً، وهو تعريب دارج على بعض الألسنة التي تستثقل الاسم الروماني.

(7) (صاحب) زيادة من (ب).

قلت له: وما معنى تقرت واتماسين؟ قال لي: يا سيدي، أتى رجلٌ من واد مرين[1]، قد كان مسكنه بفاس.

قلت له: ما معنى فاس؟ قال لي: إن صاحبها حين أراد بناءها حفر ساسه[2] فوجد فيه[3] فأساً قديماً (من)[4] عمل الجاهلية فقال: لا بد سمّوه فاس.

نشأة الحكم المريني بتقرت

فرجع الكلام إلى الرجل[5]، قد كان كل عام يحج إلى بيت الله الحرام، فكان يأتي إلى واد ريغ يريد ليبيع ما فضل من حجه، وهكذا حتى أتوه أهل الواد، قالوا له: يا سيدنا لو سكنتَ بِقُرْبِنا كان خيراً لنا ولك، قال لهم: نعم.

قال الراوي: فانطلق إلى فاس، وأتى بأهله وماله حتى نزل بالواد.

قال الراوي: وكان له امرأتان فجعل إحداهما في تقرت، لأنها موضعُ خِرْبة[6]، كان فيها على عهد خيار، ووضع الأخرى في اتماسين موضع قرية خربت على عهد وَرْقل[7] الأكبر، وبنى لهما قصران، وكان له ثمانون عبداً، فجعل مع كل امرأة أربعين عبداً، وكل عبد لا يصل موضع الأخرى[8].

---

(1) كذا، ولعلها أولاد مرين، وقد ترجمت في (ف) بني مرين، وهو الصواب. وفي الأصل (أتى رجلاً).

(2) في (ب) ساسها.

(3) في (أ) فيها.

(4) (من) زيادة من (ب)، وفي (ف) ترجمت (خربة) بآثار قديمة، ولم تترجم معنى عبارة (على عهد خيار) الواردة بعد قليل.

(5) أي الذي سكن واد ريغ والذي جاء من فاس المرينية.

(6) في (ج) خربت. وفي (ب) خرجة.

(7) في (ب) قدور، ولم تترجم (ف) هذا الاسم.

(8) في (ب) و (ج) وكل عبد لا يصل إلى موضع الآخر.

وكان اسم واحدة منهن اسمها بدرة[1] والأخرى بدرية، وكانت واحدة منهن بنت مولاي سعيد الشريف الذي ضربه بن عافية[2] على أم رأسه وعلم أنه لا يعيش، والأخرى بنت فلياش صاحب مكناس، الولي[3]. قلت له: وأي حاجة يصنعوها[4]؟ قال لي: يا سيدي، كل عام يعين أربعين عبداً[5] إلى هذه وعشرون إلى الأخرى كذلك.

قال، قلت له: لما سميت تقرت واتماسين بهذا الأسماء؟ قال لي: يا سيدي، هذا اسم عجمي، ولا أدري، وبقيا على ذلك.

[39] ثم داين[6] أهل الواد، أي واد ريغ، حتى أتاهم عام خمسة وثلاثون/ وسبعمائة قحط، أي شرّ[7] كبير، فصار الرجل يأخذ ابنه أو بنته ويبيعاه له، فاشترى منهما ألفاً وخمسمائة نفساً، ثم صار الرجل يأتي بزوجته ويبيعها ويخرجها من رقبته ويشريها منه، حتى تم[8] أبناءهم وبناتهم وأزواجهم، ثم اشترى منهم جميع ما عندهم من النخيل[9] والأثاث والسواني، ولم يكن عندهم يومئذٍ إلا رقابهم، فصار الرجل يبيع نفسه فاشترى منهم أنفسهم[10].

---

(1) في (أ) و (ب) بعرة.
(2) في (أ) و (ب) غايته، وفي نسخة هيمة و (ف) عافية.
(3) في (ج) الوالي.
(4) في (ب) يصنعها.
(5) كذا في (ج). وأما في (أ) أربعين عبداً من عند عشرين إلى هذه الخ.
(6) أي الرجل الفاسي.
(7) (أي شر) ساقطة من (ب). و 735 (1334 ـ 1335م).
(8) (تم) ساقطة من (ب).
(9) النخيل مكررة في (ج). ولا حاجة إلى التذكير بفساد الرسم والإملاء والنحو في هذه الفقرة، ولكن المعنى، مع ذلك واضح.
(10) في (ب) ولم يكن عندهم يومئذ إلاّ رقابهم فاشترى أيضاً رقابهم، فلما تم شراؤهم الخ. والسواني = بساتين النخيل.

فلما تم شراؤهم، فقال لهم يوماً[1]: يا معشر القوم ما عليكم، غدوة[2] - إن شاء الله - عولت على السفر بكم لكي أبيعكم ونأخذ بحقكم قماش من قماش بحر اسويس[3]. قالوا: أهلاً وسهلاً، ولا يفك المملوك نفسه من مالكه[4].

فلما كان من الغد، رجوا[5] أن يسافر بهم، فلم يسافر، ثم أتاهم وقال: لا نسافر حتى تبنوا لي مسجداً، فبنوا له مسجداً[6]. وأقام[7] به غاية، ثم جعل له إماماً راتباً وصاحب قراية[8] فيه، فلما تم بناؤه قال لهم: إني أريد منكم - يا معشر ممالكي - ما[9] نراعيه عندكم إن أعتقكم لوجه الله تعالى، قالوا: سمعنا وأطعنا. ثم قال: نشهد الله والملائكة ورسله، فإني أعتقكم لوجه الله خالصاً، فقبلوا العتقة.

ثم قالوا له: نحن نولوك على رقابنا أبد الآبدين، قال: قبلت. وتم أمره وعمله على ذلك[10].

قرفة وطرود

قال، قلت له: هل عندك من خبر فلياش[11] الجبلي؟ قال لي: عندي منه شيء، والزيادة والنقصان في الخبر نقص من حظ العاقل.

---

(1) في (ج) يومئذ.
(2) في (ج) عدوة. غدوة = غداً.
(3) لعل المقصود ببحر السويس مصر، أو المراكز التجارية هناك المعروفة للحجاج.
(4) في (ب) مالكه، وكذلك في (ج)، أما في (أ) فهي مالكي.
(5) رجوا = انتظروا.
(6) فبنوا له مسجداً ساقطة من (ب) وكذلك من (ج).
(7) في (ب) وأقام غاية، أي قام به على أحسن وجه.
(8) في (ب) صاحب بدون واو. قراية = قراءة.
(9) (ما) ساقطة من (ب). ما نراعيه = ما أرد به جميلكم.
(10) ترجمت (ف) ذلك بقولها وبقوا تحت حكم الحاج (الفاسي) من بني مرين.
(11) فلياش كانت واحة صغيرة خارج بسكرة، انظر (ف).

قال لي: يا سيدي، إن قرفة[1] كانوا أهل واد يجري يحرثون عليه، [40] والأرض أرضهم ويشتّون بالنازية ويصيّفون في قرفة./ فلما جاؤوا طرود غاروا عليهم بعدما أخذونا (...) وهلكونا وخرجونا جزعاً علينا. فأقاموا في أثرهم حتى نزلوا على قرية (...) فلحقوهم[2] خمسة عشر مائة من الخيل، وقرفة قليلون، فأخذوهم وقلعوا أشجارهم وحرقوا زرعهم، هذا ما بلغني.

قال، قلت له[3]: زدني. قال لي: الزيادة في الخبر نقص، يا مسكين.

بين عدوان وطرود أيضا

قال، قلت له: ولماذا تقول طرود (...)؟ قال لي: يا سيدي (...) أفضل منهم وأحسن منهم[4] مروءة، فإن (...) يألف طاعمه وهم ليسوا كذلك.

قال، قلت له: يا شيخ أبقي في قلوبكم شيء من الحقد؟ قال لي[5]: يا سيدي، من ينسى صاحب زوجته؟ لقوله عليه الصلاة والسلام: من لا غيرة له لا إيمان له.

قلت له: هل يزوجكم بناتهم أو تزوجوهم بناتكم؟ فقال لي[6]: يا سيدي العداوة في حليب الضروع.

(1) في (ب) (قربة) وفي (ف) غرفة، وكذلك ما بعدها. وعبارة (واد بجر) في (أ)، وهي (واد) فقط في (ب)، وواد جار في (ف). ومكان النقط الكلمة التي نبهنا على الاستغناء عنها.

(2) في (ب) فلحقوهم في أثرهم. والمعنى أن طرود تغلبوا على قرفة.

(3) في (ج) قال له.

(4) (أحسن منهم) ساقطة من (ب).

(5) في (ج) قال: أي.

(6) جملة (قلت له هل يزوجكم بناتهم أو تزوجوهم بناتكم فقال لي) ساقطة من (ب). وفي (ف) جاءت الجملة في صيغة أخرى وهي: لماذا إذن تتزوجون بناتهم ويتزوجون بناتكم؟.

قلت له: أو لم تنسوا ظلمهم وما صدر منهم في أقدم الزمان؟ قال لي: يا سيدي قتلو لي أولاد عمران[1]، ولم تنسوا منهم ذلك. قال: يا سيدي فعلهم فعل ضوارى.

قلت له: يا سيدي، وأنتم ما عددكم؟ وهم ما عددهم؟[2] قال لي: يا سيدي، عددهم خمسمائة من الخيل، ونحن أربعمائة[3] من الخيل، وهم يقاتلوا بشراء الأرض وقصدهم ملكها، ونحن - يا سيدي - أربعة وعشرون[4] قبيلة، كل قبيلة لا توافق الأخرى.

قلت له: يا سيدي، كم من قصر أنتم؟ قال لي: يا سيدي خمس قصور.

قلت له: ما اسم القصور؟ قال: الأول[5] المدينة، والثاني قصر المعاوي، والثالث قصر مجور[6]، والرابع قصر الفلاة[7]،/ والخامس أم العز. [41]

(1) في (ف) قتلوا ابني عمران (على أن عمران ابن المتحدث). وهذا يدل على أن المرارة التي يشعر بها المتحدث كانت شخصية وليست جماعية، لأن الخلاف الذي كان بين عدوان وطرود قد زال بالصلح الذي تدخلت فيه زينب بنت تندلة والشيخ طرد نفسه، كما زال بالمصاهرة والأخوة إذ هم جميعاً من أصل واحد وجدّ واحد.

(2) في (ب) قلت له يا سيدي ما عددهم؟ قال لي الخ.

(3) في (ف) العدد هكذا: الف وخمسمائة من الخيل لطرود، وأربعمائة فقط لعدوان. وليس فيها وصف لهدف الحرب.

(4) في (أ) عشرين، وفي (ف) خمسة وعشرون.

(5) جملة (قال لي يا سيدي خمس قصور، قلت له ما اسم القصور قال الأول المدينة الخ). كلها ساقطة من (ب).

(6) في (ف) مجور، مكتوبة البحور (بفتح الباء).

(7) من هنا إلى نهاية صفحة 44 من الأصل مكتوب بخط مغاير، وأخبرني صاحب النسخة (أ)، الشيخ أحمد خراز أنه نسخه بخط يده، لأنه وجد نسخته ناقصة من صفحة 41 _ 44.

قال، قلت له: من أم العز[1]؟ قال: أم العز امرأة من الروم وهربت من أهلها حين دخل أصحاب عقبة (وطن)[2] افريقية.

قال، قلت له: ها هم يذكرون أن قصوراً بقربكم، ولم يعينوكم على عدوّكم. قال لي: يا سيدي قرية السبطي[3]، فيها رجال[4] من أولاد تورق (لا يقاتلون، بعثنا إليهم لأجل المعونة، فلم يأتوا إلينا.

قلت له: أخبرني من تورق[5]؟ قال لي: رجل من السودان اشترى نفسه من مولاه وسكن بالرمل، فهذا حاله.

فقلت له: ومن الأول الذي غرس النخيل؟ قال لي: أول من غرس النخيل[6] عمار البغدادي.

قال، قلت له: بَالْحَقْ تعرفون (أثر)[7] الرجل في الرمل الهايل؟ قال: نعم.

فقلت له: ومن عرفها الأول؟ قال لي: رجل يقال له عياط اللجي العدواني.

قال قلت له: لماذا اسمه عياط؟ قال: لأنه يعيط على نوبة شيخه

---

(1) في (ج) قلت له: من هي أم العز؟ قال لي يا سيدي إلخ.

(2) في (ج) وطن إفريقية. وفي (ف) أن المرأة مسيحية هربت من جيش عقبة.

(3) في (أ) قرية بسيطة، وفي (ف) إنها قرية السبطي (Sebti)، وهو الاسم الذي أعطته (ف) لتكسبت (؟)

(4) في (ب) و (ج) رجال من أولاد تورق، وفي (أ) رجل من أولاد توارق، وكذلك في (ف) على أنهم التوارق.

(5) ما بين القوسين زيادة من(ب) و (ج) وفي (ف) أن النخيل الذي غرسه البغدادي كان في قرية السبطي المتحدث عنها.

(6) في (ج) ومن غرس (كلمة غير مقروءة) النخل أولاً، قال عمار البغدادي.

(7) كلمة (أثر) زيادة من (ب) وكلمة تعرفون ساقطة من (ج).

سيدي المسعود الشابي[1].

فقلت له: بلغني عنهم أنهم[2] من تحت بطون النساء يروا الرجل[3] في الليل الظلام؟ قال: نعم، فهذه عادة (. . .) أعداء آبائنا.

قال، قلت له: لو وجدتم قوة تقتلونهم أو معونة تهلكونهم؟ قال لي: يا سيدي، اسكت فإنهم من الضوارى يتبعون أثر الدمس[4].

قال، قلت: من أين طرود؟ قال لي: فرق طرود وأصولهم هم[5] سبع فرق: فرقة من اليمن[6]، قاتلوا مع رأس الغول في قتاله مع[7] أصحاب علي ـ رضي الله عنه ـ، وفرقة من العراق عند قصر موسى بن عمران، وفرقة منهم بالشام من جماعة جبلة ابن الأيهم، وبقيتهم من بيت المقدس، أخرجتهم اليهود حين قتلوا رأيسهم[8]: روبير[9] اليهودي، وطلبت اليهود منهم ديته، فانصرفوا إلى الشام، فلما وقعت بين علي ومعاوية ـ رضي الله تعالى عنهما ـ اجتمعت الفرق السبعة (وأعانوا معاوية على علي)[10].

وقال قلت له: أيذوكم؟ قال لي: يا سيدي، لا، بيننا وبينهم/ [42] صحبة[11] حتى يصلون. قال، قلت له: (يا شيخ من أي القبائل أنت؟ قال

---

(1) الشابي زيادة من (ج).

(2) في (ب) و (ج) بلغني عنكم أنكم

(3) جملة (يروا الرجل) ساقطة من (ب) و (ج) وبدلها يوجد بالرجال في (ج) و (ب) وفي (ف) أعداء الله بدل أعداء آبائنا.

(4) كذا، الدمس أي القباب (؟)، والجملة من (لو وجدتم قوة. . . إلى الدمس) فيها اختلاف لفظي مع (ج)، ولم توردها (ف). ولعل الدمس تحريف (الدم).

(5) جملة(فرق طرود وأصولهم هم) ساقطة من (ب) و (ج).

(6) في (ج) الأيمن.

(7) في (ب) و (ج) (فذللوهم أصحاب علي الخ). بدل عبارة في قتاله مع أصحاب علي.

(8) في (ب) و (ج) راهبهم.

(9) في (ب) و (ج) روبيل وفي (ف) الحاخام (الربي) روبيل.

(10) في (ب) واجتمعوا السبعة فرق ومعاوية على علي. وفي (أ) اجتمعت الفرق السبعة وعلي ومعاوية. وما بين القوسين عبارة (ج).

(11) في (ب) و (ج) محبة حتى يصلونا. وفي (ف) ترجم المعنى بنفي الصحبة (ليس بيننا =

لي: من اللجة. قلت له: هل ترك السيد أحمد بن عبد العزيز أولاد؟ قال لي: ترك ولداً من أكابر البغال. (قلت له: ألم يقرأ ولم يصلي؟ قال لي: يا سيدي حمار أو بغال في مربطه)[1].

قلت له: أنتَ مِن أيّ الناس؟ قال لي: عدواني رحماني[2].

قال، قلت له: والأخضري[3]، من أي قبيلة؟ قال لي: (عدواني سلامي.

قلت له: اخبرني عن عدوان كم هو قبيلة)[4] قال لي: يا سيدي أربع وعشرون قبيلة تجتمع في خمسة: أولاد عبد الرحمٰن، وأولاد الشائب[5]، وأولاد سارة، وأولاد أحمد، وأولاد محبوب.

قلت له: إني قد أطلت عليك السؤال، فهل تمشي معي إلى منزلي أعطيك أكلاً وشرباً؟ قال لي: أحدثك وتتحدثني بهذا ويصل الأكل والشراب[6] إلى بطني؟ فقد هاجت علي مرارة العدواني[7].

= وبينهم صحبة)، بينما المعنى في النسخ الأخرى يحتمل حسب لفظ (لا) في الجملة.

(1) ما بين القوسين زيادة من (ب) و (ج). والحديث عن أحمد بن عبد العزيز وأولاده ساقط من (ف).

(2) في (ف) إنني من قرية اللجة المسكونة من عدوان ـ الرحمانيين.

(3) في (ب) والأخظر، وفي (ج) والأخضر، وكذلك في (ف)، أي الخضران. وفي الجملة تقديم وتأخير مع (ج). وقد يكون القصد عبد الرحمن الأخضري دفين بن طيوس وصاحب (السلم) و (الدرة البيضاء)، من أهل القرن العاشر الهجري، ترجمته في الإعلام للزركلي 4/108.

(4) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(5) في (ب) أولاد السايب وكذلك في (ج) و (ف) وفيها أيضاً أولاد سارى وأولاد حمد بدل سارية وأحمد. وفي (ف) أيضاً أن عدد قبائل عدوان خمسة وعشرون وليس أربعة وعشرين.

(6) كلمة (والشراب) ساقطة من (ب)، والجملة كلها فيها اختلاف في العبارة مع (ج).

(7) كذا في (أ) و (ب)، وفي (ج) مرارة الفؤاد. وكذلك في (ف) معنى الفؤاد.

قال، قلت له: في أي يوم ترجع إلى وطنك؟ قال لي: يا سيدي، أتيت بحمل من فسيل[1] النخيل لكي أغرسه بأرضي.

فقلت له: وكيف كان طرود يسبقوكم[2] إلى الوطن؟ قال لي: يا سيدي، كلامك حق، ولكن ما رشقوا فيه أسلحتهم فهو لهم وما تركوه أخذناه.

فقلت له: هل تقع بينكم وبينهم منازعة؟ قال لي: يا سيدي، (إن نفوسنا لا تحمل الجزية)[3] (فإن عقولنا أكمل من عقولهم، قلت له: هل لكم من سلطان يأخذ بينكم الجزية)[4]؟ قال لي: يا مسكين، الجزية على اليهود، ونحن نزلنا أرضاً خالية بين ثلاثة أوطان: الزاب للطعام، والجريد للتمر، ووادي ريغ للصوف. (قلت له: أتصنع نساؤكم الصوف؟)[5] قال لي: نعم.

ثم قلت له: جزاك الله عنا خيراً يا شيخ الصواب، وفصيح[6] المنطق، ورقيق الكلام، خذ مني هذه السبعة دنانير اشتري بها[7] فسيلا.

قال لي: قبلت.

---

(1) في (ب) فصيل النخل لكي اغرسه بالأرض، وفي (ج) فصل النخل، وفي (ف) المعنى أنه جاء يبحث عن الفسيل الخ.
(2) في (ب) (سبقوهم) وفي (أ) بيوتكم.
(3) ما بين القوسين ساقط من (ب) و (ج). ونفس الجملة تقع في (ف) جواباً على السؤال (هل لكم سلطان الخ).
(4) ما بين القوسين زيادة من (ب) و (ف)، وجملة (أن نفوسنا لا تحمل الجزية) ساقطة من (ب). وفي (ج) عقولنا أكثر الخ. والجملة فيها اختلاف.
(5) ما بين القوسين زيادة من (ب) و (ج) و (ف)، وفي هذه أن النسوة يَصْنَعْنَ القماش الذي نلبسه.
(6) في (ب) و (ج) ثم قال لي: جزاك الله الخ.
(7) في (ب) و (ج) اشترى بها فسيلا، قال لي قبلت الخ. وفي (أ) اشترى لي فسيلا الخ. وفي (ف) اشترى لي بها قطعة قماش من بلادكم.

قلت له: أخبرني على الشريف، من هو؟ قال لي: من أولاد الحسين[1] بن فاطمة الزهراء، ابنة النبي - ﷺ -.

قال، قلت له: اخبرني عن أصل[2] (السيرة) كيف كانت؟ قال لي[3]: [43] (ولد)/ عبد الله إدريس، فقام بالبصرة سلطاناً فقتل مغدوراً، فولده إدريس[4] فر بنفسه إلى المغرب، ونزل بمدينة تلمسان، واتبعه أخ له، وقسم معه الجيش، وخرج من مدينة تلمسان إلى مدينة أبي المعالي[5]، وتسمى أيضاً نفر فرعون[6]، فوجد فيها عبد المجيد الزهروني وراشد بن موسى القريشي.

ثم زوجه عبد المجيد ابنته، وكانت أحسن نساء[7] زمانها، فحملت منه السيدة بمولانا إدريس، ثم توفي إدريس وترك[8] بنت عبد المجيد حاملة ولها ستة شهور، فلما تم لها تسعة شهور وضعت ولداً فسموه على أبيه إدريس، فلذلك سمي إدريس الأكبر وابنه إدريس الأصغر، وكانت السيدة كاملة العقل والدين وتابعة ما قال الكتاب والسنّة، وكان إدريس الأكبر لا يفعل فعلا إلاّ

(1) في (ب) قال لي: من ولد الحسين بن فاطمة الخ. وفي (أ) قال هو ولد حسين الخ. وفي (ف) السؤال عن الإشراف وليس عن شريف بعينه.
(2) في (أ) بياض بعد كلمة (أصل)، وفي (ب) أصل السيرة، وفي (ج) أخبرني على السيرة الخ. والمعنى كيف تأصل الشرف.
(3) في (أ) بياض بعد عبارة قال لي، وفي (ب) قال لي ولد عبد الله إدريس، وفي (ج) ولد لعبد الله إدريس.
(4) في (ب) فولد له إدريس، وفي (ج) فولد له إدريس ففر بنفسه الخ.
(5) في (ج) تلمسان ونزل بمدينة أبي المعالي.
(6) كذا في (أ) و (ب) نفر فرعون، أما في (ج) و (ف) فهي قصر فرعون ولم تذكر (ف) اسم مدينة أبي المعالي. والزهروني (الزرهوني؟) في (ف) مكتوب الزهاري.
(7) كلمة (نساء) ساقطة من (ب) ومن (ج).
(8) في (ج) تقرأ الجملة باختلاف هو: ثم توفي إدريس الأكبر وترك إدريس الأصغر في بطن امه ولد من ستة أشهر، وكانت أمه كاملة العقل الخ.

بمشورتها[1].

وكان سبب وفاته[2] أنه أتى إليه سليمان ابن جبير[3] وقال له إن هارون الرشيد يحبك ويسأل عليك وعلى حالك دائماً، وها خذ منه هذه القارورة، فهي مسك هدية منه إليك، فأخذها وشمها فطلع السم على خياشمه فمات من توّه ـ رحمه الله ـ[4]. (فولد إدريس الأصغر عند أمه، فسمته أمه إدريس على اسم أبيه)[5].

وبقي ابنه إدريس فناصرته البرابر وغيرهم (وهو ابن ثمانية أشهر، حتى كبر وقرأ جميع العلوم مدة من اثني عشر سنة)[6] فأدخلته أمه للكتاب فقرأ القرآن والعلم/ وفاق أهل زمانه[7]، وبقي حاكماً في موضع أبيه وأمر ببنيان[8] [44] فاس الصغير، ثم تزوجت له أمه بابنة سليمان، وبقي مدة وتوفي[9]، وسبب وفاته أنه أكل حبة من العنب مسمومة.

وترك اثني عشر ولداً ذكراً، أولهم: (أحمد)[10]، ومحمد، وعبد الله، وعمران، وعيسى، وداود، ويحيى، وحمزة، وكثير، وعلي، وعمر،

---

(1) في (ب) و (ج) برأيها بدل مشورتها.

(2) في (ج) وكان سبب وفاة إدريس الأكبر.

(3) في (ف) تعليق لفيرو أن ابن خلدون ذكر أن الاسم هو سليمان بن حُرَيْز، بينما ذكره القيرواني سليمان الشمّا.

(4) بين (أ) و (ب) و (ج) اختلاف في التعبير في الجملة الأخيرة.

(5) ما بين القوسين زيادة من (ج).

(6) ما بين القوسين زيادة من (ج).

(7) في (ف) أنه لما بلغ اثني عشر سنة فاق أقرانه علماً وحكمة.

(8) في (ج) (وأمر ببنيان فاس، ثم زوجته أمه بنت سليمان، ثم توفي، وسبب وفاته الخ).

(9) سنة 213هـ ـ 828م. ويعرف بإدريس بن إدريس. ترجمته في الأعلام للزركلي 266/1.

(10) أحمد ساقط من (أ)، وفي (ف) إبراهيم بدل عثمان.

وعثمان[1].

وتولى أولهم محمد الخلافة بعد أبيه[2]، وقسم البلدان على إخوانه (مخافة المقاتلة، فأعطى لعمر بادس، ولعمران طنجة. وكل واحد أعطاه ما يليق به، وبقي أمير الخلافة)[3].

ثورة ابن عافية واليتيمان

حتى قام اللعين ابن عافية، وتولى الجيش، وكان جيشه ثمانين ألف من الخيل، وصار يفحص على الشرفاء حيث كانوا، فمن وجده منهم قتله حتى قتل منهم ثلاثمائة (300) شريفاً في يوم واحد، وقتل كل من كان شريف بالمغرب. فسمع[4] بيتيمين عند سالم بن أحمد، رجل من ناحية الزاب بقرية تسمى ابن طيوسْ، فنزل عليهم وطلب منهم اليتيمن ليقتلهما، فأبوا فحاصرهم سبعة أيام حتى ضج أهل البلاد[5]. (وقالوا: يا سالم، خرّج ما عندك، فيهما ولا في كافة البلاد)[6].

فأتى سالم امرأته، وفَدَتْهُما بولدين لها، كما سبق الخبر[7]. وبقي اليتيمان إبراهيم وإسماعيل حتى فرّا بنفسهما إلى بني صواب[8]، فأقاما فيهم،

---

(1) في (ج) إبراهيم بدل اسمي يحيى وحمزة. أما عثمان فغير موجود.

(2) في (ب) و (ج) وتولى ابنه محمد الخلافة وقسم الخ.

(3) ما بين القوسين زيادة من (ج).

(4) كذا في (ب) و (ج)، أما في (أ) فتقرأ الجملة: فمنع سوى اثنين يتيمين عند سالم الخ.

(5) في (ب) زيادة وهي: وقالوا يا سالم خرّج ما عندك، فيهما ولا في كافة البلاد، فأتى سالم إلى زوجته الخ.

(6) ما بين القوسين زيادة من (ج).

(7) لم يسبق هذا الخبر في النسخ التي عندنا. والجملة في (ج) تقرأ هكذا (فأتى إلى زوجته وفدتهما الخ).

(8) في (ف) بني ميزاب. وهي في (أ) غير واضحة كأنها (بني حواب).

لأن بني عافية بينهم (وبينهم مساعدة، فاشترى الملكَ معهم وكَتَبَا أنفسَهما منهم)[1]. وهكذا تم المراد، إلى أن لحق اليتيمن بنفطة[2]. (وكان) علي بمدينة نفطة، فأخذوا بحظهما[3] بني علي كثيراً، فلما سمع إبراهيم وإسماعيل بذلك انتقلا إلى نفطة وبقيا فيها مدة اثني عشر سنة.

أولاد نائل والأغواط

/ ثم أتى عيسى أخيهما من جبل نايل[4]، وكان إبراهيم وإسماعيل [45] والدهما عيسى، فقتله بني عافية في جميع القتلى، وترك أمه حاملاً، وكان اسمها زهرة من بني نايل[5]، فحملت وأتت إلى أمها رقية بنت العربي، فولدت بعيسى ببلد الأغواط فسمته باسم والده.

فلما كبر سأل أمه، هل لي أب أو إخوة؟ قالت: لا تسأل يا بني ولا نذكر لك شيئاً فإن ظالماً بقربنا يفصح[6] على نسبكم ويقتله، ولكن إلحق بإخوانك في نفطة قرية بني علي. فشد راحلته وأتى إلى نفطه، وهو ابن اثني عشر سنة، فنزل بإخوانه، وبقي على ذلك حتى أرسلت إليه أمه، الحق بنا

---

(1) ما بين القوسين زيادة من (ب) و (ج) و (ف) مع بعض الاختلاف. واشترى = اشتريا الأملاك.

(2) في (ب) (وأما اليتيمين اسم أحدهما أمقدم والآخر بمدينة نفطة). وفي (ج) (اسم أحدهما أمقدم والآخر علي بمدينة نفطة). الخ. والمعنى في (ف) هكذا: «ولما علم إبراهيم وإسماعيل اللذان توجها إلى بني ميزاب، إن شخصين آخرين شريفين، هما مقدم وعلي، قد هربا بدورهما إلى نفطة، غادرا بني ميزاب ولحقا بهما في نفطة أيضاً، وعاش الجميع في سلام مدة اثني عشر سنة. وهناك لحق بهم عيسى أخو إبراهيم وإسماعيل، الذي جاء من جبال أولاد نائل».

(3) في (ج) فأخذا بحظهم. و (كان) من إضافتنا. والمعنى العام لقصة اليتيمين وأخوتهم (علي ومقدم وعيسى) مع ابن عافية، واضح مما سقناه من عبارة (ف).

(4) في (ب) و (ف) نايل، وفي (أ) قايل، وفي (ج) وايل.

(5) في (ب) نايل، وفي (ج) قايل أيضاً مثل (أ). وبني عافية = ابن عافية.

(6) كذا في (ب) أيضاً، لكن في (ج) وغيرها يفحص. والمعنى يبحث.

فإننا على مشرف القبر، لا بد[1]، ثم حمل أهله وأولاده ولحق بأمه.

فلما وصل إلى الأغواط وجد الناس راجعين من دفنها، فبقي مدة فيها. وتوفي بالأغواط، وقبره معروفاً. أعقل الكلام ولا تترك منه شيئاً.

فلما حضرته الوفاة قال لأولاده: الحقوا بأعمامكم بنفطة. ولم يدخل المشرق[2] واحد غير هؤلاء، ثم صار الشرفاء يخرج من بين الاحجاز والاشان[3] وغاب الأسماء إلى المشرق.

زناتة وبنو هلال أو الجازية وذياب

قال، قلت له: أخبرني على زناتة وبني هلال كيف سبب الفتنة بينهم؟ قال لي: يا بني كنت ذات يوم جالساً وحدي في خلوة فحدثتني نفسي أن أزور الشيخ البكري في الشام، فأخذت عكازاً لي وأخذت البرية[4]، فلما بلغت موضعاً يقال له ابن قرحان[5] بقرب/ طرابلس، فلقيت بخيول، فلما نظروني [46] لحقوا بي، فلما عاينوني قال بعضهم: ارفعوا أيديكم فإن هذا رجلاً مرابط عليه أثر الصلاح، وأنا ليس بذلك، فنزلوا بساحتي وإذا بالخيل تتزايد حتى أحصيتهم ألف فارس، وإذا بالسواد[6] والنساء لاحقين أثرهم.

---

(1) تعبير (لا بدّ) ساقط من (ب).

(2) في (ف) أن عيسى نصح أولاده بأن يلحقوا بأعمامهم وأن لا يسكنوا الغرب أبداً، ثم علق فيرو على هذا النص بأنه وجد، أثناء بحثه عن الأصول الدينية لعائلة أولاد مقران زعماء مجانة، نفس هذه الأسطورة، أي عدم الإقامة في الغرب.

(3) كذا في (ب) أيضاً، وفي (ج) الأحجان والأشان، وفي بعض النسخ الأحجار. والجملة كلها ساقطة في (ف). يخرج = يخرجون والجملة من (يخرج من بين الأحجار... إلى المشرق) غير واضحة.

(4) أي طريق البر.

(5) في (ف) بوقرحان.

(6) في (ف) السواد ترجمت بالزنوج، بينما المقصود بها، فيما يبدو، عامة الناس غير الفرسان.

فأضافوني[1] فلم آكل من طعامهم شيئاً لأنهم بوادي، وطعامهم لم يكن خالياً من الحرام، فأكلت سويقي، إلى الصباح، وإذا بخيل أخرى أخرجت من قرية الزاوية الغربية[2] من عمالة طرابلس، فلما نظروا إليهم زنات[3] طلقوا أعنتهم إليهم.

فسألت عاقلاً معهم، ما سبب هذه الخيل؟ قال: هؤلاء بني هلال ونحن قوم زنات، نريد القتال. فقلت له: وما أحملكم على الحرب من غير موجب؟ قال له: يا شيخ البركة: هؤلاء يقاتلونا على غير مراد. قلت له: ولا بد للصايل على غيره إلاّ بحجة. قال لي: أحدثك على سيرة الناس[4].

كانت امرأة عند بني هلال قد خطبوها بني عمها، الغني والفقير، والباهي والخشين، (والمليح والقبيح)[5]، فلم تقبل منهم أحد. وكانت ذات حسن وجمال، وقدٌ واعتدال، وبهاء وكمال. وكان رجلاً من قومنا اسمه خليفة بن عمارة[6] وكان ذو حُسْن وجمال، وكان صاحب[7] سطوة وفروسة، وكان صاحب أشعار وكلام ظريف، (خرج)[8] يفتش على نياق له أذهبهم الغيم والرياح[9]، وإذا بإمرأة وحولها عشرون بكرى من بنات الأصول يحلّون عقاصها[10].

---

(1) فأضافوني ساقطة من (ب).

(2) في (ف) الزاوية فقط دون كلمة الغربية.

(3) في (ب) زناتة، أي فلما عرفتهم زناتة. طلقوا = أطلقوا.

(4) في (ب) سيرتها، كانت امرأة بني هلال و (أ) و (ج) متفقتان في العبارة.

(5) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(6) في (ب) ابن عمار. ولعل العدواني من أوائل من كتب قصة الجازية والزناتي خليفة، ويبدو أنها كتبت من وجهة نظر زناتية. ذلك أن القصة هلالية الأصل كما أوردها ابن خلدون وغيره. وترجع إلى هجرتهم إلى المغرب العربي.

(7) صاحب ساقطة من (ب).

(8) (خرج) زيادة من (ب).

(9) في (ج) الريح.

(10) بكرى = بكراً، جمع أبكار. عقاصها = ضفائر شعرها.

قال خليفة: فتقدمت إليهم[1] فنظروا إليّ وقالوا لي: من يا فارس؟
[47] قلت لهم: فتّاش على نياق ذات الأربعة (قالت لي صاحبة الرأي منهم:/ أظنك تفصح على نياق ذات الأربعة أو ذات الرجلين؟ قلت لهم: كنت نفتش على ذات الأربعة واليوم صرت نفتش على ذات الرجلين)[2]. قالت لي صاحبة الرأي منهم: فإنك لا تقدر على زمام الناقة وعقالها! قال، قلت لها[3]: أقدر ـ إن شاء الله ـ، فإني خليفة الزناتي! ألم تعرفي[4] اسمي، واسمي شائع وذائع في جميع الأوطان؟ قالت: أنت خليفة؟ قال، قلت لها: نعم. قالت لي: انطلق إلى غد، وارجع إلى هذه الشجرة.

فلما كان من الغد، تحدثت النسوة التي معها، وكان اسم المرأة الهلالية جازية، فأخذوا خطّابُها سيوفَهم وكمنوا في قرب الشجرة هنيهة، وإذا بالفارس قادم عليهم، وعليه حُلّة قوامها ألوف (الدنانير) وتحته فرساً بيضاء كأنه مذم[5] من لبن، وبيده سيف كأنه من سيوف الهراقلية[6]، وعليه درع داودي قوامه مائة دينار.

فصار يمشي حتى وصل الشجرة، وإذا بالمرأة قادمة عليه، وعليها جبة قوامها كثير[7]، وعليها رائحة طيبة مسكاً وعوداً، ولها وجه كأنه (دارة)[8] القمر ليلة تمامه، فلما وصلت إليه سلمت عليه، فرد عليها السلام وقالت له:

---

(1) اليهم = اليهن فنظرن... وقلن الخ.
(2) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(3) في (ج) قلت له.
(4) في (ج) ألم تعرف.
(5) (مذم) = مذق. في الأصل فرسا بيضاً كأنه وبذلك تقرأ (بيضا) على أنها أبيض وليس بيضاء.
(6) لم تترجم (ف) هذه الكلمة إلا بأن السيوف تشبه السيوف التي يحملها حراس السلاطين.
(7) في (ب) قوامها ألوف.
(8) ما بين القوسين زيادة من (ج).

مرحباً بك، يا شباب يا زين البهى[1]، انزل ارحْ جوادك. قال لها: والله[2] ما ننزل، فإن ظهورها عزاً، وبطونها كنزاً، هذا من كلام العقلاء، وما كانت امرأة مثلك في الحسب والنسب إلا لها عديان كثيرة، وإن قلبي يحدثني بأن أعداء من وراء ظهري.

قالت لي[3]: يا شباب ما علم أحد بحاجتي، ولكن اعمل على ما سبق إليه حديث قلبك.

قال، فلما استتم كلامها حتى أتت إلينا الخيل/ من كل جانب ومكان، [48] نحو المائة فارس تتسابق إلينا[4]، وبأيديهم رماح وسيوف تلمع. قال، قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم تلاقيت معهم، وقامت الجازية على ساقيها وهي تقول: يا بن فلان فإن الذي أتوا إليك كلهم خطباً لي[5]، ولم نأب عليهم دونك، والعمر أيامه[6] معدودة، ولكن عليك بلابس الأحمر، فهو ابن عمي وخاطبني (وأنفق علي ألفا ديناراً ذهباً، وهو أشد الخيل بأساً)[7]، فدونك فيه في القتل! فإذا قتلته أو جرحته بقي العدو دلو بلا حبل. قال، فتقدمتُ إليه وطعنته في صدره حتى خرج الرماح من ظهره وتركته.

ولقوني واحد بعد واحد، حتى قتلت منهم سبعة فرسان، ثم هجموا عليَّ بأجمعهم، ولا زلت في القتال معهم حتى قتلت منهم اثني عشر فارساً، ثم أخذتْ الجازية فرساً من خيل العدو وقاتلت معي قتالاً كبيراً[8]، من أول

---

(1) البهى = البهاء.
(2) في (ب) قال لها ما ننزل.
(3) في (ب) قالت له.
(4) في (أ) إليه.
(5) أي خطّاباً لي. ولم ناب عليهم = لم نبال بهم.
(6) في (ج) أياماً.
(7) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(8) في (ب) قتلاً ذريعاً.

النهار إلى وقت صلاة العصر، فهربوا أمامي، ولحقت بواحد منهم فقسمته، ورجعوا ورجعت[1] الجازية إلى خيمة أبيها.

وقالوا: ما هذا القتال؟ وما هذا النزاع؟ قيل فلان مات، وفلان جرح، ولم يعلم بالواقعة[2] أحد، وسألوا[3] عن من أصاب القوم، فلم يخرج منه كلام، حتى سمعوا من الرعاة ومن جوالب[4] الطرق.

فركبوا من الغد بنو هلال وهجموا علينا، ولم يكن لنا علم، ثم قمنا وهجمنا عليهم، وذلك من موضع (يقال له بالغال في ناحية[5] برقة إلى هذا الموضع)[6] كما ترى، وهاه القتال بيننا.

فقلت له: وأنت ممن تكن يا شيخ؟ قال لي: من بني تارق، عاشرت هذا القوم/ وكنت واحد منهم[7]. [49]

زيارة للشيخ البكري في الشام

قلت له: لو تقبل قولي ونصيحتي لتركت ما عندك للسباع يأكلونه،

---

(1) في (ب) فرجعت أنا والجازية، وفي (ج) فقسمته ورجعتْ الجازية.

(2) في (أ) الواقع.

(3) في (ب) حتى سألوا.

(4) في (ب) من جانب، وفي (ف) يعرف المكان بـ (البغال). جوالب الطرق = عابرو السبيل.

(5) في (أ) نايحة، وهي الناحية بالشعبي في بعض الجهات.

(6) ما بين القوسين ساقط من (ب). علق فيرو على القصة بقوله: إن قصة الجازية وخليفة الزناتي والأمير ذياب قد ظهرت بشأنها سيرة في الإسكندرية بالعربية أصبحت منتشرة بكثرة في إقليم قسنطينة، وقال إنه خلال الحملة الفرنسية على ناحية البابور سنة 1865 أطلعه السكان هناك على مكان يعرف بقبر الجازية في الجهة الشرقية من جبل البابور وليس في المكان بناء، وإنما قطعة محاطة بأشجار الأرز والصنوبر. وتذهب الأسطورة إلى أن خليفة الزناتي قد دفن إزاءها بعد أن قتله الأمير ذياب.

(7) في (ف) العبارة هي: لي علاقات مع الزناتين، وقد اتبعتهم كأنني فرد منهم.

واتبعني نمضيا إلى الشيخ البكري، نطلب منه الفاتحة وندخلا في سلك الصالحين، وإن الموت كل يوم طالبك.

فقال: ما قلت إلا الصواب، ولكن أخاف من العدوان تقتلني، فقلت له: إن كنت قاصداً[1] الشيخ بنية خالصة فتركب على الأسود يوصلنا إلى الموضع الذي نريداه، قال لي: والله لا بقي في قلبي شيء إلاّ صحبة الشيخ البكري.

قال، فانطلقت وهو معي[2]، إلى أن بلغنا إلى الشيخ فوجدناه بسمرقنده زائراً الشيخ داوود، فأتينا إليه فسلم علي، وقال: ما هذا الذي معك؟ قلت له: أنت أخبر به، فقال: هذا الرجل التارق الذي جماعته مع غيرها تقاتلوا[3]، قلت له: بركاتك تخبرك عن حاله، قال: مرحباً به، فخلع الشيخ عليه حلة من ثيابه (فلبسها له)[4]. فبقي مغشياً عليه من ثلاثة ساعات ثم فاق.

فقلت: ما رأيتَ في هذه النومة؟ فقال لي: يا شيخ، كنتُ تحت سبعة أراض ثم علوتُ فوق الأرض، وصرت مع قوم لا نعرفهم وهم وراء جبل قاف، وأرسلوني إلى الشيخ نقيب بينهم وبينه، مسافة نحو ثلاثة أيام وأنا نمضي، إلى أن وصلت إلى الشيخ من عندهم، ثم وقفت، وهذا حالي[5]. ثم

---

(1) في (ج) إن كنت صادقاً وقاصداً. وجملة (أخاف من العدوان تقتلني، الخ). ترجمتها (ف): ولكننا سنقتل ممن حولنا عندما يرون أننا نبتعد.

(2) عبارة (وهو معي) ساقطة من (ج).

(3) في (ج) الذي جماعته مع غيره ما تقاتلوا، من هذه الجملة إلى... ثم بقينا سبعة أيام الخ.) كلها ساقطة من (ف)، أي الجانب المنامي من القصة.

(4) ما بين القوسين زيادة من (ب). رجعنا إلى كتاب (الاعلام) فوجدنا ترجمة الشيخ محمد بن محمد الصديقي البكري (930 ـ 994هـ) = 1525 ـ 1586م. وهو من عائلة مصرية لا شامية، ويعرف بالقطب وبالكبير، وله ذرية ومؤلفات في التصوف وغيره. ومن أولاده أبو السرور البكري الذي يبدو أنه كان معاصراً للعدواني (توفي سنة 1007هـ). انظر الأعلام 7/289.

(5) في (أ) حال.

أخذ الشيخ طاسة ماء ومسح بها وجهي، وأنا الآن معكم.

ثم بقينا عنده سبعة أيام، وهو يوصيني ويقول لي عليك بثلاثة مسائل: قلة الأكل، وقلة النوم، وقلة المجالسة مع غير أهل الخير.

ثم أخذنا راجعين إلى وطننا، فقال لي: يا سيدي خرجنا بلا زاد ولا ركَاب. فهل/ لا نطلب الشيخ يعطينا دابة ويزودنا شيء من الأكل؟ قلت له: [50] كُلّه أمامنا، يا قليل اليقين![1].

قال، فانطلقت أنا، وهو راجعاً معي[2]، فقال لي: كم بيننا وبين مصر القاهرة؟ قلت له: شهر ونصف. قال لي: هيهات[3] ما أبعد أهلي! قال: ونحن سائرين، وإذا بربوة[4] قبالتنا، فقال لي: اعجل لي، هلمَّ[5] نصلي، قلت له: اصبر حتى نصلوا مصر. قال لي: ما أبعد مصر! قلت له هَاهُ خلفنا. قال، قلت له: أنا لي كم من بعد بطال مصر[6]، قلت له: طرابلس. قال لي: ما أبعد طرابلس! قلت له: هيهات، من ورائك! ثم قال لي: أظنك تستهزىء علي! قلت[7]: وحق الشيخ إلا ما قلت لك إلاّ الصواب، قال (لي)[8]: ها أنا لم نَعْيَ من المشي، قلت له: بحرمة الشيخ لم تَعْيا، قلت له: من بعد

(1) عبارة (يا قليل اليقين) ساقطة من (ج).

(2) في (ب) فانطلقت أنا وإياه راجعين فقال لي الخ.

(3) في (ب) لفظ هيهات مكرر.

(4) في (ب) بقرية، وفي (ج) بربوة، و (سايرون) بدل (سايرين)، أما في (أ) فهي بروبة. قبالتنا = مقابلة لنا.

(5) (هلم) ساقطة من (ج).

(6) في (ب) الجملة هكذا: (قلت له كم من بعد بطال مصر، قلت له أطرابلس الخ.) ثم إن جملة (قال لي ما أبعد أطرابلس) ساقطة من (ب). أما جملة (قال قلت له أنا لي... أطرابلس الأولى) فساقطة من (ج). وربما يكون معنى (بطال)=ما بقي على مصر.

(7) في بعض النسخ (قال لي) وهي قلت.

(8) (لي) ساقطة من (ب)، والجملة من (قلت له هيهات من ورائك الخ.) مكتوبة في (ج) هكذا (قلت هاه وراءك، قال لي أظنك تستهزؤا علي، قال لي بحق الشيخ ما قلت لك إلا الصواب).

طرابلس؟[1] قال لي: وما صلاة الظهر[2] قدما لكي نصليا الظهر، قال لي خرجنا اليوم نصلوا الظهر؟ قال: نصلوه أمامنا.

قلت له: خرجنا اليوم من سمرقند، نصلوا الظهر في توزر؟[3] قال لي: أظنك لم يتم اعتقادك مع الشيخ، قال، قلت له: والله إلا اعتقادي مع الشيخ تام، ولكنْ جاهل أمرِ الشيوخِ. يرحمك الله. قال لي: اربط على الاعتقاد، ولا تخالف أمر الشيخ، قال: فنزلنا نفطة. قلت له[4]: نصلّوا الظهر؟ قال لي[5]: نصلّياه في سوف.

قال (الراوي)[6]: فوصلنا اللجة في الحين، فوجدنا السيد محمد بن عمر التفتزاني[7] إمام اللجة، فصلينا خلفه الظهر، وسلموا علينا الفقراء، فقالوا لنا: ما لنا لم نروكما من ذي ثلاثة أيام؟ قلنا لهم: كنا في زيارة[8] الشيخ البكري، أعاننا الله عليها.

---

(1) في (ب) ما أبعد أطرابلس!

(2) في (ج) (وأما صلاة الظهر قدما لكي نصليا الظهر؟ قال لي خرجنا اليوم من أسمرقند نصليا الظهر في توزر الخ..).

(3) جملة قال لي خرجنا اليوم إلى كلمة توزر، معظمها ساقط من (ب). ما هو في (ب) هكذا: قال لي اليوم نصلوا الظهر في توزر الخ. وأما (ف) فقد اختصرت قصة رجوع الشيخ وصاحبه واكتفت بذكر الأماكن والمسافات تقريباً. والحوار فيه اضطراب، كما هو ظاهر من تكرير جملة (قال لي) أو (قلت له).

(4) في (ب) قال لي.

(5) في (ب) قلت نصلوه في سوف.

(6) ما بين القوسين زيادة من (ب)، وبعدها (فوصلوا) بدل فوصلنا، وهكذا بقية الضمائر.

(7) كلمة (التفتزاني) ساقطة من (ب)، وكلمة (محمد) تقرأ في (ج) محمود ومحمد معاً. وفي (ف) سي (سيدي؟) محمد.

(8) في (ب) زاوية. وفي (ف) العصر بدل الظهر. والفقراء = الدراويش أو اتباع الطريقة الصوفية.

زواج عزاز

ثم قلت له: من أنت[1] يا صاحبي وما اسمك؟ قال (لي)[2]: اسمي عزاز[3] بن سالم/ بن معاوية بن مبارك بن عمار بن خليفة العدواني. [51]

فبقي عندنا نحو خمسة عشر[4] يوماً، ثم قال لي: أيها السيد نريد الزواج! فقلت[5]: ما في هذه البلاد ما يليق بك، لكن انتقل إلى تاغزوت، فإن صياد عنده بنت حسنة تسمى زينب، يريد زواجها. قال لي: يا سيدي أتأذنّي[6] أن أمضي إلى تاغزوت يزوجني محمد الصياد[7] بنته؟.

قال: (نعم)[8]. فمضى إلى تاغزوت، وزوجه محمد الصياد ابنته زينب، وسكن عنده[9] حتى ولدت له أولاداً. هكذا الكلام. اعقل القصة يا مسكين[10] الخ.

نقباء سوف

قلت له: أخبرني على سوف من هو نقيب فيها، وكل بلاد تحتاج إلى صالح، قال لي: يا شيخ صفوان، سوف[11] لها سبعة قصور كل قصر له نقيب

(1) في (ب) قال لي من أنت؟ وفي (ف) وعندما انتهى الشيخ المسن من قصته سألته: من أنت؟.
(2) (لي) زيادة من (ب).
(3) في (ج) تقرأ (عزال).
(4) في (ب) فبقا عندنا نحو خمسة أيام.
(5) (فقلت) ساقطة من (ب)، وفي (ج) قلت له.
(6) في (ج) أتأذن لي.
(7) في (ب) الصيادي، وكذلك ما بعدها. ولعله يشير إلى أصل الصايدة، إحدى قبائل سوف.
(8) (نعم) زيادة من (ب).
(9) عبارة (وسكن عنده) ساقطة من (ج).
(10) في (ج) ولدت له أولاداً، كذا الكلام.
(11) من (وكل بلاد) إلى كلمة (سوف) ساقط من (ب).

صالح قائم بحالها وبأمرها.

قال: باللجة، السيد عمارة الساسي[1]، والعياط بن أبي بكر.

وبتاغزوت: مبارك بشريط، وبشر[2]، ورايس الناس، والسيد أبو عزيز.

وكوينين: جبنون بن سالم بن موسى.

والغديرة الوسطى: لم يكن فيها أحد.

قال: وقصر قايد، به السيد قاسم بن عمارة بن معمر بن صالح الأكبر الزناتي.

وقصر حمد : السيد عبد الله بن خليفة بن مسلم العرباضي القريشي.

قلت له: يا شيخ منه الوالي[3] عليهم؟ قال: عبد الله[4]، لا تسأل عنه حتى تدرك مدرك الرجال.

قلت له: أظنك يا سيدي أنت. قال: الله أعلم، ولكن الشيخ كلمني يوماً، قال لي: أنت الوالي ورايس[5] الصالحين في زمانك، ولكن انهض، قد بلغتَ ما بلغت الرجال، وأنت عمِّر وطنك.

قلت له: أخبرني عن بعض أحوال البلاد لم أعرفهم ولم نعرف أسماؤهم/ . [52]

---

(1) في (ب) والسامي.
(2) في (ب) بشير.
(3) في (أ) منه (الولي)؟ منه = من هو.
(4) أي أنه عبد من عباد الله. أو يا عَبْدَ الله، إلخ.
(5) في (أ) أنت الولي ورايسي.

أصول ماء التاجر وأم زعرور وبودخان الخ

قال لي: اسأل عما شئت، جازاك الله عنا خيراً[1]، إن شاء الله.

قلت له: أخبرني عن ماء يقال له[2] ماء التاجر، قال لي: كان رجل من عرب مجور[3] تاجراً، اكترى رجلاً يدل به الطريق، فلما وصل هذا الموضع غرّ الدليل نفسه، وكان وقت صيف، وأخطى به الطريق، فعطش التاجر حتى أيِس من نفسه، فقال له: ولا بد أن تأتيني بالماء، لقد ذهب عقلي وغاب ذهني من العطش[4]، فهل لك أن تمضي وتأتيني بالماء؟ فقال له[5]: اصبر، وغاب عنه لكي يموت ويأخذ ما عنده (من المال)[6]. فصار التاجر يحفر بعصاته حتى نبع الماء، فشرب منه حتى روى وملأ قربته.

فلما كان بعد صلاة العشاء الأخير أتاه الدليل ليجده ميتاً ويأخذ ما عنده من المال فوجده حياً بمائه، وبقي معروفاً بماء التاجر[7].

قال، قلت له: أخبرني على الحضرية[8]. قال لي: أم زعرور ماتت يوم لقاء طرود والعرب، ويوم موت زعرور فقيل لها: ولدك مات، فسقطت من أعلى الجمل على رأسها، فماتت وبقي اسمها (علماً على ذلك)[9].

---

(1) كذا في (ج)، أما في (أ) فكتبت: جازاك له بخير.

(2) في (ب) أخبرني عن ماء التاجر.

(3) في (ف) ترجمت مجور بمعنى المجاور (من العرب المجاورين). والظاهر أن فيرو لم يفهم معنى المكان فكان إما يهمله وإما يترجمه خطأ. وقد أشرنا إلى أن مجور اسم جبل معروف.

(4) من (من العطش إلى فقال له اصبر) ساقطة من (ب).

(5) في الأصل (أ)، فقال لي.

(6) (من المال) زيادة من (ب).

(7) في (ب) فبقي علماً على ذلك الموضع فسمي ماء التاجر.

(8) في (ج) الحضرية، وفي (أ) لحضرية، ولم تذكرها (ف) بهذا الاسم، واكتفت باسم (أم زعرور)، وفي (ف) أيضاً أن الأم سقطت من على جبل وليس جملاً، وهذا بعيد.

(9) ما بين القوسين زيادة من (ب).

وأما بودخان، قال لي[1]: كان رجل يسمى عرفجة[2]، من قبيلة البربر، سمع بشيخ بقرب الجبل، والي يطعم الطعام. فقال: لا بد أن نمضي إليه لعل الله أن يدركني من بركاته شيء ندخره للآخرة.

فلما وصل إليه، قال له صاحب الروضة[3]: مرحباً بك يا قادم إلينا! قال له: وبك أهلاً وسهلاً. فبقيت عنده خمسة سنين، يأتيه[4] القادم. فقلت له: يا سيدي، نريد منك أن تعطيني شيئاً من البركة. قال لي: نعم. فقلت له: ولا بد من ذلك. فأعطاني حماراً، وسقته أمامي حتى وصلته إلى موضع بودخان/ اليوم[5]. [53]

فمات الحمار فدفنته هناك، وجعلت عليه روضة، وبقِيتُ ندخن عليه لكي يأتي إلينا الناس، فصارت الناس تأوي إليه من كل مكان، وبقَتْ الناس[6] تجلب إليه الطعام، حتى سمع به[7] صاحب الروضة الذي أعطاه الحمار، فأتى إليه، وقال: ما صنيعك في هذه الكرامات حتى صرت في هذه الحالة الكبيرة والعناية الواصلة؟ قال له: أنت سيدي، وهذا قبر[8] الحمار الذي أعطيتني مات ودفنته في هذه الروضة، وقلتَ لا بدّ أن نعمّر في هذا المكان، فهذا حالي كما ترى.

---

(1) عبارة (قال لي) ساقطة من (ج). وبودخان شبكة وجبل يبعد حوالي مائة ك م من خنشلة، بينها وبين سوف.

(2) في (ف) عرجبة. وفي (أ) و (ب) عرمجة.

(3) في (ج) الروض.

(4) في (أ) يأتياه. وفي (ب) فأتياه.

(5) كلمة (اليوم) ساقطة من (ب).

(6) وبقت الناس، ساقطة من (ب)، وفي (ف) معنى آخر وهو أن الدخان صار يخرج من حفرة fosse، الحمار فانجلب الناس إلى هذا المكان.

(7) في (أ) حتى سمع بي.

(8) في (ب) قال له يا سيدي هذا قبر الحمار الخ.

وأما السفارية، قال: امرأة من طرود كانت تحرض الرجال يوم اللقاء، يوم الذي مات فيه عسلوج بن سارية[1].

وأما الكلابية، كان على عهد زناتة غديرة ماء، فصارت كلابهم يشربون منها، فبَقَتْ عَلَماً لذلك الموضع.

وأما لَبِيَرصْ[2]، فهو رجل صالح من عدوان، لما نزلوا طرود علينا، فمنهم الحضري بقي معهم، والبلدي فر منهم بنفسه ومواشه، فخرجوا سبعة رجال بأتباعهم.

أما لبيرص نزل بعلامته، وجعل أمّه بخيمتها، فسميت الخيمة، وكان في الخيمة تمراً ودقيقاً للرّكبان[3] المارين يأكلون ويشربون ويتزودون، وهو يجول مع مواشه[4]، والسُّلُقِيةُ[5] بيده، وهو يرعى بغنمه إلى وقت الصلاة، يأوي إلى البئر يتوضى ويصلي. وهكذا، وأمه في الخيمة.

وأما السعودي، أخي لبيرص، ولكن مبرز عنه[6] والمسغين، أخيهما[7] أيضاً، نازل وحده بمواشيه خوفاً من طرود أن يظلموه، كما

---

(1) في (ب) يوم اللقى، وهو الذي مات فيه عسلوج الخ. والسفارية تقع اليوم في الطريق بين سوف وتبسة، وهي قريبة من عيون النازية المذكورة آنفاً.

(2) في (ج) الأبيرص وبعده، وفي (ب) (البيرص). وكلمة غير واضحة، وهي ساقطة من (ج) وموجودة في (ب) وكأنها (بفة). أما موقف لبيرص فهو في سوف الشرقية بطريق الجريد قريباً من بو عروة (الطالب العربي حالياً). إما (الكلابية) فتقع بطريق سوف ـ تبسة.

(3) في (ب) للركاب. وكلمة (المارين) ساقطة من (ج).

(4) في (ب) مواشيه.

(5) جاء في جغرافية تونس لصفر أن السلوقية قرية عند تستور نزح إليها الأندلسيون ص 82.

(6) عبارة (ولكن مبرز عنه) الأولى ساقطة من (ج).

(7) في (ج) عبارة ولكن الأبيرص مبرز عنه وكذا المصغين نازل وحده الخ.

فعلوا بسحبان[1]، وجدوه هارباً أخذوا ماله وقتلوه[2].

وكان الأبيرص أمه تسمى غندرية[3] فولدت ثلاثة أولاد[4] / أبوهم [54] عين، داوي، كالشيني[5]، فَسَمّوا موضعهم بأُمَيَّة الغنادرة، وبقي علماً على أسمائهم إلى زماننا هذا.

وأما اسم حزوه، فهي امرأة من بقية الزناتة، ماتت هناك، فصارت علماً على الأسماء[6].

قصة هاروت وماروت

قلت له: أخبرني على هاروت وماروت، فمنهم من؟ قال لي: ملكين، قال[7] ابن عباس: وذلك أن الملائكة لما رأوا ما يصعد من أعمال بني آدم الخبيثة في زمان إدريس ـ عليه السلام ـ[8]، فعيروهم وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واخترتهم وهم يعصونك؟ فقال الله (لهم)[9]: لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم كمثل ما رُكِّبوا. قالوا: سبحانك ما

---

(1) سحبان اليوم علم على قرية تقع حوالي 30 ك م جنوب غرب الوادي بطريق تقرت.

(2) في (ج) أخذوا ماله وقاتله.

(3) في (ب) غنديرة وكذلك في (ف).

(4) كلمة أولاد ساقطة من (ب).

(5) في (ب) أبو عين، داوي، كاشني، وفي (ج) أباهم عين، داوي، كالشيني، وفي (ف) علنداوي، كاشني. أميهة = تصغير ماء (ماء الغنادرة).

(6) على اسمها في (ب)، وفي (ج) و (ف) يبدأ الحديث مباشرة عن أولاد مزروع.

(7) جملة (فمنهم من قال لي ملكين قال لي) ساقطة من (ب). والملاحظ أن قصة هاروت وماروت لم ترد في (ج) ولا (ف). وفي (أ) قال لي بن عباس، فالغينا (لي) ليستقيم المعنى.

(8) في (ب) إدريس على نبينا أفضل الصلاة والسلام.

(9) (لهم) زيادة من (ب).

كان ينبغي (لنا)[1] أن نعصوك. قال الله ـ تعالى ـ: **﴿فاختاروا ملكين من خياركم اهبطاهما إلى الأرض﴾**، فاختاروا هاروت وماروت. وكانا[2] من أصلح الملائكة وأعبدهم

وكان اسم هاروت عزا[3] وماروت عزيا بِغَير اسمهما لما قرب الذنب وركب فيهما الشهوة، واهبطهما إلى الأرض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق، ونهاهما عن الشرك، والقتل[4] بغير الحق، والزنا، وشرب الخمر، وكانا يقضيان بين الناس يومهما، فإذا نسيا ذِكْرَ الله الأعظم صعدا[5] إلى السماء، فما مرّ عليهما شهر حتى افتتنا.

وذلك أنه اختصم إليهما امرأة مع زوجها، وكان اسمها الزهرة، وكانت أجمل أهل فارس، فلما رآها أخذت[6] بقلبهما، فقال أحدهما لصاحبه: هل سقط في نفسك ما سقط في نفسي؟ قال: نعم، فراوداها عن أنفسهما، فأبت وانصرفت ثم عاودت اليوم الثاني، ففعل مثل أمس، فأبت وقالت: إلاّ أن تعبدا هذا/ الصنم، وتقتلا النفس، وتشربا الخمر، فقالا (لها)[7]: لا سبيل [55] إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها، ثم انصرفت[8].

فعاودت في اليوم الثالث، ومعها قدح خمر، فهمّ[9] في أنفسهما من الميل إليها فراوداها عن نفسها، فعرضت عليهما، وقالت ما قالت

---

(1) (لنا) زيادة من (ب).
(2) في (أ) وكنا. اهبطاهما = اهبطهما.
(3) (عزا) ساقطة من (ب).
(4) في (ب) وقتل النفس.
(5) في (أ) وصعدا.
(6) في (ب) أخذت الفتنة بقلبهما. رآها = رأياها.
(7) (لها) زيادة من (ب).
(8) في (ب) انصرف.
(9) في (ب) فهمّا.

بالأمس[1]. فقالا: الصلاة لغير الله العظيم[2]، وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر، فشربا، فلما[3] انتشيا وقعا بالمرأة فَزَنَيا بها. فرآهما إنسان فقتلاه خوفاً (من)[4] الفضيحة.

وقال علي بن أبي طالب لهما: لن تدركاني حتي تخبران بالذي تصعدان به إلى السماء. فقالا لها: اسم الله[5] الأعظم. فقالت: ما أنتما بمدركي كي تعلماني إياه. فقال أحدهما للآخر: علّمْها. فقال: إني[6] أخاف الله رب العالمين. فعلمها ذلك، فتكلمت به وصعدت إلى السماء، فمسخها الله كوكباً، فقال بعضهم: هي الزهر[7] بعينها.

فهمّا بالصعود إلى السماء، فلم تُطِعْهما أجنحَتُهما. فلما نظرا[8] ما أحل بهما شكيا إلى إدريس وأخبراه بما وقع وطلبا الشفاعة منه إلى الله. ففعل ذلك. ثم قالا له: يا إدريس! رأينا[9] ما يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع الناس وأهل الأرض. فشفع إدريس لهما فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة، لأنه مقطوع بفناء الدنيا.

وهما بأرض بابل. قيل إنهما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة، وقيل منكسان على رؤوسهما ويُضْربان بسياط من حديد.

وقيل إن رجلاً قصدهما لتعليم السحر فوجدهما معلقان بأرجلهما،

---

(1) في (ب) فقالت باليومين المتقدمين. فعرضت = أعرضت.
(2) في (ب) الصلاة لغير العظيم.
(3) في (أ) لما.
(4) (من) زيادة من (ب).
(5) في (ب) الاسم الأعظم. وجملة (علي بن أبي طالب. . .) تبدو نشازاً هنا.
(6) في (ب) علمها أني أخاف الله الخ.
(7) في (ب) الزهرة.
(8) في (أ) نظر.
(9) في (ب) ثم قال الله يا دريس وأينا ما يصعد لك الخ.

[56] وبينهما وبين الماء قدر أربعة أصباع، وهما يعذبان بالعطش. قال/ الرجل: لا إله إلا الله[1]. قالا له: من أنت؟ قال الرجل: من أمة محمد ـ ﷺ ـ قالا: وقد بعث محمد ـ ﷺ ـ؟ قال: نعم. قالا: الحمد لله. وأظهرا الاستبشار. فقال الرجل: ولم استبشرتما؟ قالا له: هذا نبي الساعة. وقد قرب انقضاء عذابنا. افهم إن كنت عاقلاً[2].

قصة بني مزروع وصاحب تونس

قال، قلت له: اخبرني عن أولاد مزروع، طرود أم لا؟ قال: ليس بطرود، أخبرك عن القصة بتمامها أم آتيك طرفاً من خبرها[3]؟ قلت له: ولا بد، قال لي[4]: يا بني، كان مزروع رجل[5] من قرية من قرى النصارى، وكان مزروع والده صاحب رياسة ومملكة، وكان يلعب مع قومه[6] خارج البلاد.

قال[7]: وإذا بصاحب تونس خارج يتريّض[8] راكب في مركبه فأخذه هو ومن معه ورجع بهما إلى تونس. فلما رآه الأمير أعجبه وقال: يا قوم هذا

---

(1) في (ب) لا إله إلا الله محمد، دون إكمال (رسول الله).
(2) قصة هاروت وماروت ساقطة كلها من (ج) ومن (ف). كما ذكرنا سابقاً.
(3) في (ب) طرفاً منها.
(4) (قال لي) ساقطة من (ب).
(5) في (ب) كان مزروع والده من مدينة ـ قريت من قرى النصارى. ولكن (ف) قالت إنه كان فتى وسيماً وذكياً وكان نصرانياً.
(6) في (ف) إن مزروع كان من مدينة (قومه). بينما النص في النسخ الأخرى أنه كان يلعب مع قومه. كما خالفت (ف) في جعل مركب قرصنة تونسي يأسر مزروع ويحمله إلى أمير تونس. وخالفت كذلك في جعل مزروع يدفع إلى الخدم ألف دينار وليس مائة.
(7) (قال) ساقطة من (ب).
(8) يتريّض = يتنزه.

العلج أريده لنفسي، فقالوا له: هُوَلَكَ، فأخذه وبقي عنده مدة من السنين، فمات الأمير.

فلما كان وقت الممات أوصى ابنه بذلك، وقال: عليك بهذا العلج، ولو قال لك، أخرج من (هذه)[1] المملكة اخرج! قال ابنه: نعم. فمات الأمير ودفن، وعمل الابن بوصية أبيه.

قال فلما كان ذات يوم خرج الأمير إلى سوانيه، ورجع على الفور فوجد مزروع مع زوجته في لحاف واحد، فأمر بطرحهما في البحر، فجعلاهما في غرارة واحدة وحملها[2] إلى حلق البحر ليرمياهما فيه، فاكرى[3] مزروع الخدام وأعطاهما مائة دينار، فحلّوا وثاقهما وخلوا سبيلهما.

وانصرف هارباً إلى أن دخل[4] خيمة منصور بن سعيد، رجل يعرف بالصلاح من بني همّام، فنزل عنده، وقال له: مالك؟ قال مزروع: مظلوم! قال له[5]: بل أنت الظالم، فبقى مزروع عنده/ وأخذ المرأة وطرحوها في [57] البحر، وتم العمل.

قال وأما ما كان من خبر مزروع، اشترى ناقة وخيمة، وبقي مع بني همام مدة، حتى نزل بقفصة[6]. فأعجبته البلاد، لأنه حضري لا يستطيع

---

(1) (هذه) مضافة من (ج).

(2) في (ب) وحملوهما، وفي (ج) إلى (حلق الوادي) بدل حلق البحر. وحلق الوادي هو المرسي التونسي المعروف.

(3) في (ب) فاكترى.

(4) في (ب) دخلا.

(5) في (ب) قال بل أنت الظالم.

(6) من عبارة (وأخذ المرأة إلى عبارة نزل بقفصة) فيها حذف طويل من (ب)، وعبارتها هكذا: (فبقا مزروع عنده مدة وهو نازل مع بني همّام فاشترى ناقة وخيمة إلى أن نزل بقفصة). وخالفت (ف) فذكرت أن مزروع تزوج بعشيقته ولم يطرحها في البحر، وأنه عندما ذهب إلى قفصة طلق المرأة البدوية التي تزوجها عندما كان بالبادية وأبقى =

البادية. فبقي له امرأة بالبادية وامرأة بالحضرية إلى أن مات.

وترك مالاً كثيراً وعشرة أولاد، فأعجبتهم البادية، وبقى[1] فيها إلى زمان مراد[2] الأمير بمحروسة تونس، فكثروا أولاده. وكانت الناس تأوي إليهم من كل النواحي، فجعلهم صاحب تونس حماة قفصة ممن أراد أن يؤذيها.

وكان لهم خراج قيمته خمسة مائة ديناراً، ومائة وستة وتسعون قفيزاً من الشعير[3]، ومائة قفيز من البر. وهكذا. وكانوا يومئذ أربعة مائة من الخيل يذبون على من اذاية[4] قفصة. اعقل القصة[5].

بنو مزروع وطرود

فلما خرجوا طرود، وفسدوا وطن افريقية، كما سبق الخبر، فطردهم صاحب تونس، وخرج من خرج منهم[6]، وبقي من بقي منهم، فمروا على قفصة وأخذوا طرود جميع بقرها ومعزها.

فبعثوا أهل قفصة إلى بني مزورع[7]: إياكم والعدوّ الفاسد، أَخَذُوا بَقَرَنا ومعَزَنا. وأخذوا[8] بني مزروع سلاحهم وشدوا قرابصهم، ولحقوا في أثر

= فقط على الأميرة العشيقة أما عن الأولاد فالخبر في (ف) أن البلاد (وليس البادية) قد أعجبتهم.

(1) في (ف) فأعجبتهم البلاد بقى = بقوا.

(2) كلمة (مراد) لا تعني عند العدواني حاكماً بعينه، ولكنها تعني أي حاكم تركي، فهي علامة على حكم الأتراك.

(3) في (ف) 96 قفيزاً من الشعير.

(4) في (ب) يذبون على إذاية قفصة. والمعنى على من أراد إذاية قفصة.

(5) عبارة (أعقل القصة) ساقطة من (ب).

(6) (منهم) ساقطة من (ب).

(7) (بنى) ساقطة من (ب).

(8) في (ب) ثم أخذوا. وقرابصهم = سروجهم.

طرود، وطرود[1] نازلين بأهلهم على موضع يقال له بَرّ ماجر من الزوارين[2]. فلحقوهم بموضع يقال له فوسان[3] اليوم.

فرجعوا عليهم طرود، وكانت[4] خيل طرود ألف فارس، فأول مَنْ برز الناصر بن أحمد فمات، وأخذ المزروع فرسه وسيفه، ثم عاود المزروع، وكان اسمه عمران الكبير، فنزل إليه سالم بن باكير[5] الطرودي فقتله، ولم يزل يقتل كل[6] من يبرز إليه حتى قتل من طرود/ سبعة فارسين[7]، فلما [58] نظروا طرود إليه نادوا بأعلى أصواتهم: يا عنبري![8] إياك وآكلين الهندي[9]، افنونا.

قال (الراوي)[10]: فأثنى عليه (العنبري)[11]، وكان فوقه درعان[12] ولطمهم ودهم عليه فأخذ سيفه، وقال: يا بني مزروع[13] لطرود يا فاسدين المذهب، إلى ها هنا في الفساد؟ فهذه بلادنا وأرضنا، اخرجوا منها يا كلاب

---

(1) في (ج) طرود مرة واحدة، أي في أثر طرود نازلين الخ.
(2) في (ج) قرب الزوارين، وفي (ف) بر مجانة. والزاورين بلدة تقع جهة الكاف (تونس).
(3) في (ب) بموضع يسمى، وفي (ج) فوسانة. وهي قرية ريفية بين القصرين وتاله (تونس).
(4) في (ب) وكانت عدة خيل طرود.
(5) في (ب) سالم باكير فقتله الخ.
(6) في (ب) ولا زال يقتل المزروع من طرود كل من يبرز حتى قتل منهم الخ.
(7) في (ج) فراسين.
(8) في (ب) يا عنبر.
(9) في (أ) الهند. والمراد به التين الشوكي. والمعنى: لقد أفنانا أكلو التين الشوكي، أي الحضر.
(10) (الراوي) زيادة من (ب).
(11) (العنبري) زيادة من (ب). فأثنى = فانثنى.
(12) في (ب) وكان تحته جياد فنزل عليه وفوقه درعان ولطمه ودهم عليه فأخذ سيفه وقال يا بن مزروع لطرود الخ. وفي (ج) ولطمهم ودهم عليهم الخ.
(13) المعنى يقتضي أن المزروعي (أو بني مزروع) قال لطرود الخ.

العشرة قبل أن نفنوكم عن آخركم.

قال له العنبري: نَقِّصْ علينا بالقول يا وكّال الهندي[1]. قال: إياك والسيف!

قال (الراوي)[2]: فتلاقيا كأنهما جملان هائجان، أو أسدين ضاريين، أو جبلين شامخين، وذلك من طلوع الشمس إلى صلاة العصر، فأخس[3] عمران (المزروع) بفرسه غاية التكسير، فقال له: اصبر حتى تبدل فرساً آخر، قال له (العنبري)[4]: افعل، فعند ذلك فرّ وعطاه بقفاه، فهمز جواده نحوه وضربه بسيفه وقسمه نصفين، ثم قال غدرت يا صاحب الغدر[5].

فلما رأوا بني مزروع صاحبهم قد مات ولوا الأدبار، وركنوا إلى الفرار، فلحقوا طرود في أثرهم إلى أن أدخلوهم قرية الدغرة[6]، فقتلوا منهم أربعمائة رجلاً، وأخذوا سلبهم ومواشيهم وخيامهم والنسوان، وتركوهم برؤوس الجبال هائمين.

ثم رجعوا إلى أهلهم، وحملوا على إبلهم ونزلوا على قفصة، فأخذوا جميع ما عندهم من متاع وأثاث الذي بقفصة وأخذوا جميع ما لهم من العادة المخزنية[7].

---

(1) الهندي ساقطة من (ب)، والعبارة فيها هي: يا وكال إياك السيف.
(2) الراوي زيادة من (ب).
(3) في (ج) فأحس، وفي (ب) فأخْسى عمران المزروع (أي المزروعي).
(4) (العنبري) زيادة من (ب).
(5) عبارة (غدرت الخ.) جعلتها (ف) على لسان المزروعي يخاطب العنبري، بينما النص العربي في النسخ الأخرى يجعلها على لسان العنبري، لأن المزروعي هو الذي غدر بهروبه الخ.
(6) في (ب) الدغر، أما (ف) فلم تذكر هذا المكان. وفي سوف اليوم قرية تسمى الداغرة.
(7) أي أن طرود واصلوا مطاردتهم لبني مزروع حتى في قفصة حيث أخذوا متاعهم وحتى خزانة أموالهم التي جبوها من الخراج.

بين أمير تونس والشابية

قال[1]: ثم سمع بفعل طرود صاحبُ تونس، فبعث إلى الشابّي: عليك بقتل طرود، ولك عندي نصف المملكة، فبعث إليه: والله لو وجدت الروم تقاتلك لأعنتهم عليك.

قال (الراوي)[2]: فبقي صاحب تونس مغتاظ/ على الشابي إلى عام [59] ثلاثة وثمانمائة[3]، ركب صاحب تونس في ألفين من الخيل وقصد الشابي، وكان نازلاً على موضع يقال له عين شبرو[4]، فلما وصل إليه وجد صياد إلى الحنانشة، فسأله عن خبر الشابي[5]، فقال له: هو على عين شبرو، وأظنه راحل قاصد واد الرمل، ولكن على رؤوسكم حتى نخبركم عن حاله وداره قالوا: نعم.

فذهب الصياد[6] إلى الشابي. فقال له: انهض فإن ألفين من الخيل على أثرى، ولا بد[7] قال (الراوي)[8]: فقام الشابي وحمل جميع ما عنده على ظهور الإبل، وأوصى خدامه: انطلقوا بهم إلى الجبل، فانطلقوا نحو

---

(1) في (ب) قال الراوي ثم سمع الخ. وفي (ج) قال ثم سمع.

(2) (الراوي) زيادة من (ب).

(3) 803هـ = 1400م، هذا التاريخ غير مذكور في (ف) ولكن ذكرت بدله أن أمير تونس بقي ثلاث سنوات ينتظر فرصة الانتقام من الشابية. والمعروف أن الحركة الشابية لم تظهر إلا حوالي قرن بعد هذا التاريخ.

(4) في (ف) أن (عين شبرو) تقع على الطريق بين قسنطينة وتبسة، وهي على بعد حوالي 20ك م من تبسة. وفي (أ) و (ب) كتبت (عين شبر).

(5) في (ب) عن خبر الشابي وهو الآن على عين شبر، قال لهم الصياد الحناشي أظنه الخ. والحنانشة قبيلة عربية عتيدة تقطن نواحي الأوراس وتبسة وسوق أهراس وشمال غرب تونس وكانت ذات نفوذ كبير على قبائل أخرى.

(6) في (ب) الصيادي.

(7) (ولا بد) زيادة من (ب).

(8) (الراوي) زيادة من (ب).

الجبل[1]، وإذا بالخيل اطلقت أعنتها كأنها عنان واحد، قاصدين الشابي.

فلما رآهم الشابي طَلَقَ عنانه هو ومن معه، والتفّت الخيل بالخيل والرجال بالرجال، نحو أربعة ساعات، وإذا بخيل إفريقية (وهو صاحب تونس)[2] هربت وولت الأدبار، فلحق الشابي في أثرهم فقتل منهم مائة وخمسون فارساً، وأخذوا خيلهم ودروعهم، ولا زالوا في القتال وهم في أثرهم إلى أن أوصلوهم إلى باجة، ورجعوا[3] إلى واد الرمل[4]، ورجعت خيل إفريقية إلى (صاحب)[5] تونس.

فلما وصلوا إليه قطع ثيابه وأحث التراب على (وجهه)[6] ورأسه. وقال (لهم): يا قوم! الذين يشربون لبان البقر يغلبوكم؟ قالوا له: أمر الله غالباً، فسكت وبقي يحتال على غدر[7] الشابي، إلى أن سمع بقافلة له قاصدة قصور إفريقية للكيل[8]. فَرَكِبَ ألفاً من الخيل وقصدها، فوجدها نازلة على موضع يقال له عبيدة، بقرب قصر الكاف، فأخذها وكانت أربعمائة بعير.

[60] فرجعوا إلى الشابي خائبين. فلما/ كان ذلك[9]، بعث إلى صاحب تونس: أما بعد، فلا بد تردّ لنا ما أخذته من قافلتنا على الوفاء والتمام، وإلاّ كن على حذر، فإني آتيك بالخيل والرجال على الفور.

---

(1) في (ب) ففعلوا كذلك، بدل فانطلقوا نحو الجبل.

(2) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(3) في (ب) ثم رجع الشابي.

(4) واد الرمل، جاء في تعليق لفيرو في (ف) أن هناك (واد الرمل) الذي ينبع من أسفل قسنطينة وهناك آخر بهذا الاسم غير بعيد من مدينة الكاف. ورجح المعلق أن يكون المقصود من النص الاسم الأول لأن الشابية اعتادوا التعسكر عنده. والراجح عندنا هو الذي بالقرب من الكاف لقربه من ميدان النشاط العسكري بين الشابية وحكام تونس.

(5) (صاحب) زيادة من (ب).

(6) زيادة من (ب).

(7) في (ب) خبر بدل غدر. في (ج) على غدر الشابي فسمع الخ. بإسقاط (إلى أن).

(8) في (ب) (إفريقية) ساقطة، والعبارة فيها هي (قاصدة قصور لكيل الطعام الخ.).

(9) في (ب) فلما سمع الشابي بعث الخ.

فبعث له صاحب تونس: إن الذين قابلوك أول مرة ذهبوا، وآت قوتك، فلسنا من الناس الذين يخافون.

قال (الراوي)[1]: فلما وصل إليه، بعث الشابي إلى الحنانشة، وإلى بني مؤمن، وقرفة، وبني صالح، وبني عرعار، وبني غواصي، وأهل مجور، وبني اسلمان، والسعادنية[2]، فكانوا جملة مَنْ جَمَعَه ألف وخمسمائة من الخيل.

ثم قصد[3] إفريقية، فلما دخلها هرب جميع من سمع به حتى وجد إبل الأمير (صاحب تونس)[4] في محل يقال له السلوقية، فأخذها نحو ستمائة ناقة، وفيها بعض من إبلهم (التي أخذها صاحب تونس سابقاً)[5]. ثم رجع إلى واد الرمل.

فلما سمع به صاحب تونس بأخذ إبله عضّ صبْعِيه وقال: يا قوم، هذا وجه المشماشة، لقد أفشا[6] غليله منا، ما عندكم من الرأي؟ قالوا بأجمعهم: إياك وإياك، الخيل والرجال! قال لهم: تم عملكم على ذلك؟ قالوا: نعم،

---

(1) (الراوي) زيادة من (ب)، وكلمة (قال) ساقطة من (ج).

(2) بالنسبة للأسماء في (ف): ترجمة قرفة بـ (فراجة)، وبني صالح بـ (بني صالح ـ الحرار)، وبني غواصي بـ (بني عواسي)، ومجور بـ (المجاورين)، وهي الترجمة المطردة تقريباً لهذا التعبير في كل النص). وبني أسلمان بـ (بني سليمان)، والسعادنية بـ (السعدية)، ولا وجود لترجمة (بني عرعار). فهل جمع بين بني صالح ـ بني عرعار؟ وقد علق فيرو على عائلة (الحرار) بأنها كانت إلى حوالي سنة 1830 هي صاحبة النفوذ الواسع على مدى الحدود التونسية في منطقة الحنانشة. ومن أعضائها البارزين: أولاد خالد، وأولاد ناصر، وأولاد سلطان، وأولاد بوعزيز، وأولاد إبراهيم. ولكن منذ التاريخ المذكور حلت محل الحرار عائلة (الرزقي) على رأس الحنانشة.

(3) في (ب) قصدوا، وهكذا ما بعدها من ضمائر: دخلوها، بهم الخ.

(4) زيادة من (ب).

(5) زيادة من (ب).

(6) كذا، وهي شفى.

وباليمين إلا ما قلنا إلا (ما)[1] هو. قال لهم: يا قوم، بقي عليكم مشورة أخرى. قالوا: وما هي ـ أصلح الله حال الأمير ـ؟ قال: ولا بد ابعثوا إلى أهل إفريقية بأجمعهم يأتونا بالخيل والرجال. قالوا: نعم الرأي.

قال: فبعث إلى أهل إفريقية، والقوابس، وعرض[2] القبلة، والجريد، ونفزاوة، وأهل جبل باكور، فأتته الخيل والرجال نحو أربعة آلاف من الخيل وستة آلاف من الرجال.

قال: فقاموا[3] عنده عشرة أيام في صلاح أحوالهم، فكان في اليوم الحادي عشر/ [61]، أخذوا في السير قاصدين موضع يقال له الميزان[4]، ويقال له صراط[5]، فكان في أسفله هذا الوزير[6].

فبعث وزير تونس إلى الشابي : نحن قد عولنا على قتالكم يوم السبت، ومعنا (أيضاً)[7] أربعة آلاف من الخيل وستة آلاف من الرجال، فلا بد نأخذوا مالكم ونُشَمِّتوا حالكم، ونرثوا أرضكم، ونجعل لحومكم للذئاب[8].

وكان هذا الوزير من ناحية الشابي، ويقصده التحذير والتنذير خوفاً

---

(1) زيادة من (ب)، وكلمة (قلنا) ممحوة من نسخة (ج) المصورة.
(2) في (ب) وعرب القبلة. وعرض = جهة.
(3) قاموا = أقاموا وعنده تعني أمير تونس.
(4) كذا في (ب) أيضاً، وفي نسخة ( ) المزاز، ولعله يعني المجاز، وفي (ف) المجاز، وبعده تعليق على أنه مجاز أو وادي سراط، وهو أحد روافد وادي ملاق يقع على الحدود التونسية غير بعيد من مريج.
(5) في (ب) ويقال أيضاً الصراط، وفي (ج) سراط.
(6) في (ب) فكان في أسفله وزيراً محباً للشابي. فبعث إليه صاحب تونس، وفي (ج) كأنها عضد الوزير الخ.
(7) (أيضاً) زيادة من (ب).
(8) في (أ) الضمائر كلها بالمفرد: حالك، أرضك، لحومك الخ. وفي (ب) نشتموا بدل نشمتوا.

عليه أن يأخذهم على حين غفلة منهم[1].

قال (الراوي)[2]: فلما وصل الخبر إلى الشابي بالتحذير، قال لقومه: إن صاحب تونس قصدنا بالقتال، ما عندكم من الرأي؟ قالوا له: الرأي عندنا أننا نقاتلوا لبعيد[3] من أرضنا، وكان هذا المتكلم رجل من خمير[4]. قالوا بأجمعهم: هذا هو الرأي.

قال (الراوي)[5]: فركبوا خيل الشابي بأجمعها، وكذلك الرجال كلها، حتى نزلوا على بلوك موضع بإفريقية، فقال الخميري[6]: هذا موضع واسع يصلح لجولان الخيل، قالوا: أنت مديرنا ورأيك صالح.

فلما كان في اليوم الثالث، نزل عليهم صاحب تونس بخيله ورجاله، فبنوا الفساطيط قبالة الشابي، وبقوا يومهم من غير حرب.

أولاد سعيد والحنانشة

فلما كان في صباح الغد[7] أطلقوا راياتهم وركبوا خيولهم، (فلما رآهم

---

(1) في الجملة فرق في عائد الضمائر بين النسخ. ففي (ب) الجملة هكذا: (ثم الوزير الذي محباً للشابي بعث إلى الشابي وبقصده التحذير والتنذير خوفاً منه أن يأخذه على حين غفلة منهم). أما في (أ) و (ج) فهي ما أثبتناه في النص إلا كلمة (منهم) فهي (منكم).

(2) زيادة من (ب).

(3) في (ج) نقاتلوه بعيد عن أرضنا.

(4) في (أ) و (ب) و (ف) حمير، و (ج) (خمير)، وخمير جبل بجهة باجة بينها وبين طبرقة، وكانت تسكنه قبيلة بنفس الاسم.

(5) زيادة من (ب).

(6) في (أ) و (ف) الحميري، وفي (ب) الحمير، وفي (ج) الخميري. ولم تذكر (ف) لفظ (بلوك)، وإنما قالت أن جماعة الشابي وصلوا إلى الموضع الذي اقترحه الرجل الخميري.

(7) في (ب) صباح اليوم الرابع.

الشابي كذلك ركب خيله وأطلق رايته)[1]. فأول من برز إلى المبراز سعيد[2]، رجل من أولاد سعيد، وكان فارساً معروفاً بالفروسية والشجاعة في وسط الحرب والميدان، فنزل إليه[3] الغرام بن منذر الحناشي، وكان تحته[4] فرس بيضاء، وعليه حلة مذهبة وسيف هرقلي.

فلما نظر إليه قال له: من أنت[5]؟ قال له: أنا رجل من بني حناش. [62] قال له (سعيد)[6]: ما تريد؟/ قال (الغرام)[7] نريد قتلك، بعون الله تعالى، يا قليل الخير! قال له (سعيد)[8]: ثكلتك أمك! أنا فارس إفريقية طولاً وعرضاً، تحدثني بهذا الحديث، يا ظالم وأبوك ظالم، تأتوا الناسَ لمنازلهم، يا قلال الخير! قال له: أنتم الظالمون. (قال له)[9]: تأخذ مال الأمير وتبعثوا له بالكلام الخشن. قال له (الغرام)[10]: ما هو بأمير علينا، وإنما هو أمير على إفريقية وعمالها، ونحن أفضل منه دنيا وأخرى، نحن من أولاد عبد الله بن مسعود، علاَّم[11] رسول الله ـ ﷺ ـ.

قال له: أنت أمير البقر، وجدّكم ما لنا به حاجة، لأنه أفضل منا على

---

(1) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(2) في (ب) الجملة تقرأ هكذا: إلى المبراز رجل من قوم صاحب تونس، اسمه سعيد من أولاد سعيد الخ). ونفس المعنى في (ف) وفي (ج) فأول من نزل إلى المبراز الخ.

(3) في (ب) زيادة وهي (فنزل إليه رجل من قوم الشابي اسمه الغرام...)، وفي (ف) أنه (غنام) وأولاد سعيد قبيلة عربية كبيرة. تقطن أرض النفيضة (تونس).

(4) في (ج) ولكن تحته، وكان تحته.

(5) جملة (قال له من أنت) ساقطة من (ب).

(6) زيادة من (ب).

(7) زيادة من (ب).

(8) زيادة من (ب) وهكذا.

(9) زيادة من (ب).

(10) زيادة من (ب).

(11) علام: أي حامل الراية.

كل حال، وأنت رجل بدوي وتشرب لبان البقر، وتناموا على الحلفاء، وتتوسد العرعار. قال له الغرام: اسكت يا كلب الأمير[1].

فلما سمع كلامه ذلك، تغيّر لونه، وتحيّر عقله، فدنا من بعضهما بعض والتقيا[2] بسيوفهما على ضربة واحدة، فسبقت ضربة الإفريقي، فصادفت كتفه فقتله ومات الحناشي[3].

فدهمت القبائل بعضها بعضاً، وهجمت الخيل بالخيل والرجال بالرجال، (وذلك من صلاة الصبح)[4] إلى صلاة الظهر، وانفصلا ولم يدفنوا من مات.

فلما كان في اليوم الثاني، هجمت الخيل بالخيل والرجال بالرجال، وذلك من صلاة الصبح إلى صلاة العصر فانفصلا.

ثم بعث صاحبُ إفريقية[5] الشيخَ[6] دوبان، والشيخَ الصالح زلغوم[7]، أن يكف القتال اليوم[8] لندفنوا موتانا وموتاكم[9]. فافْتُقِد من مات من (صاحب)[10] إفريقية مائة وخمسون فارساً[11] ومائتين فرس، ومن الشابي مائة وستون فارس ومائة فرس.

فكان من أهل إفريقية خمسة وعشرون فارساً، من أهل الدولة زغلان،

---

(1) في (ف) يا كلب بدون سيد.
(2) في (أ) والتقايا.
(3) في (ب) الغرام بدل الحناشي، والسياق يقتضي أن كلاً منهما قتل الآخر.
(4) زيادة من (ب).
(5) في (ب) صاحب تونس.
(6) في (ب) للشيخ، وفي (ف) دوفان.
(7) في (ج) و (ف) زغلوم.
(8) (اليوم) ساقطة من (ب).
(9) في (ب) لندفنوا موتانا ويدفنوا موتاهم.
(10) زيادة من (ب).
(11) (فارساً) ساقطة من (ب) وكذلك فارس الثانية. وفي (ف) فرس فقط بدل مائتين.

[63] وغريم حبيبه، وسعد البلاوا، وعمران الساسي[1] / ومثلهم.

فلما كان من الغد بعث صاحب إفريقية: لا قتال اليوم لكي تستريح المجاريح[2]. قال الشابي: ما كفّ هذا اللعينُ إلا لكي يبعث من يأتيه[3].

فبعث (صاحب تونس)[4] إلى المزاريع أن يأتوه، فأخبروه بأن طرود قتلونا، ولا تركوا منا إلا (نحو)[5] أربعون رجلاً.

ثم بعث إلى (نفطة وتوزر وطرود، وهم نازلين على موضع يقال له)[6] عين العماري، وكان[7] رجلاً اسمه احطام، فوجده رجل من طرود فقتله وقبره معروف مشهور[8].

طرود والشابية

(قال الراوي)[9]: وبعث الشابي إلى طرود، فأتوه بخمسمائة فارس فوجدوه نازلاً على عبيده[10]، محل معروف بإفريقية.

فلما رأى الشابي طرود أتوه، قال: يا قوم، لا بد أن تزيد على العدو.

---

(1) في (ج) سعد البلاط وعمران الساس، وفي (ف) زعلان، وسعد البلاط، وإسقاط (غريم حبيه).

(2) في (أ) نستريح (بضم الحاء)، وفي (ج) لكي تستريح المجاريح.

(3) أي ألا لكي يطلب النجدة.

(4) زيادة من (ب).

(5) زيادة من (ب).

(6) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(7) (وكان) ساقطة من (ج)، وفي (أ) إلى نفطة وتوزر إلى طرود.

(8) في (أ) رجلاً من طرود. وبناء على (ف) فإن بعض طرود كانوا في عين الأحمري (كذا)، فقتل واحد منهم مبعوث صاحب تونس، واسمه (الهدام) ـ وليس احطام ـ وقبره مشهور، الخ.

(9) ما بين القوسين زيادة من (ب)، وكلمة (معروف) ساقطة من (ج).

(10) سبق أن (عبيدة) قرية تقع قرب الكاف. بتونس.

فقالوا له قومه: نحن في رأي الخميري، إن أمرنا بالقتال قتلنا[1]، وإن أمرنا بالكف نكفوا، قال الشابي: عليّ به! فأتاه[2] فقال له (الشابي)[3]: إني أريد أن أزيد على العدو، فما عندك من الرأي؟ قال (له الخميري)[4]: البادىء غلاب! قال: فأمر بحضر[5] الطبول، وزهق النفير، وزحفت الرجال بالرجال والخيل بالخيل.

فقامت الكسرة[6] على صاحب إفريقية، ولا لقوا وجه أحد، ولا زال القتال فيهم إلى أن وصلوا محل يقال له السلوقية، (وانفصلت القتلى)[7].

فمات من إفريقية مائة رجل وأربعة[8]، ومن الخيل ستون، ومن الشابي إثنا عشر فارساً، خمسة حنانش[9] وثلاثة من الزاب، (منهم المقداد، وسالم الباهر، وجبر بن عمر)[10]، ورجلين من قرقة، ورجل شابي، والكاتب بن عمار[11] البكري.

ورجعت خيل إفريقية إلى باجة، فأكلت زرعها. فوجدوه أخضر[12].

وكان طرود أشد الناس قتالاً. ثم كتب لهم الشابي أنتم مني وأنا منكم، دم ولحم وعظم، إلى أن تقوم الساعة.

---

(1) (قتلنا) ساقطة من (ب).
(2) في (أ) فأتوه.
(3) زيادة من (ب).
(4) زيادة من (ب).
(5) في (ب) إحضار.
(6) أي دارت الدائرة.
(7) زيادة من (ب). وعن السلوقية انظر سابقاً.
(8) في (ب) أربعون.
(9) في (ب) حنانشة، وفي (ف) ثلاثة (بدل خمسة) حنانشة.
(10) ما بين القوسين ساقطة من (ب)، وفي (ف) كثير بن عمر، ولعله تحريف جبر.
(11) في (ب) ابن عمران البكري، وفي (ف) ابن العم البكري.
(12) جملة فوجدوه أخضر، ساقطة من (ب) كناية على قصر مدة الغياب.

[64] ثم إن مراد، صاحب تونس[1] / بعث إلى صفاقس وسوسة والقوابس واطرابلس: أتوني بخيلكم ورجالكم على الفور، لأن طرود فسدوا بلادي وبقي في قلوبهم شيئاً علينا، فلا بد.

طرود وصاحب تونس

ثم بعثوا له: إياك وإياكم![2] اترك طرود، يلعبون، ولو كان فيهم (خير)[3]. أنت صاحب إفريقية، تحتاج إليك الناس طولاً وعرضاً، ومع ذلك تركوا اليمن والشام[4] وغيره (ونزلوا مصر ورحلوا منه، ثم نزلوا طرابلس ورحلوا منه وأتوا إلى القوابس ورحلوا منها)[5]. ونزلوا عليك، لا عليك فيهم، فإن أرضك لا يسكنوها، لأن فيها الحكم والحكم ضيق، وهم أهل غرض فلا يسكنون إلا بلاد الذئاب والغلان[6]. ولو كان فيهم عقلاً، ابعث لهم نحو ألف دينار إما أن يرحلوا[7] عنك وإلا يقاتلوا[8] معك.

فبعث الرسول، ورجع، وكان رسول طرابلس هو المتكلم، لأن إفريقية[9] خالية من التدبير.

---

(1) في (ب) ثم أن أمير تونس.

(2) في (ج) (إياكم) فقط بدون (إياك). وبناء على (ف) وعلى السياق الآتي فإن الكاتب هو صاحب طرابلس.

(3) كلمة (خير) زيادة من (ج).

(4) كلمة (الشام) ساقطة من (ج) ومن (ف).

(5) الجملة الواقعة ما بين القوسين (ونزلوا مصر... ورحلوا منها)، كلها ساقطة من (ج).

(6) في (ف) والغربان. أهل غرض = أهل فوضى ومنازعات.

(7) في (ب) رجعوا عنك.

(8) في (أ) وألا يقتلوا معك.

(9) إفرقية = تونس، وذلك نقد من العدواني لحكام تونس عندئذ.

قال (الراوي)[1]: فلما وصل الرسول أعطاه[2] الكتاب، فمسكه وقرأه صاحب تونس، وقال لقومه وأهل دولته: ما ظهر لكم في جواب صاحب[3] اطرابلس؟ قالوا[4]: منا السمع والطاعة ومنك الرأي والمشورة، قال: الرأي عندي أن أركب بنفسي إلى الشابي نقاتله[5] ونأخذه أسيراً، ونشوي لحمه في القدور ونأكله، قال السايس: هذا ليس برأي. ثم قال له: وما الرأي؟[6].

قال له[7]: الرأي عندي[8] أن أبعث إلى طرود، يأتينا منهم كبيرهم، ونتحدثوا معه ونعطوه شيئاً من الحطام، إما أن يرحلوا علينا وإلا يقاتلوا معنا. قال مراد[9]: هل فيكم متكلم؟ قالوا بأجمعهم: الرأي رأي الأمير.

ثم قال لهم أبو عكاز: الرأي عندي لا نعطوا إلى طرود ولا تركب أنت بنفسك. قالوا: وما هو الرأي؟ قال: نبعث إلى الشابي يأتينا فإذا حصل/ [65] عندنا فعلنا[10] فيه برأينا. قالوا له: لا يأتينا، بل هو باز على قفّاز[11]، وقد حفظ جميع الحيل من قبلنا.

ثم قال لهم الوكيل عمران[12] التستوري: هذا كله ليس برأي، الرأي الكامل أن نركبوا بأنفسنا ونجمع أهل إفريقية كلها ونمشوا بالليل ونكمنوا[13]

---

(1) زيادة من (ب).
(2) أعطاه كلمة ساقطة من (ب).
(3) صاحب ساقطة من (ب).
(4) في (أ) قال.
(5) نقاتله ساقطة من (ب).
(6) جملة السؤال ساقطة من (ب). والسايس لقب مدرّب الخيل ومربيها.
(7) في (ب) قال أيضاً الرأي عندي.
(8) كلمة (عندي) ساقطة من (ج).
(9) في (ب) قال صاحب تونس.
(10) فعلنا ساقطة من (ب).
(11) في (ب) جملة غير مقروءة.
(12) في (ب) عمار.
(13) في (ب) نمكثوا. ونشانا = شَنّا.

بالنهار، فإذا وصلنا باجة نشانا عليهم الغارة ونأخذهم على حين غفلة منهم. قالوا: هذا هو الرأي، فتم عملهم على ذلك.

غارة صاحب تونس ضد الشابي

ثم بعث إلى جميع إفريقية، فأتوه على الفور من غير تراخ، فوجد عدة القوم تسعة آلاف، منهم الخيل أربعة آلاف والباقي رجال[1].

ثم جد السير، يمشون بالليل ويكمنون بالنهار، إلى أن وصلوا باجة.

فلما جن الليل أخذت الخيل[2] والرجال سيوفهم، وأتوا من ورائهم، فلم يشعروا إلا مولى إفريقية قد لاحقهم من ورائهم، فقتلوا منهم أربعون رجلاً وستون فرساً.

ثم قام الشابي ومن معه، وفروا هاربين إلى الصباح. ثم رجعوا عليهم. ولا زالوا في القتال، ومن أول النهار إلى علوّ الشمس في قبة الفلك.

ثم بعث صاحب إفريقية[3] إلى السيد دوفان، والسيد زلغوم، والسيد عون بن علي، والسيد زغوان[4]، ليرد الشابي ويقسم الأرض بينهم[5].

قال: (فأتوا:[6] هؤلاء السادات[7] إلى الشابي، وحدثوه بما أوصاهم

---

(1) في (ب) منهم الخيل أربعة والرجال خمسة. ولكن (ف) ترجمت هكذا: تسعة آلاف فارس وأربعة آلاف رجل.

(2) في (ب) كلمة الخيل ساقطة.

(3) كلمة (إفريقية) ساقطة من (ج).

(4) والسيد زغوان ساقط من (ب) وكلمة دوفان سبق وأنه (دوبان) في (أ)، ودوفان في (ف) وكذلك زلغوم، وزغلوم وأضافت (ف) اسم جبر.

(5) في (ب) بينهما وفي (ج) بيني وبينه. والمعنى كما في (ف) أن صاحب تونس قال للأشخاص المذكورين: إذا كان الشابي يريد التفاهم، فإنه مستعد لتقسيم المنقطة معه ودياً.

(6) ما بين القوسين زيادة من (ج).

(7) في (ب) ثم ذهبوا على هؤلاء السادات إلى الشابي الخ. والأسماء التي قبل هذه =

بـه صـاحـب تـونـس.

قال الشابـي: لا بد أن نكون أنا القاسـم والمختار.

قالوا: افعل ما بدا لك[1]، واقسـم الأرض.

فقال الشـابـي: أنت يا زلغوم، وأنت يا دوفان، اقِفْ بيني وبينه لأنه صـاحب غدر.

قال (الراوي)[2]: فتم عملهم على ذلك، ورجع الشـابـي وقومه إلى واد الرمل.

الخلاف بين طرود والشابـي

فقالوا طرود: أنت رجعت ونحن لم نأخذوا تعب خيلنا/ لا منك ولا [66] من صاحب إفريقـية.

قال الشابـي: ما عندي شيئاً، قالوا طرود: نحن لا منك ولا منه وإنما نحن أصحاب دراهم ودنانير، إما تعطينا وإلا نرجعوا عليك إلى صاحب إفريقية، نحن الذي قهرناه عليك[3].

قال لهم: انصرفوا إليه إن شئتم.

قالوا: والله لا خفنا منك ولا منه، نحن عباد الله راكبين على الخيل وإمامنا الإبل طوال الأعناق والسيقان، ولا نملكوا باقي المشي[4]، مثل البقر والغنم حيث ما كنا، لأنها مال ذلّ.

= الجملة تقرأ: دبـان، زلقوم.

(1) في (ب) ما شئت.

(2) زيادة من (ب).

(3) في (ج) نحن الذي قهرنا صاحب إفريقية، قال لهم انصرفوا...

(4) المشي = الماشية.

غارة طرود وهدية صاحب تونس

قال (الراوي)[1]: فبعثوا طرود إلى صاحب تونس، اعطينا من المال، ونتركوا بلادك في العافية، أول مرة[2].

قال: لا نعطيكم شيئاً أبداً.

ثم أتى إليهم الرسول، قالوا: ما وراءك من الخبر؟ قال: ورائي صاحب تونس لا يعطيكم شيئاً[3]، وأنتم اعملوا رأيكم. قالوا: هو هو.

ثم جردوا له مائة فارس، وعولوا على القتال والغارة. فلما وصلوا إلى عين بابار[4]، وكمنوا فيها، وإذا بقافلة مارة فيها مائة وخمسون بعير، نَشّوا عنها[5] الغارة، وخذوها وما عليها، ورجعوا إلى باجة.

فلما سمع بهم صاحب تونس، طار عقله، وقال: يعملُ هذا[6] وأكثر.

ثم حدثوه أكابر قومه، وقالوا له: هؤلاء أقلال خير[7]، ابذل لهم شيئاً من الدراهم[8]. راحَتُك يوْم خيرٌ من مائة ألف.

قال[9]: نعم، ثم بعث لهم خمسمائة دينار وعشرة ثياب وخمسة وعشرون فرساً[10].

---

(1) زيادة من (ب).

(2) عبارة (أول مرة) ساقطة من (ب). ومعناها حالاً أو فوراً.

(3) في هذه الجملة تكرار وتقديم وتأخير في (ب).

(4) لم تذكر (ف) هذا المكان، ترجمته فقط بـ (آبار) Puits، وعين بابار تقع بين الخنقة وخنشلة.

(5) في (أ) عنهما. نشوا = شنّوا.

(6) (هذا) ساقطة من (ب). يعملُ = يعملون.

(7) تعبير (إقلال الخير) ساقط من (ب).

(8) في (ب) من المال. وفي (ج) راحتك اليوم خير الخ.

(9) في (أ) قالوا. وفي (ج) نعم بعث.

(10) في (ب) عشرون فرصاً. وفي (ف) ثياب فاخرة.

فلما وصل لهم ما أرسله إليهم، أخذوه وقسموه على أنفسهم، ثم رحلوا. ونزلوا على بَرماجَنَّة ثم على فوسان[1]، ثم على قفصة، فوجدوا بقية المزاريع هنالك. (فلما أن سمعوا بهم)[2]، أخذهم الوباء وفيهم من هو مريض، فلما رأوهم النساء تعلقوا بهم فحنوا (عليهم)[3]، وذهب ما بينهم/ [67] من الغيظ والحقد، فأقاموا عندهم ثلاثة أيام، ثم رحلوا ونزلوا الحامة، ثم رحلوا ونزلوا على توزر، وجدوا[4] زهانة وأولاد الهادف في قتال فحاموا عليهم[5].

علي بن حمد الغوث النفزاوي

ثم أتوا إلى الولي[6] الشيخ علي بن حمد الغوث النفزاوي فاستشاروه على القتال، قال: لا بد اقبلوا قولي، لا تقاتلوا أولاد الهادف فالله أعلم إنكم تحتاجون إلى هذه البلاد[7] ، وتكون البلاد إليهم ، والله أعلم. هكذا حدثنا[8] صاحب الوقت. قالوا: أهلاً وسهلاً ما اخْبَرْتنا به، فأضافهم وأعطاهم زهانة ألف دينار . وقالوا : مشورة الشيخ خير من الدنيا.

---

(1) في (ج) فوسانة، وهذه الكلمة ساقطة من (ف). وقد مرَّ التعريف بها.

(2) زيادة من (ب). ومكان الجملة فيما يبدو يأتي بعد كلمة (مريض).

(3) زيادة من (ب). ولم تذكر (ف) الوباء والمرض وإنما ذكرت المجاريح بين الرجال المزاريع.

(4) في (ج) وجد زهانة.

(5) عبارة فحاموا عليهم غامضة، وقد ذكرت (ف) أن زهانة وأولاد الهادف مستعدون لقتال طرود. والظاهر من السياق أن طرود أنجدوا (أي حاموا) زهانة ضد أولاد الهادف.

(6) (الولي) ساقطة من (ب).

(7) (البلاد) ساقطة من (ب).

(8) في (ب) حدثني.

ثم رحلوا ونزلوا نفطة. لاقوا[1] أهاليهم هنالك، فسلموا عليهم وفرحوا بسلامتهم، وقالوا: ما هذه الرجال الذي معكم؟ قالوا: هذه بقية أولاد مزروع، ثم رحلوا معهم ونزلوا سوف كما مرّ الخبر. اعقل القصة ولا تغفل عن الكلام، فيكون عليك عار. هكذا حدثونا الشيوخ ـ رضي الله عنهم ـ.

طرود وقضية امقتب

ثم قلت له: اخبرني عن طرود، كيف رجعوا إلى إفريقية؟ قال لي: بعد وقعة امقتب[2]؟ قلت له: أخبرني عن قضيتها[3]؟ قال لي: لما رجعوا طرود من وقعة الشابي، قال معمر بن سارية، وعمار السراب، وقاسم بن أبي بكر، ومثلهم، أن بوادي إفريقية لم نجد فيهم خيراً ولحقونا بالعيب، من ينطلق معنا؟ فاجتمعوا معهم[4] خمسون فارساً، عشرة من أولاد زايد، منهم أبو ضياف بن عمار، والعنبري وأبو سالم، والفريك[5]، ونحوهم، ومن أولاد منصور: عمار بن سالم، وأحمد بن منصور، ومن أولاد قايد تسعة: [68] عرفجة[6]، وقاسم بن محمد، وعيسى بن محمد، والبكري، وسليمان/ بن عون، وعرعار بن خالد، ومثلهم، وباقي العدد[7] من أولاد حامد.

ورحلوا، وجدّوا في[8] السير، حتى وصلوا قريباً من نفطة، خرج

(1) في (ب) وجدوا.
(2) (سيف، مقتب)، وهو بئر وعرصة، ويسمى أيضاً عرصة الوصيف، يقع حوالي 40ك م شرق طريق سوف ـ بسكرة.
(3) في (أ) و (ج) قضيتهما.
(4) (معهم) ساقطة من (ب).
(5) في (ف) إضافة اسم بو ذراع، وإسقاط اسم أبو سالم والفريك.
(6) في (ف) عريجة.
(7) في (ج) وباقيهم العدد من حامد الخ. أما في (أ) فهي وباقيهم العد الخ. وفي (ب) والباقي من أولاد حامد الخ. (أي باقي الخمسين فارساً).
(8) عبارة (وجدّوا في) من (ب). في (ف) جعفر بن حسن.

عليهم المنصوري، وجعفر بن حسين، في مائة من الخيل، أخذوهم على أطراف السنان[1]. فتلقوهم طرود، فمات من خيل تونس جعفر، والوثا[2] بن سومة، وخمسة آخرين. ومات من طرود: امقتب، وحزام، ويلوم بن عمر، ورجعوا إلى سوف، ومن تلك الواقعة لم يدخلوا إفريقية.

قلت له: أين الواقعة؟ قال لي: في أوائل ربيع الثاني، في موضع يقال له شارع العماري[3].

قلت له: أخبرني على انقضاء مملكة تونس وتوزر، آخر أمرائهم؟ قال لي[4]: توزر آخر أميرها عبد الله، ولم نعرف اسم أبيه، وأما تونس فما لنا بها دعوة.

أصل اليهود

قلت له: أخبرني عن اليهود، أين بلادهم؟ وأين مسكنهم؟ ومن أولاد من؟ قال لي: كنت في الحجة الخامسة والعشرون لي، مضيتُ[5] في زيارة الشيخ البكري، تلاقيت مع شيخ عراقي اسمه الصالح بن موسى النجار[6]، يقرى[7] بمسجد الكوفة، يقول في كلامه إياكم واليهود! فإنهم أعداؤنا وأعداء نبينا محمد ـ ﷺ ـ، ولا تأمنهم، ولا تدخلهم منازلكم، ولا تعطوهم أخباركم، فإنهم أهل غش لنا.

---

(1) حسب (ف) فإن السنان اسم لمكان بهذا الاسم.
(2) في (ف) الواثق.
(3) لم تذكر (ف) الشهر (ربيع الثاني).
(4) في (أ) قال له، وكذلك ما بعدها.
(5) في (ب) الخامسة والعشرون في زيارة الخ. وفي (ج) لي مضت، وجملة في زيارة للشيخ البكري ساقطة من (ف).
(6) في (ب) النجاري، وفي (أ) الشيخ عراقي.
(7) في (ب) بقرب مسجد الخ.

قال له[1] بعض الطلبة: وما صنيعهم[2]؟ قال: كان شيخنا[3] وكيلُه يهودياً، يصنع له خبزاً ويهودية[4] كذلك، فجلس يوماً ينظر في أحوالهما، فإذا باليهودي يعجن الخبز برجليه، ورأيت عليهم أثر الوسخ، ونظر لليهودية فإذا هي تخبز وتضع ريقها في العجين وتتفل فيه[5]، فهذا حال العدو لعدوه فلا تأمنوهم، قبح الله فعلهم.

وإنهم من الأسباط أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل[6] الرحمن/ [69]. فلما خرج عليهم بخت نصر، وخرب بيت المقدس، فتفرقوا في جميع الأوطان، حتى وصلوا المغرب. ولم تجتمع منهم جماعة[7] إلا أولاد يهوده ونصف أولاد رويل وثلث أولاد شمعون، اجتمعوا في واد يقال له واد السبت.

فلما أراد الخروج للأوطان لقاهم عالماً[8] من علمائهم، قال لهم: إني وجدت صيفة[9] رجل قيل أنه هو نبـي آخر الزمان، اسمه محمد وأحمد وبلقاسم، أول ما يبادر في خروجه[10] قتالنا وذهاب مالنا ويذللنا، عليكم بسبّه[11]. فصاروا كل يوم يسب نبينا محمداً ـ ﷺ ـ لقوله عليه الصلاة والسلام) اكثروا بالصلاة عليَّ يوم الجمعة وليلَتَها فإن اليهود يسبّوني (فيه أو

---

(1) في (ب) قال بعض الطلبة.
(2) في (ب) صنيعتهم.
(3) في (أ) شيخاً، ويفهم من (ف) أن اليهوديين كانا خادمين للشيخ النجار.
(4) في (ج) ويهودياً.
(5) عبارة (وتتفل فيه) ساقطة من (ج). وفيها قبل ذلك عبارة أحوالهم بدل أحوالهما.
(6) في (ب) إبراهيم بن خليل.
(7) في (ب) طائفة.
(8) أي لقيهم عالم من علمائهم.
(9) (صيفة) ساقطة من (ب). وكلمة (هو) ساقطة من (ج). صيفة = صفة، وصف.
(10) (خروجه) ساقطة من (ب). أي بعد خروجه.
(11) (بسبه) ساقطة من (ب). يسب = يسبون.

كما قال)[1].

فلما صاروا كذلك، أرسل الله عليهم واد السبت، بعد ما كان ماء صار حجارة، يجري حجارة[2] من يوم الأحد إلى يوم الجمعة، فلما كان في يوم السبت يهبط ويسكن، فإنهم لا يسافرون فيه[3]، ولا يخرجون، فهم فيه[4] الآن جياع الأكباد عطاش لا عقل لهم، وأنهم يرزقون بالعلق[5]، كل عام تأتيهم، فيأكلون ويخزنون إلى القابل[6]. فمنهم الغني والفقير.

قلت له: وكيف؟ قال لي: يأخذ قدر بعضهم بعضاً، (إلى)[7] وقت الانفاق: أحد يزيد في رزقه وآخر يرسل الله[8] عليه ما ينقّصه.

أهل وادي سبأ

قلت له: وأين واد سبأ؟ قال له: كنت في حجة الثامنة عشر سمعت بالشيخ زار إخوانه في الله، فلحقته واجتمعت معه في طرابلس الشام، فسلمت عليه فرد عليّ السلام، فقال لي: كم لك من سوف؟ قلت له: أول أمس

---

(1) العبارة زيادة من (ب)، وقد أسقطت (ف) العبارات الدينية والدعائية.

(2) كلمة حجارة الثانية ساقطة من (ب).

(3) في (ب) ولا يخرجون فيه فإنهم الآن الخ.

(4) (فيه) ساقطة من (ج).

(5) في (ب) بالعقل وهي بالعلف.

(6) في (ج) إلى العام القابل.

(7) في (أ) فلما وقت الانفاق. وفي (ج) بياض في مكان (فلما). وعند عبارة (ما ينقصه) هو نهاية الحديث عن أصل اليهود، ولكن (ف) مزجت بين هذه القصة وقصة وادي سبا وسد مأرب. فترجم (فيرو) النص معاً على أن وادي سبا هو وادي السبت. وذكر أن صديقه (كاهن) رأس يهود قسطينة عندئذ أخبره برسالة خطية أن العدواني قد خلط بين عدة أساطير حول وادي السبت واليهود، وجاء (كاهن) بمعلومات تاريخية تعطي وجهة نظر اليهود في أصلهم، وعلاقتهم بكل من بختنصر وتيتاش، وعدد قبائل إسرائيل القديمة ويهودا، الخ. فترجمة فيرو إذن غير صادقة مع نص العدواني.

(8) اسم الجلالة غير موجود في (ج).

فارقت سوف. قال له الشيخ: كيف تركت عزاز؟ قلت له: بخير إلا أنه تزوج [70] امرأة قال: وترك[1] شيخه؟ قلت[2]: الله ورسوله/ أعلم. قال لي: المال والأولاد خير له[3] من اتّباع الشيوخ، لأنه لم[4] يحمد النعمة، كما[5] وقع بأهل واد سبأ حيث قالوا: ربنا بَاعِدْ بين أسفارنا، وذلك أنهم كانوا يسافرون ولا يحملون زاد ولا ماء، من قرية إلى قرية، هكذا. وكان الله كل عام رزقهم بواد من ماء، وله اثنا عشر باباً، كل شهر يفتحوا[6] باباً يشربون منه هم وأنعامهم وزرعهم، فإذا انقضى الشهر ينفذ تلك الماء، ثم يفتحون[7] باباً آخر يكفيهم شهراً. وهكذا، إلى تمام اثني عشر شهراً.

فلما كانوا كذلك فلم يحمدوا نعمة الله، فقالوا: ربنا باعِدْ بين أسفارنا لكي نحملوا الزاد ونتعبوا في أسفارنا[8]، فأرسل الله عليهم فارة أخرقت الواد[9]، وانكسرتْ تلك الأبواب، فأخذوا هرة. فصارت الهرة تهرب من الفأر، وصار الفأر يأكل الهرة، ثم ذهبوا إلى الأوطان، وانقرض[10]اسمهم واسم بلادهم، ولا وقع إلا خبرهم، هكذا قصّ الله عليهم في كتابه العزيز حيث قال[11]: ﴿فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق﴾. فافهم تنال

---

(1) في (ب) قال وتركت شيخه.
(2) في (ب) قال الله ورسوله أعلم.
(3) (له) ساقطة من (ب).
(4) (لم) ساقطة من (ب).
(5) في (أ) كم وقع.
(6) في (ج) يفتح.
(7) في (أ) يفتح وكذلك في (ج).
(8) في (ب) سفرنا.
(9) (الواد) ساقطة من (ب).
(10) كتبها الناسخ في (أ) (وانغرض) حسب بعض اللهجات المحلية في تداخل حرفي القاف والغين.
(11) (حيث قال) ساقطة من (ب) و (حيث) ساقطة من (ج).

المقصود[1].

من دخل إفريقية من الصحابة

قال، قلت له: أخبرني من دخل إفريقية من الصحابة ـ رضي[2] الله عنهم ـ؟ وإن بعض العلماء كتب له، ولم يقبل عقلي مقالتهم. قال له[3]: دخلها من الصحابة ثلاثون رجلاً: المقداد بن الأسود، وكفه (كعب؟) بن عمر، وعبد الله بن رواحة، وسالم بن عون[4]، وعبد الله بن عمر، وأبو زمعة، وعقبة بن نافع، وحرز[5]، ووهب المخزومي، وأبو سعيد ابن المسيب. وأبو عبد الرحمٰن بن خويلد، وفضالة بن عبيد، وعبد الله ابن عباس، وأبو بكر بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص[6]، وعقبة بن عامر الجهاني (الجهني)، ورافع بن ثابت، وحمزة بن عمر، وعبد الرحمٰن بن أبي/ بكر الصديق، وأبو[7] عبد الرحمٰن بن الحارث، وجبلة[8] بن عمر أخي [71] لعثمان ابن عفان ـ رضي الله عنهم ـ من الرضاعة، ومعاوية بن حديج[9]، والمطلب بن وداعا[10]، وربيعة بن عماد الدؤلي، وزايد ابن الحارث، وسفيان بن وهب، وأبيض بن عمار، وعمار[11] بن ياسر، وبشر بن

---

(1) في (أ) المعقود.
(2) في (ب) رضوان الله عليهم.
(3) في (ب) قال وإن بعض العلماء في كتب له ـ ولم يقبل عقلي مقالته ـ قال دخلها إلخ.
(4) في (ب) سالم بن عوف.
(5) (وحرز) ساقط من (ب) وهو في (ف) حريز.
(6) في (ف) جعل عبد الله بن عمر وحده، وابن العاص وحده. وسمي الأخير ابن الهامي أو الحامي Hami. ويبدو أنه لم يفهم الواو في (عمرو) فقرأها على أنها واو العطف.
(7) في (ب) وعبد الرحمن بن الحارث.
(8) في (ف) جاء بالله.
(9) في (ب) و (ف) جريح، وفي (أ) حريح.
(10) في (ف) المطلب بن الوليد.
(11) في (ب) وأبيض بن عمار بن ياسر.

أرطأة[1]، وعبد الله بن الأسود، وعمر بن الساسي بن عمر بن الخطاب، وعقبة بن عامر القريشي، وعبد الله بن عمر بن الخطاب[2]، وعبد الرحمٰن بن زيد، وعبد الرحمٰن بن عباس، وعبد الرحمٰن بن صبيحة، ومروان، وذويب، وأبو منصور، وأبو سعيد ـ رضي الله عنهم[3] ـ.

هؤلاء الصحابة دخلوا إفريقية وباقي الجنود تابعة.

وكانت الصحابة على عدد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، مائة ألف نبي[4] وأربعة وعشرون ألفا نبي.

حالة تونس ووصف حاكمها التركي

قال، قلت له: أخبرني، أنت رجل عاقل، فإن أرضي ضاقت علي بما رحبت وأردت الانتقال منها[5] إلى بلاد أخرى. قال لي: عليك بثلاثة قرى فإن لم يكن ثلاثة فيهن[6].

---

(1) في (ف) ابن أرطات، وبعده عبد (بإسقاط اسم الجلالة) بن الأسود.

(2) عقبة بن عامر القريشي وعبد الله بن عمر بن الخطاب: ساقطان من (ب). عند العد سنجد أربعين اسماً، وليس ثلاثين كما جاء في النص، والملاحظ أنه بعد أسماء الصحابة انتقل الحديث إلى واد ريغ عند (ف) أي بعد صفحة 72 من (أ).

(3) سقط اسم عبد الرحمن بن صبيحة وذويب من (ف).

(4) (نبي) زيادة من (ب) في كلا الموضعين. وقد أسقطت (ف) حوالي أربع صفحات، أي من نهاية الحديث عن وقعة أمقتب، وبالضبط عند عبارة (يقال له شارع العماري. . . إلى عدد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفاً) أي الحديث عن اليهود والصحابة وأهل وادي سبإ، الخ. ومسألة عدد الأنبياء وعدد الصحابة ليست من الدين ولا من التاريخ في شيء.

(5) (منها) زيادة من (ب).

(6) الجملة كذا في (أ) و (ب) و (ج). وفي (ف) أن المعنى هو: اطلب منك عدم الإقامة في أي من هذه المدن الثلاث.

قلت له: ما هن[1] ـ يرحمك الله ـ؟ قال لي: توزر واسفاقص وتونس.

قلت له: وهذه ثلاث اختار واحدة منهن. قال لي: ما رأيت خيار. قال لي: فتونس خيار البقع، ورعاياتها تركي[2]، أمير ابن أمير ابن أمير.

قلت له: ما اسمه؟ قال لي: ربما يفشي (خبري فيلزم علي ما يلزم، ولكن أرمزُ عليك حروف اسمه)[3]: أوله حاء وآخره هاء.

قلت له: وكيف صنيعه؟ قال لي: يحب العدو.

قلت له: وما العدو[4]؟ قال لي[5]: النصارى ـ دمرهم الله ـ ويوليهم على رقاب المؤمنين.

قلت له: والذي يدركه لا ينهاه؟ قال لي[6]: هيهات، سيظهر عجباً منه!.

قلت له: ما حاله مع رعيته زمان دولته؟ قال: رجل مشورة/ [7] الرومِ [72] والعَلاَجِ (قلت له: أيعدم الإسلام؟ قال لي: حاش الله ورسوله، فالإسلامَ باقي، وقد أربو عليه العلوج)[8]. قلت له: ويقتلوه أهل دولته[9]؟ فسكت علي، وقال بعدُ: ما لنا في هذا من حاجة، لأنك بوسلة الجريدة[10].

---

(1) في (ج) ما هي؟

(2) رعاياتها = حكامها.

(3) ما بين القوسين ساقط من (ب)، وفي (أ) ايرمز. وقد سألت الشيخ التليلي عن هذا الرمز فاقترح اسم (حمودة). وكان حمودة باشا قد تولى تونس وجاءه اللقب سنة 1065 (1656).

(4) في (أ) وأما العدو.

(5) في (أ) قال له.

(6) في (أ) قال له.

(7) أي يتخذ مستشاريه من النصارى والأعلاج.

(8) ما بين القوسين ساقط من (ب)، وكلمة (الإسلام) واردة في (ج) هكذا (الإسلاموا).

(9) أي لماذا لا يقتله أهل دولته ما دام يتعامل مع النصارى؟

(10) كذا في جميع النسخ. وفي (ف) بدل هذه الجملة كتبت «أن المسيحين سيتدخلون =

قلت له: وكيف؟ قال: يفسد كتابك، ويبلغ دعوتك إليه، ويشوم حالك!.

قلت له: هل لك من علامة على وفاته[1]؟ قال لي: طرفاً منها[2]. إذا بارز المغرب وأخذ ماله وقتل إحدى خواصه، فهو الدليل. قلت له: ومن القاتل له؟ قال لي: تركي مثله، قلت له: أيكون الدولة لهم؟ قال لي: نعم سيُوَلّوا[3] على كل الملوك.

قلت له: أخبرني على علامة إفريقية؟ قال لي[4]: إذا سمعتَ بهذا، صاحب[5] الرمز، فاخرج منها[6].

قلت له: هل له من علامة أخرى؟ قال لي: بين هذا أمير وقايد.

(قلت له: زدني. قال لي: يدخلوا عليه علوج، فيذبحوه.

قلت له: زدني. قال لي: هو آخر أمراء تونس، لا خير فمن بعده)[7].

قلت له: زدني. قال لي: فيه كفاية.

قلت له: وسَكَنُ سفاقص[8]، أي هو؟ قال لي: لرخس فروج أهلها وحلاوة كلام أهلها، فلا تليق بك.

= في شؤونه ويتسببون في انهياره». والمقصود الجريدة هنا القائمة السوداء.

(1) في (ب) من علامة وفاته، قال: طرفاً منه، وقد أسقطت (ف) ترجمة علامات سقوط أمير تونس، والحديث عن سفاقص، أي من (لأنك بوسلة الجريدة... إلى فلا تليق بك).

(2) في (أ) منه.

(3) سيولوا = سيتولون.

(4) في (أ) قال له.

(5) كلمة (صاحب) ساقطة من (ب).

(6) (منها) ساقطة من (ب).

(7) ما بين القوسين ساقط من (ب). فَمَنْ = في مَنْ.

(8) في (ب) قلت له: واسفاقس أي هو؟

قلت له: وأي توزر؟ قال لي: قبل هذا اليوم، والآن لا خير فيها.

ظهور الهادف الفطناسي الزابي في توزر

قلت له: ولماذا؟ قال لي: فإنه دخلها الهادف بن بلقاسم، فحيث ما دخلها لا خير فيها.

قلت له: لماذا؟ قال لي: يتولى[1] على رقاب ساكنها، وتكون الدولة، وتساعده الأيام والليالي.

قلت له: ولماذا؟ قال: بمَكْره وزوره وقلّة خيره.

قلت له: بقوة مال أو عساكر؟ قال لي: لا بمال ولا بعساكر وإنما دعوة شيخ يجده[2] في البلاد قبله.

قلت له: من أي الناس؟ قال لي:/ من فطناسة الزاب[3]. [73]

قلت له: وأي هي[4]؟ قال لي: قرية كانت بأم العز والتقة[5].

قلت له: (أين هي اليوم؟ قال لي: قد خربها حوله.

قلت له: بأي ذنب خربت؟)[6] قال لي: بذنب هذا[7] الذي أخبرتك عليه.

---

(1) في (ب) قلت له: لماذا يتولى على رقاب أهلها الخ.

(2) في (ج) وإنما بدعوة شيخ.

(3) سيتحدث أيضاً عن فطناسة الجريد. وهما اثنتان: فطناسة قبلي وهي الآن قرية فلاحية أو واحة، وفطناسة ولاية سيدي بو زيد.

(4) أي هي = ما هي؟

(5) والتقة ساقطة من (ب)، وفي (ف) الخنقة، أي أن فطناسة تقع بين أم العز والخنقة. ولعل التقة = الشقة، وهي المحطة المعروفة اليوم في طريق الوادي/ بسكرة، شمال السطيل. وقد أشار من قبل أن أم العز كانت أحد قصور عدوان.

(6) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(7) في (أ) و (ب) بذنب هو. أي الهادف بن بلقاسم.

قلت له: حدثني عن سيرته، قال لي: فإنه كان رجلاً يتيماً، قد مات أبوه وتركه صغيراً خماسي[1]، فلما كبر قال لأمه: هل ترك والدي شيئاً؟ قالت له: يا بني آخر ماله كَفَنُه. ثم قال لها: صناعته؟ قالت: كان مؤدباً للصبيان. فسكت.

فلما بلغ الحلم أخذ مال الناس، وصار تاجراً يبيع ويشتري سنين كثيرة، فكثر ماله. فلما كان كذلك دخل فطناسة، فقال: لا بد أن تولوني[2] على رقابكم! قالوا: معاذ الله أن نعرفوك صبياً[3]، فهذا منك أمر غريب، فلم يجد عندهم صواباً. فطار عليه في خاطره أن تتولى على هذا البلاد (رغماً عليهم، فحدث أهل البلاد، فلم يوافقوه[4] على ما طلبهم، فقال في نفسه: لا بد.

ثم اشترى أربعون عبداً دخل بهم البلاد)[5]. وصاروا يضربون الناس ويفسدون على الناس[6] بيعَهم وشرائهم، فشكت البلاد إلى أولاد صولة، فأتوا إليه ونهوه، فلم ينتهي، وضربوا عبيدَه، وقام فيهم أميراً قهراً عليهم تعدياً بغير رضا الناس، وهكذا جرا[7].

فطناسة وصولة

فسمع الصولي، وقال: بلاد انفكّت[8] من يدي، فلا بد أن أمشي إلى

(1) أي في حدود الخمس سنوات.
(2) في (ب)... فكثر ماله ثم ذهب إلى فطناسة فقال إن تولوني الخ.
(3) (صبيا) ساقطة من (ب).
(4) في (أ) يوافقه.
(5) ما بين القوسين كله ساقط من (ب).
(6) على الناس الثانية ساقطة من (ب) وكذلك كلمة شرايهم.
(7) في الأصل (جزا)، ويمكن قراءتها (جرى) وجراً = هلم جرا.
(8) في (ب) وقال البلاد انكفت الخ. بلاد = بلادي، الصولي = رئيس قبيلة صولة.

هذا اللعين وأخرجه من البلاد. فركب أربعون فرساً[1] من خيل قومه وقصد فطناسة الكبرى حتى قَرُبَ البلاد، فوجد بعض عبيده، فقال لهم: عبيد من يا هذا؟ قالوا: نحن عبيد الأمير الهادف[2] بن بلقاسم بن علي بن محمد بن مصطفى بن نصر بن كعب[3]، قال لهم: ما تريدون هاهنا؟ قالوا: نرجو في من يدخل هذه البلاد/ قاصدْ ضُرنا وإذاية سيدنا. فقال لهم: هل لكم[4] من [74] أهل البلاد معكم؟ قالوا: تلك البلاد نكفوا شرها وحدنا.

قال الراوي: قبض سبعةً من العبيد، فقطع أنفهم، وأتوا على سيدهم مخضبين بالدماء.

قال (الراوي)[5]: فلما وصلوا إليه، قام عرياناً (وقال)[6]: من فعل بالعبيد هكذا وهرب[7]؟ فاليوم يراه ما يراه! فقالوا له: الصولي. فسأل عنه، فقالوا: فعل هكذا وهرب.

فركب[8] هو وبعض عبيده مع من وافقه من أهل البلاد، وجدّ السير نحو الصولي، وأهل البلاد لا متكلم اليوم[9] منهم أحد، خوفاً من سطوته. ولحق في أثرهم. فوجدهم يسقون خيولهم على واد يقال له ابراز[10]. فقال

---

(1) في (أ) و (ج) فارساً، وبعدها في (ج) من خيار قومه.
(2) الهادف ساقط من (ب)، وفي (ج) نحن عبيد الهادف الأمير، وهو الهادف بن بلقاسم الخ.
(3) في (ب) بن بلقاسم بن حمد بن نصر بن كعب. وفي (ف) بن بلقاسم بن علي بن محمد بن نصر بن كعب.
(4) عبارة هل لكم ساقطة من(ب) نرجو = ننتظر.
(5) الراوي زيادة من (ب).
(6) زيادة من (ف).
(7) كلمة (وهرب) زيادة من (ب).
(8) (فركب) ساقطة من (ج).
(9) كلمة اليوم ساقطة من (ب).
(10) في (ب) إبرار، وعبارة (يقال له) ساقطة من (ج)، وهو في (ف) واد براز، ويقع هذا الواد بين عين الناقة وسيدي عقبة (ولاية بسكرة).

لهم: يا عبيد قهرتم عبيدي، وقلتم ما بقي أحد من الرجال غيرنا!.

قالوا: إياك والبراز! فصاح عليهم، وطلق عنان جواده، فقتل عمران الأكبر، فمات من الصولي سبعة، ومن عبيده ثلاثة، واثنان من أهل البلاد الذين معه، ولا زال القتال بينهم إلى الغروب، وهم ينادون: من أين لك هذه الفروسية يابن العبراني؟.

ورجع بالأسلاب والخيل الذين قتل أهلهم إلى فطناسة، فلما رآه أهل البلاد رجع فارحاً وبيده الأسلاب والقلايع، أخذ في جمل[1] أسلحتهم. فلما رآهم كذلك، قال لهم: على رؤوسكم، أنا عبد الله، لا نقبل منكم[2] شيئاً إلا أن تبايعوني على ولاية رقابكم، قالوا: سمعاً وطاعة! فبايعوه، وبقي أميراً عليهم، فصار يقتل، ويأخذ مال الظالم ومَنْ أراد مخالفته، (وبقي مستولياً عليهم)[3] نحو خمسة عشر سنة.

الهادف والأتراك في بسكرة

فلما وقع ما وقع ببلد[4] بسكرة، وخرجوا أهلها ودخلوا الترك بها[5]. [75] فأتوا إليه بمائة وثمانون تركي وخمسمائة فارساً، فغاروا[6] عليه، وقتل/ بعض ممن معه.

فلما سمع بذلك أمر أهل البلاد أن يخرجوا للقتال معه ، وإلاّ نقتلكم قبل التركي، فبعث التركي إليهم: اخرجوا قاتلوا معنا وإلاّ

(1) في (ب) و (ج) جمع والمعنى واحد.
(2) في (أ) و (ج) منهم.
(3) ما بين القوسين زيادة من (ب).
(4) ببلد زيادة من (ج).
(5) في (ف) أن أول حملة تركية دخلت بسكرة كانت في عهد الباشا حسن آغا سنة 941هـ (1534م).
(6) فغاروا = أغاروا.

نولوا[1] عليكم. فحاروا في أمرهم. فقال بعضهم: إياكم، اتّبعوا التركي لأن هذا الرجل[2] وحده وسيخرجوه لا بد، ثم خرجوا أهل البلاد مع التركي.

وصار الهادف يقاتل وحده وعبيده، وذلك من طلوع الشمس إلى صلاة العصر[3]. فمات له عشرون عبداً، وانجرح في فخذه وماتت فرسه وصار يقاتل وحده. فلما رأى ما حل به هجم على رجل صولي قتله وأخذ فرسه وركبها، وصار يحمل عليهم ولا يولّي، وهم يقولون: ما أشجع هذا العبراني!.

فلما رأى ما صار به بعث إلى أمه: خَرّجِي ما عندك على البغال واتركي الأثقال لكي يُشْغَلون عن لحاقي. فخرجت أمه. فلما وصلت باب القرية ضربها صولي، فماتت. وأخذ جميع ما عندها[4].

بنو بربار والهادف والحنانشة

وخرج إلا جواده وعبده هارباً إلى وادي يجري إلى البربر[5]، فجاءه وأخذ بحظه غاية. من[6] أربعة سنين.

فلما كان يوماً جالساً، وبني بربار انصرفوا في نفض زيتونهم، ولم يكن بالبلاد[7] أحد إلا هو، وإذا بمعاد[8] من الخيل قد دخلوا عليه فسأله: أين

---

(1) نولوا = نستولي.

(2) أي الهادف.

(3) بعد عبارة (صلاة العصر) توجد جملة مضطربة ومكررة في (ب) استغنينا عنها.

(4) في (أ) عنده.

(5) في (ج) إلى واد البربر، وفي (ف) خرج إلى واد بيجر Biger عند بني بربار.

(6) في (ب) منذ. المعنى: نزل الهادف وادي بني بربار واستراح فيه مدة أربع سنوات، هارباً من الأتراك.

(7) في (ب) لم يكن بالباب.

(8) الميعاد مجموعة أو كوكبة.

أهل[1] البلاد؟ فقال لهم[2]: من أين أنتم يا قوم؟ قالوا: نحن بنو حناش، وأنت[3] ممن يا هذا؟ ما أحلى كلامك! ولقد عجبتنا. قال لهم: أنا فطناسي. قالوا له: أنت الهادف المنافق[4] على قومه وعشيرته؟ قال لهم: نعم. قالوا: على خير. كُونْ في هذه، فإنها منيعة[5] من الأعداء، ونحن نعاملك بالقمح والشعير مدة ما أنت هنا. قال لهم: انحب نمشي معكم أين ما توجهتم[6]. فقالوا، حينئذٍ يا مليح اللسان يا نقي البشرة[7].

[76] قال الراوي: فانزلهم للضيافة وأحسن/ إليهم، فلما أتوا أهل الواد[8]. قالوا: من أضافكم[9]؟ قالوا: رجل غريب، الذي نازل عندكم. فقالوا: على الخير، الحمد لله.

فبقوا على ذلك حتى أخذوا جميع ما طلبوه على البرابر، وأرادوا[10] الانصراف.

فقالوا بني حناش: هذا يركب معنا! فقالوا بني بربار: ما يكون، وهذا رجل أديب لين القول واسع البال، وعنده شيء من تناقب[11] الخير لا يخرج من عندنا أبداً. وقال بني حناش: هو[12] في رأيه إن شاء، وإن شاء، فقال: أنا

(1) في (ب) و (ج) فسألوه أهل البلاد.
(2) (لهم) ساقطة من (ب).
(3) (وأنت) ساقطة من (ب).
(4) المنافق (بالقاف المعقودة) الثائر، الخارج عن طاعة الحاكم.
(5) في (أ) فإنه منيع من الأعداء ونحن نعاملوك من القمح الخ.
(6) في (أ) توجهنا.
(7) في (ج) يا نق البشر، وسترد في (أ) صحيحة: (نقي البشرة، والمعنى نوافق على طلبك.
(8) في (ب) أهل البلاد. ونفس المعنى في (ف).
(9) في (ب) من أضيافكم، والسؤال موجه من بني بربار إلى فرسان الحنانشة.
(10) في (أ) و (ج) وأراد.
(11) تناقب: لعلها مناقب أو سمات.
(12) في (ج) وهذا في رأيه الخ.

رجل قد تعبت لا بد أن أريّح هاهنا، فتم أمرهم على تخلفه.

فقال شيخ من بني حناش: يا قوم، هذا[1] سيظهر منه عجائب وغرائب متى حييت[2]. قالوا له: وكيف؟ قال لهم: أنا رجل كبير لي ثمانون سنة، وقد جالسنا الأمراء والكواهي[3] والملوك وغيرهم. ما وجدت مثله، قالوا له: نَقَصَ عقلُك يا شيخ! قال لهم: أزيدكم حجة أخرى ـ والله أعلم ـ: إذا بقي في هذا الواد، لا بقي رجل منكم يأخذ درهماً ولا ديناراً[4]. قالوا له: نقص عقلك وقياسك يا شيخ! قال لهم: سترون أمامكم.

قال الراوي (صفوان)[5]: وانصرفوا بني حناش إلى سيدهم، عثمان بن علي بن أبي بكر بن محمد بن سعد بن جابر بن إبراهيم بن عمر بن فاره بن محمد بن جابر بن نصر الأصغر بن عمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فقال لهم: ما وراءكم من الخبر؟ قالوا: خيراً، ولكنه يا سيدنا لقينا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقي البشرة حسن الخلق وفراسة وقول[6]، وأظنه سيد قومه.

قال: يا قوم، هل سميتموه[7]؟ قالوا: هو فطناسي. قال لهم: أظنه هو الهادف الميشوم الذي خَرَّجوه قومه من وسطهم. قالوا (له)[8]: هو. قال لهم: لو تقبلوا قولي لقبضتموه[9] وأتيت به إليّ لِقَتْله[10] لعله سيجعل بينكم/ [77]

(1) (هذا) ساقطة من(ب).

(2) (متى حييت) ساقطة من (ب).

(3) جمع كاهية، وهو لقب إداري سام.

(4) في (ف) إضافة وهي (من البربر) بعد (درهماً ولا ديناراً).

(5) زيادة من (ب)، وعبارتها بعد ذلك هي (وانصرفوا إلى سيدهم الخ.).

(6) في (ب) فراسة وقول. المراد حسن الخلق والفراسة والقول.

(7) في (أ) و (ج) سميته.

(8) زيادة من (ب). الميشوم = المنحوس.

(9) في (أ) و (ج) لو تقبلوا قوله لقبضته الخ.

(10) في (ج) إلا لقتله.

وبين رعايكم[1] شراً وفتنة، قالوا له: لو رأيته لقتلته[2] لما تجد فيه من الرياضة وحلاوة المنطق ورضا النفس[3] وسلامة لسانه من الحقد والحسد وجود وكرم[4]. فقال لهم: سيظهر لكم من أمره ما ترونه، قالوا: هذا شهابي[5]. قال: لا بد.

قال الراوي: فلما انصرفوا أصحاب الحناشي قاصدين أهلهم، قال لهم (الهادف)[6]: يا قوم هؤلاء رعاة بقرهم[7]. اعرف أموالهم كلهم من أرذال الناس، يأخُذُ عليكم (الجزية)[8] كل عام ما لا تطيقونه، أنتم تحسبونه زكاة وهم يقولون جزية، والجزية إلاّ على[9] اليهود والنصارى، وأظنكم ما ولدت امرأة[10] منكم رجلٌ عاقلْ.

قالوا له: دبر علينا. قال لهم: أنا رجل غريب ما لي في مشورتكم حاجة[11]. قالوا: لا بد، ولحُّوا عليه مراراً حتى قال لهم: اليوم[12]كيفْ يأتوكم (في العام القابل)[13]، قولوا لهم: يا بني حناش، نحن كل عام تأتوننا

---

(1) في (ب) رعايتكم، وهي إما رعيتكم أو رعاياكم.
(2) كذا في (أ) و (ب) و (ج)، والمعنى لو رأيته لما قتلته.
(3) في (أ) و (ج) النفوس. والجملة من (وسلامة لسانه إلى... يأخذ عليكم) ساقطة من (ج).
(4) في (أ) وجواد كريم.
(5) كذا، ولعل معناها أنه منجم أو الشابي.
(6) الهادف، زيادة من (ب). والحديث عن الهادف لبني بربار.
(7) في (أ) رعات بقروها.
(8) زيادة من(ب). والجملة فيها بعض الاختلاف: أعرف أموالهم من أرذل الناس يأخذ عليكم الجزية ما لا تطيقونه إلخ. يأخذ = يأخذون.
(9) عبارة (إلاّ على) ساقطة من (ب).
(10)(امرأة) ساقطة من (ج).
(11)في (ب) ما لي مشورة عليكم.
(12)(اليوم) ساقطة من (ب)، وكلمة لحوا هي (لحق) في (ج).
(13)زيادة من (ب).

وتجدون مشتغلين في مآربنا، وغَيْبتُنا عليكم نقصاً، جَمَّعوا منهم عامين في عام واحد[1].

ثم كِيفْ ينصرفوا عليكم، اشتروا الخيل والبنادق، واجمعوا غائبكم ممن[2] هو في القرى ومن هو في الاتلال، والذي تجدوه عندكم فهو المراد، والذي ينقصكم فمالي كله لكم، لأني[3] صرت أحد منكم ودمي من دمكم ولحمي من لحمكم.

قالوا: هذا هو الرأي. فتم أمرهم على ذلك. فلما أتوهم الحنانشة اعطوهم خَرَجَيْن في عام واحد، والعام الآتي[4] لا تأتوننا، قالوا: ما هذا إلا حباً كبيراً.

(ثم قال لهم الشيخ الذي كلمهم العام الأول: ما هو إلا غشاً كبيراً)[5] وهو يقول لهم بِظَاهر أمره[6]: لأي شيء هذا يا قوم؟ كل عام أقرب لكم، قالوا: لا بد فتم عملهم وحالهم على ذلك.

فلما رجعوا إلى سيدهم، قال لهم: ما هذا المال؟[7] قالوا: اعطونا خراج العام الآتي. وقصوا عليه القصة. قال لهم: ما ظهر لكم من أمرهم؟ قالوا: الخير/ والعافية. [78]

قال الراوي: وأخذوا أهل الواد في صلاح شأنهم، فاشتروا عشرة من الخيل، فقالوا: هذه العشرة من الخيل[8] ثمنهم عليك

---

(1) في (ب) اجمعوا عامين في عام واحد.
(2) في (ب) كل من كان في قرى الخ.
(3) في (أ) لا أنه.
(4) كانت اللتي واللاتي، وخرجين = خراجين.
(5) ما بين القوسين ساقط من(ب). والمقصود الشيخ الحناشي الذي تنبأ بمستقبل الهادف، فردوا عليه بنقصان عقله.
(6) في (ج) يا ظاهر.
(7) في (ب) ما هذا؟
(8) في (أ) الجملة هي: هذه العشرة ثمنهم عليك، قال الخ.

أنت[1]. قال لهم: أنا رجل غريب ما عندي ولا افتخرت به عليكم. قالوا: لا بد، رضاً أم غيره[2]. فلما سمع منهم ذلك وعرف من كلامهم، قال: لا بد أن تبيعوا (لي)[3] من سوانيكم. قالوا له: نعم. فطَمَّنهم حتى اطمأنوا.

ثم قال لهم: ما لي في رأس الجبل، من ينطلق معي ونحملوا للقوم. قالوا: ها هنا، قال: على رؤوسكم، فباتوا يرتجون أمره[4].

قال الراوي: قبل طلوع الفجر، فركب جواده وعبده، وأتى قاصداً الجبال، ولا يدري أين يذهب[5] ولا أيرَيّح، حتى لاقى صياداً، فقال: من أي الناس يا هذا ومعك عبدك؟ قال له حناشي: اصطاد فأصابتني دوخة[6] في قلبي فصرت لا أعرفك أنت ولا أعرف الطريق الذي أتيته، فقال: تعلم إلى حينٍ؟ فقال له: من أنت؟ قال: رجل حناشي صياد. قال له: وأين[7] هو؟ قال له: بحذاء الجبل قريباً منا. قال له: وصّلني إليه ولك عندي نصف دينار.

قال (الراوي)[8]: ثم انطلق به نحوه فوجده جالساً ومعه أصحابه فعرفه في وسطهم، فسلم عليه فرد عليه السلام، ثم قال له (الهادف)[9]: يا سيدي ما أبرك هذا الصباح الذي نظرت في وجهك! فقال له (الأمير)[10] الحناشي:

---

(1) في (أ) الجملة هي: هذه العشرة ثمنهم عليك، قال الخ.
(2) في (ب) رضا أم كرهاً.
(3) زيادة من (ب) و (ف).
(4) (أمره) ساقطة من (ب). يرتجون = ينتظرون. ها هنا = ها نحن.
(5) (يذهب) ساقطة من (ب). وفي (ب) أتوا قاصدين... حتى لاقوا، الخ.
(6) في (ب) فأصابتني دهشة ودوخة في قلبي.
(7) يريد أين هو سيدك، بناء على (ف).
(8) زيادة من (ب).
(9) زيادة من (ب) مع سقوط عبارة (يا سيدي).
(10) زيادة منا.

ما وراءك يالهادف[1]؟ قال: ورائي الخير والسلامة[2]. ولكن تركت بني بربار معوّلين على مكرك، وقد نهيتهم على ذلك فضربوني وخرجوني من وادهم[3].

قال له: وها هم ذكروا لي أنك أنت الذي أمرتهم بذلك، فقال له: وحق رأسك ومَنْ بين يديك ما أمرتهم بذلك، ولكن ها هم رجال من قومك قد أشرت[4] لهم سابقاً حين حلوا بالواد.

قال له: أنت كذاب، ولا أقبل منك كلاماً أبداً، ولكن ارفعوه من أمامي واقتلوه ولا تشفق عليه/ فحملوه[5]، وهو يضحك، فقال له زيد بن عمر [79] الحناشي: ما لي أراك تضحك وقد أمرونا بقتلك؟ فقال: والله لا يقتلني أحد.

قال الراوي: فحملوه حتى وصلوا به إلى بُعْدٍ من المجلس، فقال لهم: ولماذا تقتلوني؟ قالوا: لأنك قد فسدت علينا رعايتنا، ولا رأينا فيك خيراً. قال لهم (الهادف)[6]: اصلوا سيدكم، فإن حياتي خيراً كثيراً[7] وفي موتي حسرة كثيرة، فقالوا الخدام: أظن هذا رأي. اتركوه حتى نصلوا إلى السيد[8].

قال الراوي: فحملوه حتى وصلوا به إلى السيد[9]. قال عمارة[10] : كنت فيمن أراد قتله، فوصلنا (به) إلى السيد. فقال لي: اقتلوه! قلت له:

---

(1) (الهادف) ساقطة من (ب).
(2) في (ب) الخير والعافية والسلامة.
(3) وادهم = واديهم.
(4) في (أ) أشرفت.
(5) (فحملوه) ساقطة من (ب). لا تشفق = لا تشفقوا.
(6) زيادة من (ب).
(7) في (ب) أصلوا سيدكم وقولوا له فإن حياتي خير لكم الخ.
(8) في (ب) سيدهم، وكذلك ما بعدها.
(9) في (ب) فحملوه ورجعوا به إلى سيدهم قال الخ.
(10) هذه الجملة ساقطة من (ف).

أصلح الله حال الأمير سمعنا منه كلاماً. قال: وما هو؟ قال: يا بن الزانية[1]، قال لنا: اصلوا سيدكم فإن في قتلي حسرة وفي حياتي خيراً كثيراً[2]، فأتيناك بالخبر. قال: ثَم[3] لا بد من إحضاره يحضر[4].

قال الأمير: ما هذا الذي قلته لخدامي؟ فقال له الهادف: بَالْحَق، فأمر (له) بتناجه فألبسها وأمر بإحضاره[5]، فقال له: ما هو الكلام؟ قال له الهادف: أنا رجل صاحب تدبير للملوك، ولي رأي كامل وعقل مليح، اتركني ندبر عليك خير لك من قتلي، قال له (الأمير) الحناشي: ما تدبيرك إلا لعدم قتلك. قال له الهادف: رأيـي الذي فكّيت به نفسي، سنلقي به عليك مرة أخرى[6].

سفارة الحناشي إلى قسنطينة

قال الراوي: فبقي أيام والأمير يحضّره، حتى كان يوماً بعث له صاحب قسنطينة: لا بد لك من مالي، فلما نظر في كتابه قال لأصحابه: ما ظهر لكم من الرأي في هذه المراسلة؟ قالوا: كلام الملوك الحضور وطاعة لهم. (والهادف)[7] ساكت ينظر في أحواله ثم التفت له الأمير وقال: يالهادف أنت قلت لي نصلح لتدبير الملوك، وهذا أوان حاجتي، دبّر.

قال: لو كان الرأي عندي أن تلبس أحد من خدامك بأحسن اللباس

(1) جملة (قال يا بن الزانية) ساقطة من(ب)، ورغم تكرار (قال) ونحوها في غير موضعها فإن المعنى واضح.
(2) جملة (فإن في قتلي.. إلى كثيراً) فيها تقديم وتأخير واختلاف لفظي في (ب).
(3) (ثَم) ساقطة من (ب). ثم = عندئذ.
(4) في (ب) فذهبوا له وحضر بين يدي الأمير الحناشي، فقال له الأمير: ما هذا الذي قلته لخدامي؟ فقال له الهادف، بالحق، فأمر بتناجة فألبسها، قال له الهادف الخ.
(5) جملة (فأمر له.. إلى بإحضاره) ساقطة من (ف). و (التناجة) ثوب أو خلعة سنيّة.
(6) أي سأدبّر عليك بما أنجيت به نفسي من الموت.
(7) في (أ) وهو ساكت.

وتركبه/ على أحسن الخيل، قال: وتبعث[1] معه هدية وكتاباً مضمونه: فإني [80] مريض، وهاه أحد من أولادي قائم مقامي، ولا بد، والسلام. وإن قدومك للملوك مما يهين النفس ويقلل[2] هيبتك، وليس من فعل العقلاء.

فقال الأمير (الحناشي)[3]: هذا هو الرأي، يا من حضرتم. قال له كلام: وَصِّى صاحِبَك إذا لقي الأمير[4].

ثم قال لهم الهادف[5]: إذا لقيتم الأمير فتأدبوا معه واضعوا أنفسكم بلين حتى يرى كأنكم أحسن الناس أدباً، فإذا رآكم على هذه الحالة يقولوا هؤلاء يحبوني، وإذا حضّر لكم الطعام فكلوا منه وردوا باقيه إلى الخدام الذين حول الطعام[6] فإذا رأوكم يحبونكم ويبلغوا خبركم إلى الأمير، ولا تكثروا من الجلوس[7] معه، وقدموا له ما معكم من المال ولا تتركوه وراءكم، فإن المال قاطع الرقاب ويقرب الأبعاد، وإذا سألكم الأمير عن سيدكم فقولوا له: فهو يسأل عن حالك ولولا العجز عن الوصول إليك ما قنع بالكتابة نحوك. وأكثروا من صلاح سيدكم ومساعدته إلى الرعية، فإذا كان كذلك فتبطل جميع الغيبة فيك، فقال: هذا هو الرأي.

ثم انطلق الأوزاعي ومن معه حتى وصلوا أمير قسنطينة[8]، فوجدوه

---

(1) في (ب) على أحسن الخيل وتبعث، دون كلمة (وقال) وكذلك في (ج).
(2) كانت (ويقال).
(3) زيادة من (ب).
(4) الأمير هنا هو حاكم قسنطينة. وفي (ف) ورد المعنى هكذا (سأل الأمير الحناشي: إذا حضر مبعوثي عند حاكم قسنطينة وسأله أسئلة، كيف يجيبه؟).
(5) في (ب) اختلاف مع (أ)، لا يغير المعنى.
(6) في (ب) حولكم. واضعوا = ضعوا، يقولوا هؤلاء يحبوني = يقول هؤلاء يحبونني.
(7) في (ب) من الكلام. أكثروا من صلاح سيدكم = أكثروا من الحديث عن صلاح سيدكم... الغيبة = النميمة والوشاية.
(8) في (ب) حتى إلى الأمير باقسنطينة. يوحي السياق أن قسنطينة وقصرطينة مكانان مختلفان، بينما هما نفس الشيء. كما سبق.

قائماً بعساكره عند قصر الطين معروف الاسم.

قال الأوزاعي: فدخلنا عليه[1]، وإذا بالغضب كائن على وجهه، فتفكرت وصية الهادف، فأظهرت المال، وأتيت متأدباً[2]، وفعلت ما أمرني به الهادف. وقال الأوزاعي: فلما نظر إلى المال فرح، ثم بعد سألني عن الحناشي وكيف هو وحاله، فبقينا على ذلك سبعة أيام ونحن عنده، ولا نسينا من وصية (الهادف)[3] شيئاً.

[81] فلما أردنا الانصراف قال:/ يا خدامي قوموا بحق أصحاب الحناشي ولا تتركوا شيئاً من عادتهم[4].

قال الأوزاعي: فأعطانا وأخلع علينا فلّة للحناشي[5]، وفوَّض لنا جميع الأمور وودَّعنا، وانصرفنا.

فلما كان ذلك، وجدنا الحناشي يترقب فينا، فلما وصلنا إليه سألنا عن حاله، فقلنا له: قد عول على مكرك وقتلك، ولولا وصية الهادف لفعل بنا الشر الكبير.

قال الراوي: فلما سمع الحناشي كلام صاحبه[6]، قال: هو والله يصلح للتدبير، فزوجه تبر[7] بنت الأوزاعي، وكساها له وأعطاه خيمة كبيرة وعبيد، وأحسن له غاية. فولد له بلقاسم.

---

(1) في (ب) قال الراوي: فدخل عليه الأوزعي ومن معه الخ. ويدل السياق على أن الأوزاعي قد روى ذلك بعد رجوعه. وفي (أ) كتب الاسم الأوزعي ـ بدون ألف.
(2) تظهر في (أ) منادياً.
(3) زيادة من (ب).
(4) في (ب) قوموا بأصحاب الحناشي ولا تتركوا من عادته شيئاً.
(5) في (ج) (فلة) وترك مكانها بياضاً في (أ)، وفي (ب) (شيء)، وفي (ف) قفطاناً شرقياً للحناشي. ونحن نظن أن فيرو ترجم فقط معنى الكلمة التي لم تتفق حولها النسخ الأخرى. ولعل الفلة = حُلة.
(6) صاحبه = مبعوثه. كلمة (هو) في (قال: هو) تعني الهادف.
(7) في (أ) تقرأ أيضاً (بتر)، وهي (تبر) واضحة في (ف).

فبقي على ذلك مدة، وصار كل ما يحتاج إلى مشورة يأتي إليه، جعله الله مبروك المشورة صاحب تدبير، حتى أنه كان جميع الناس يحتاجون إليه (في بيع وشراء، وصارت الناس يهدون إليه وجميع الرعية يحسنون إليه)[1].

حتى قال: يا حناشي، أنت لك نصف إفريقية ولك نصف قسنطينة لأنك بين علامين غليظين ملوكته[2] عن صاحب إفريقية، وقلّة معاملتك نقص.

هدية الحناشي لصاحب تونس

فقال (الأمير)[3]: بَالْحَق، فجمع هدية من عسل وشياه وفرس فاسية، ثم شاور الهادف من ينطلق بهذه؟ قال له: الأوزاعي، قال (أي الأمير): فإنه مريض، انطلقْ إلى غيره، فقال (الهادف): ما بقي من يصلح إلا أنا، قال له: أنت لا تفارقني، لأنك صاحب (تدبير)[4] رأيي كامل ومع ذلك، وإنما أخاف منه[5] الخديعة لما عاينا منه أنه يتقلّب في الرأي المشورة الواحدة يصرّف قانونها على عشرة أوجه. قال: لا بد أن وجدت غيري.

ثم بعث رجل يقال له عمارة الهرسي[6]. فحملها وقصد بها صاحب

---

(1) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(2) كذا، ملوكته، وفي (أ) (علاميت) بدل علامين، وفي (ج) (علا) وبعده بياض، وفي (ف) من الحذر أن تبقى دائماً على علاقات طيبة مع جاريك الاثنين (يعني حاكم تونس وحاكم قسنطينة).

(3) زيادة من (ب).

(4) زيادة من (ب).

(5) في (ب) بضمير المخاطب هكذا: أخاف منك، عاينا منك، أنك الخ. وبقية الجملة هكذا: إنك تتقلب في المشورة الواحدة وتصرف قانوننا الخ.

(6) في (ف) عمارة بن العداسي. أي بعثه الأمير الحناشي إلى صاحب تونس بالهدية بدل الهادف.

إفريقية، وعامله على ذلك معاملة حسنة.

قال الحناشي يوم في نفسه: أنا اشتقت تدبير هذا الرجل، ولم ننظر في حالة أصحابي[1]، اسكت عنهم وعن كلامهم، فعابد بن سعيد أشار له سابقاً بعمل هذا الرجل وتقلبه ورقة دينه وسواد/ قلبه وبياض ظاهره. [82]

محاولة اغتيال الهادف

فاجتمع معه ساعة، وتحدث على كلام[2] والهادف، وقال له: أنت كبير، وحلّقت[3] مع أبي وجدّي، وقد عرفت السيرة كلها، وقانون المعرفة صارت عندك، فهل لك ما نظرت في حال هذا الرجل؟ قال: نظرك أعلى، لأن رأيي تابع قوة حيث[4] ما نقصت القوة نقصت المشورة فقال له: (لا بد.

فلما ألحّ عليه قال: يا سيدي، سترى من أمره ما ترى! قال له: وما ظهر لك فيه؟ فقال)[5]: عارف، لا تقبل قولي[6]، لأنك قد تعلقت به وبرأيه، فهل نحن ننظر في رأيك خيراً أو غيره؟ فقال بنهرة: حدثني يا مسكين لأني ما طلبتك لهذا إلا لتأمرني نصنعه يومئذ.

فقال: يا سيدي، اعتب ولا لوم عليك، فقال[7]: نظرت في أمره إنه

(1) في (ب) أصحابه، سكت عنهم الخ. في (ف) أن الأمير الحناشي قال لنفسه: دائماً أصغي لنصيحة هذا الرجل الغريب، بينما حاشيتي ملتزمة بالصمت، ولا تشارك في المداولات.
(2) بكلام الهادف. والمعنى أن الأمير استدعى عابد بن سعيد إليه.
(3) أي اجتمعت، يعني أن الأمير الحناشي تحدث إلى عابد بن سعيد باعتباره من الشيوخ الذين عاصروا جد الحناشي وأبيه.
(4) في (ب) لأن الرأي تابع القوة وحيث ما نقصت من القوة الخ. وفي (ج) رأيي تابع قوتي الخ. والمعنى: الرأي إنما يتبع القوة...
(5) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(6) المعنى: إنني أعرف أنك لا تقبل برأيي الخ.
(7) (فقال) هذه زائدة.

يريد أن يخلع مُلْكَكَ ويتولى علينا. فقال له: زدني. قال: لأني نظرت دَاخَلَه العُجْب من تحت هدايا الرعية إليه وطامع فيهم، ومن هذا يجلب الرعية، لأن له قلبان قلب أبيض وقلب أسود.

قال له الحناشي: وما الرأي (يا شيخ)[1]؟ فقال له: دبر أنت ـ أصلح الله الأمير ـ قال له: أنا ظاهر أن أباعده من قربه، قال الشيخ: لا تستطيع ذلك، لأنه قد تمكن وتعرَّف[2] بالناس، فلا يرضونه منك.

قال: وما الرأي؟ قال: قتله خيراً. قال: وما الحيلة في قتله؟ قال الشيخ: بعدما تنام العيون ولا يبقى قاعداً[3]، اهجم عليه بنفسك، واحمله إلى موضع وادفنه، فإذا كان الصباح كأنك احتجت إليه لمشورة فتاديه، فإذا لم تجده، انهر[4] على أهل الدولة وقل لهم أنتم الذين قتلتوه، فينكرون ذلك، فإذا نظروا إليك هكذا ذهبت عنك التهمة.

قال (الحناشي): هذا (هو الرأي)[5]، وبات أمره على ذلك، إلى الظلام نُقْضُوا حاجتنا.

قال الراوي[6]: وكان رجل يقال له عمر بن مراد الله[7] يسمع فيهم، وكان ممن يحب الهادف، وكان محبين إليه، فحمل ما سمعه

---

(1) زيادة من(ب)، ما بعدها يقتضي الحال أن يكون جواباً لعبارة (فقال) ولكنها غير موجودة فأضفناها. و (له) ساقطة من (ب)، وفي (ف) بماذا تشير علي؟ أما أنا فقد قررت في نفسي أن أبعده عن بلادنا فوراً.

(2) في (ب) وتوفر بالناس فلا يرضونه، قال، الخ.

(3) قاعداً = ساهراً.

(4) في (ب) فانهر وفي (أ) وانهر.

(5) زيادة من (ب).

(6) في (ب) قال الراوي: وأما ما كان من أمر الهادف، كان رجل من المحبين اسمه مرد الله يسمع في كلامهم، فذهب إلى الهادف وبلغ له ما قالهما الحناشي والشيخ، فقال: التدبير أنا صاحبه الخ.

(7) في (أ) مرد الله، وفي (ف) عمر بن مرداس.

[83] ويلغه بتمامه، فقال الهادف: التدبير أنا/ صاحبه.

فلما كان بعد صلاة العصر بعث (الهادف)[1] إلى ابن الحناشي: فإن الليل، عندنا لحم حسن وسمنا جيداً وطعاماً خالصاً، فلا بد من حضورك معنا، والله لا أكل ولا أشرب شيئاً (إن)[2] لم تكن معي إلا كأني أفرغته في غير مصراني، فجزاه خير[3].

قال الراوي: فحضر[4] الطعام وأكلا وشربا، فقال ابن الحناشي: ارجع إلى فراشي، وربما تفقدني أمي[5] فلا يطيب لها عيشاً ولا تكحل بنوم.

فقال له الهادف: أنا رجل ممن نحبكم ونريد منك أن تحضر مجلسي، ونعرفوك أحوال الملوك لأن أباك ربما يموت[6] فتطلب غيرك لما نجد فيك من الغباء، فظن أنه هو دبار[7]. فحدثه حتى طال الليل فوجده يتثاوب، فلما عرفه قد غطس في بحر النوم حمله إلى فراشه وغطاه بغطاه، وانصرف هو وعبده ، وحمل ابنه بلقاسم ، ابن ثلاثة سنين ، وترك أمه مريضة ولم يعلمها، (وذهب)[8] في ظلام الليل نحو قرية الكاف، فلما طلع الفجر إلا وهو بها.

وأما ما كان من خبر الحناشي، فإنه لما نامت العيون أخذ هو وعبيده

---

(1) زيادة من (ب).
(2) زيادة من (ج).
(3) المعنى: فجاوبه خيراً = شاكراً.
(4) في (ب) قال الراوي فلما جنّ الليل حضر الهادف وأمر إلى ابن الحناشي أن يأتيه فأتاه فأكلا وشربا جميعاً، فقال ابن الحناشي ارجع إلى أهلي وربما تفقدني أمي الـخ.
(5) في (أ) أمتي.
(6) في (ب) يموت قبلك فتطلب (أي الأم).
(7) في (ب) فظن أنه نصيح له في التدبير.
(8) زيادة من (ب)، وعبارة (في ظلام الليل) ساقطة من (ب)، و (الأم) هنا هي زوجة الهادف، تبر بنت الأوزاعي.

سيوفهم قاصدين خيمة الهادف، فوجدوا رجلاً[1] نائماً فقالوا هذا هو! فقطعوه بسـيوفهم حتى صار قطعاً قطعاً، ورجعوا فارحين إلى الصباح.

فلما قام المجلس، قال: يا قوم بأي حال[2] إن صاحب التدبير هاهنا؟ فقالوا: لا أدري، وربما انتقض[3] لحاجة، فنهر عليهم، فقال لهم: ما يتخلف عن مجلسنا أبداً إلا ما قد وقع به ما وقع من جلب حسدكم له. قالوا: معاذ (الله)[4]! ما يكون هذا. (انصرفوا إلى خيمته واسألوا عنه)[5].

فانصرفوا نحو الخيمة، فوجدوه ميت قد قطع بالسيوف، فأتوا إليه[6] مرعوبين، فمنهم من هرب، والأوزاعي/ أتى إليه فقال: هو ميت يا سيدي. [84] فلما سمع بذلك قام وقعد وقال: لا بد من إحضاره.

فحملوه في ثيابه، ثم كشفوا عنه، فإذا هو ابن الحناشي فبهت الأمير. وصار الفرح حزناً. وقامت أمه تبكي. وقطع الحناشي ثيابه وهو يصيح: يا بني قتلتك بنفسي! والناس يقولون: قتله الهادف!.

فلما ذهب عنه الروع قال: أنا قاتله! قالوا له: كيف ذلك؟ قال حسدت الرجل فوقع مكري في حسدي، أنا والله قتلته، ولا بد أدركوا الرجل[7]، واتوني به وإلاّ قطعت أعناقكم.

فساروا في أثره، فلم يدركوه، فولوا خائبين ويصيحون بالويل والثبور،

---

(1) في (ب) فوجدوا ابنه نائماً في فراشه (أي الهادف) ولم يعلموا بذلك، فقالوا هذا هو الهادف.

(2) عبارة (بأي حال) ساقطة من (ب). والمعنى = كيف لم يحضر صاحب التدبير المجلس؟ و (قام المجلس) =اجتمع.

(3) في (ب) انتقل.

(4) زيادة من (ب) و (ج).

(5) ما بين القوسين ساقط من (ب). ويبدو أن هذه الجملة هي جواب عن قول الحناشي: انصرفوا، الخ.

(6) في (ب) فأتوا به. وكلمة (إليه) أي إلى الحناشي.

(7) في (أ) الرجال وفي (ب) الراجل.

وصار الحناشي يعض في اصبعه وهو يقول: يا ليتني[1]، لا بولدي ولا بصاحب تدبيري.

تنقل الهادف في الكاف وباجة والقيروان

وأما ما كان من خبر الهادف فإنه نزل بالكاف، وأتى قائده فقال له: أتيتك لنكون معك، فإني نصلح لتدبير الملوك. فقال له حباً وكرامة! فبقي على ذلك في داره ملكاً وصاحب تدبير، أي رأي، فبقي مدة عام وستة أشهر[2]. فقال في نفسه: هذه بلاد ضيقة لا تصلح إلا للحرس.

فخرج منها حتى نزل بباجة المعروفة، فنزل بها ستة أشهر، فمرض فيها ابنه (بلقاسم)[3] وعبده، فقال: هذه بلاد لا تصلح لمثلي.

ثم ارتحل ونزل بالقيروان، المعروف فدخله عند طلوع الشمس، فلم يجد من يضيفه، فأتى إلى قائده وهو سعيد الأبتر، فسأل عنه: كيف أنت؟ ومن أين أقبلت؟ وأين تريد يا شيخ؟ فقال: أنا رجل قاصد الملوك ونصلح لتدبيرهم. فقال له سعيد: عندي ما يغنيني عنك.

فخرج من عنده وأتى السوق، وكان الهادف ممن يعرف خط الرمل. فالتفت إلى رجل[4]، وقال لا بد عرفت، فوضع خطه، فقال: لا بد أن تكون[5] قائد على هذه البقعة، فضحك الرجل. وقال: لا بد عد[6] خطك [85] لأنه/ كثير كذِبُه. فقال له: خطي لا يكذب يا مسكين! ثم عاود له فوجده كما قال له الأول، فأعطاه دينار ذهباً.

---

(1) أي يا أسفي!
(2) في (ف) كل المدة حوالي ستة أشهر.
(3) زيادة من (ب).
(4) في (أ) و (ج) فالتفت (إليه).
(5) في (أ) لا بد قد تكونوا، وفي (ب) لا بد قد تكون.
(6) في (ب) عاود لي الحظ. عِدْ = أعد.

فلما كان من الغد، فإذا به في موضعه بالأمس، فحبس[1] الهادف. فقال له: أظن خطك كاذباً، ها أنا لم نرى ما قلت لي بالأمس. ثم عاود الخط، فقال له: والله لا تفارق مجلسك ولا تأكل طعام اليوم[2] إلا من طعام المخزن، فقال له: ستظهر[3] إن شاء الله.

الهادف وقائد القيروان

قال الراوي: فاشتغل الهادف برجل آخر ينظر لهم في الخط، حتى نظر رجال راكبين وهم على خيول، ينادون[4] الرجل، أين هو؟ فنهض إليهم وعرفهم بنفسه، فقبضوه وأدخلوه دار الملك، ولا أكل طعام إلا كما قيل[5].

قال الراوي: ثم أمر وقال: لا بد أن تأتوني بصاحب خط الرمل فهو رجل حسن الوجه، فهو حكيم زمانه.

قال: فانطلقوا، وأتوه[6] على المتولي، وكان اسمه كعب بن عمارية، فلما حضر بين يديه قال له: يا حكيم، أتريد أن تكون عندي بمنزلة الأخ الصادق؟ قال له الهادف: على شرط مني إليك، قال له وما هي؟ قال لا تقبل (قول)[7] في غيبتي، قال له كعب: إن تعملْ موجِبها[8] قال له بَالْحَق، ولكن الدنيا فتنة، فأنا أحب الناسَ وأشير عليهم برأي صالح يكون

(1) حبسه = استوقفه.
(2) (اليوم) ساقطة من (ب). المخزن = الحكومة أو السلطة.
(3) في (ج) ستنظر.
(4) (ينادون) ساقطة من (ب).
(5) في (ب) كما قال له الهادف، وفي (ج) إلا كما قال له صاحب خط الرمل.
(6) في (ب) وأتوا به إليه. وكان اسم القايد المتولي الجديد كعب بن عارية، وفي (أ) كذلك، ومارية وعمارية وفي (ف) كعب بن سارية. وعلى كل حال، فهو اسم الرجل الذي تنبأ له الهادف بالولاية.
(7) زيادة من (ب).
(8) هذه العبارة ترجمتها (ف) هكذا (ما تقترحه علي سيكون مقبولاً مقدماً).

لهم[1] فيه النجاة فيبغضوني القعادة، هو لما يجد في وجهك مقابلاً لوجهي، ولكن لا يخلق جسد من جسد. قال له: قبلت. فبقي عنده مدة، ما شاء الله، حتى يحتاج كعب إلى مشورة فما التبس أهل العقل من أرباب دولته ولا وجد[2].

قال الراوي[3]: فدخل عليه الهادف (ذات يوم)[4]، فوجده متحيراً في أمره، فقال له: ما بك، يا أمير المؤمنين[5]؟ قال: لا بد، فإني مشغول بال، فإن صاحب تونس بعث لي على أربعمائة/ دينار ذهباً ولم أجد عندي منه [86] شيئاً، قال: هذا أمر ساهل، قال له كعب: وكيف؟ قال له: أين[6] الذين يأكلون خبزك، وأنا أصرف عنهم هذا العدد. قال: عندي أربعمائة رجل، قال: كل رجل يعطيك دينار. فقال كعب: والله إنك صاحب مشورة حسنة.

سفارة الهادف إلى حاكم تونس

فبقي عنده إلى زمان الأشرف القائم بأحوال تونس[7] عليها وما زال، قد قُتِلَ الأمير الأول وتولى هو من بعده. ثم إنه جمع أمرائه: أقدموا عليّ ولا بد. فأتوا إليه الناس من كل جانب، فبقي كعب ينظر ما يؤمر به، وإذا به قد

(1) في (أ) و (ج) لكم. القعادة = الحساد، الوشاة.

(2) في (ب) فما يلتبس... ولا لأحد. فما = في ما. وجملة (فبقي عنده... ولا وجد) ساقطة من (ف).

(3) (قال الراوي) ساقطة من (ب).

(4) ما بين القوسين زيادة منّا، ومعناه موجود في (ف).

(5) كلمة المؤمنين ساقطة من (ج) و (ف).

(6) مكان كلمة (أين) ترك بياضاً في (ج).

(7) بين كلمتي (تونس) و (عليها) بياض في (أ) والبياض نفسه موجود بعد (عليها) في (ج)، ويمكن ملء البياض بكلمة (تولى) أي تولى الأشرف عليها وما زال الخ. وفي (ف) بقي الهادف عند كعب إلى أن قتل صاحب تونس، فلما تولى الأشرف ودعا أعيان مملكته، الخ.

بعث له: يا كعب اقدمْ جدّدْ قيادتك عندي.

فأمر بالهادف، فأحضر بين يديه. قال له: انظر كتاب صاحب تونس المتولي جديد، ما حالنا معه، قال له (الهادف)[1]: هذا كل شيء! أنا أمضي له وأدبر معك في أمره، قال هو لك، فمضى (إليه)[2]، وتبعه رجل من أقارب كعب، حتى وصلوا إلى تونس، فدخلوا على الأمير فسلموا عليه وهنّوه بالسلامة، وجلسوا عنده، فكلّم جميع من كان قائداً أو كاهية[3] بما أحق[4] بمجلس (الأمير)[5].

ثم قال: من لم يأتيني بغير مال فلا حظ له عندي، فسكتت الناسُ كلها إلا الهادف قال: نعم يا سيدي، أتيتك خديم كعب، بأربعمائة ديناراً ذهباً. فقال له الأمير: أما أنت تصلح إلا لرياسة الملوك، فأقبل عليه، وأسلم له الرياسة، وبعث له تجديد الولاية إلى كعب. ورجع الهادف فارحاً مسروراً بما كلمه الأمير، ورضي عنه وعن صاحبه كعب.

فلما وصل إلى قرية[6] القيروان، سمع به كعب ففرح به وبقدوم أصحابه، فدخلوا عليه وكلمهم وسألهم عن ما وقع وكيف الحال؟ فحدثه الهادف بسيرته وبتسليفه أربعمائة ديناراً من يهودياً[7]، ففرح.

ثم قال له كعب: أعطيني أنت ما دفعته للأمير، ولك عندي من الدرجة الرفيعة/. قال له الهادف: ولّيني على الجزارين والخبازين وأصحاب السوق [87]

---

(1) زيادة من (ب).
(2) زيادة من (ب).
(3) في (ب) و (أ) و (ج) (كاهنا).
(4) عبارة (بما أحق) ساقطة من (ج). ومعناها ساقط من (ف).
(5) زيادة من (ب).
(6) في (أ) (قيرة) وفي (ب) وصل القيروان بإسقاط كلمة (قرية).
(7) في (ف) أن الهادف استلف الأربعمائة دينار من اليهودي، وقام بإهدائها باسم القائد كعب، وإن كعب سأله بعد ذلك كيف يمكنه تسديد الدين لليهودي؟ فاقترح عليه الهادف أن يوليه على الخبازين الخ.

وأهل البيع والشراء، قال له كعب: وما هذه بعادة! فقال له: كن شجاع فإن المرأة ما ولدت إلا الرجال، وأما النساء فليس للناس بهم حاجة، قال له: افعل رأيك.

الهادف وزيراً لصاحب تونس

قال الراوي: فهو أول[1] من غرّم الأسواق وأجرى فيها العادة، ثم جعل على كل سوق قائد، وهم يخلّصون عليهم على ذبح كل شاة، وعلى بيع كل شيء، حتى بيع الخيل والبغال، فتم عمله على ذلك، فصلح حال كعب وتم مراده، فجعلت له من مشورته حجة وتم أمره، وجرت العادة بذلك.

ثم بعد أيام، طلب الأشرف حضور الأمراء، فحضر الهادف معهم، وتخلف كعب، وبقي الهادف[2] هو المترجم والقائم بأموره. ثم قال (الأشرف): لا بد لي من عشرون ألف نُفَرِّ قُوها على بعضكم، فإني احتجت إليها. فسكتوا جميع (الأمراء)[3] والبنادق[4] والوزراء إلا الهادف قال: حباً وكرامة هاه عندي كلها، وأنا يا سيدي بلسان الجماعة الذين معي.

فبهتوا ولم يتكلموا، فلما انفصل المجلس قالوا له: يا لهادف، فعلك لا يرضينا، هكذا تُوَصّلنا وتَمَشّينا بأرجل غير أرجلنا! فقال لهم: إما تعطوا ما فرضته عليكم وإلا اخرجوا وأنا أعطيها وحدي. فغضبوا على فعله وحلفوا لا بد من قتله.

قال الراوي: فأتى إلى يهودياً فتسلف منه عشرون ألف، وبقي هو سيد القوم، فرجعوا مغتضبين إلى منازلهم، وقالوا: ما هذا إلا داهية أرسلها الله

(1) في (أ) أولاً، وجرى بدل أجرى.

(2) في (أ) وبقا هو المرتجم، وفي (ج) بحضور الهادف بدل فحضر، وبطا بدل بقا، وكلمة المترجم (بتشديد التاء) بمعنى المتولي والناطق الرسمي وفي (ج) بحضوره بدل بأموره.

(3) زيادة من (ب).

(4) كذا، ولعلها البيادق، أي العسكريين السامين.

علينا. فأتى (الهادف)[1] إلى الأمير الأشرف وقال له: خذ هذه العادة من عندي، وانزعني[2] أميراً عليهم.

قال له: ولا يصلح إلا أنت، لأن المرأة ما ولدت غيرك، انصرف فأنت الوالي عليهم وأنت وزيري. قال له: حباً وكرامة، قال له: اجعلني صاحب [88] خزنة ومفاتيح. قال له (الأمير): هي لك!.

وتم عملهم على ذلك، فأتى للخزانة فرد لليهودي ما أسلفه عنه، وبقي يدبر، قال: يا أشرف أريد أن أرسل للقياد وأندادهم الذين يطلبونه ولم يجدوها، قال له: الرأي رأيك. أنا أقول لك كلمة، إن احتجتُ إلى المال فنصرفه عندك[3]. قال له الهادف: لا عليك قلَّ أو كثُر، قال له الأشرف: ما أنت إلا حاذق، وقولك إن أباك صاحب قيادة فبَالْحَق، رأيك كاملاً وعقلك جامل.

ثم بعث (الهادف)[4] إلى صاحب باجة: أرسل إلى سيدنا خمسة آلاف درهم، وبعث إلى صاحب سفاقس كذلك، وإلى صاحب قفصة[5]، وإلى صاحب الكاف، وإلى صاحب القيروان، وكذلك إلى صاحب نفزاوة، (كل واحد من هؤلاء خمسة آلاف درهم)[6]. فقال (الهادف) إلى الأشرف: اختم بختامك، فختم له.

وصار الأشرف أينما يوجهه يتوجه، مدة شهر إلاّ واجتمعتْ عنده اثنان وأربعون ألفاً، ثم بدا له في نفسه: أعطى للأشرف منها نصيباً لكي نأكل

---

(1) زيادة من (ب).

(2) في (ج) أنزلني، وفي (أ) و (ب) تقرأ (إنزعني)، وفي (ف) أطلب إليك أن أصبح رئيساً عليهم.

(3) في (ب) أقول لك كلمة واحدة إن أحتجت إلى المال فنجده عندك.

(4) زيادة من (ب)، والجملة التي تبدأ (وبقي يدبر إلى. . . وعقلك جامل) كلها ساقطة من (ف).

(5) صاحب قفصة زيادة من (ج) و (ف)، وتلك هي مراكز قيادات تونس الإدارية عندئذٍ.

(6) ما بين القوسين زيادة من (ب).

جميعها[1]، فأعطاه اثني عشر ألف، وباقي المال أكله هو، وصار على ذلك مدة.

فلما كان يوماً (من الأيام) أتى إلى الأشرف (وقال له: أدبر ليك، قال: وما هي؟ قال له: نريد أن أعطيك اليوم عشرة آلاف. قال له: افعل إن وجدت)[2] قال له: تونس فيها عشرة أسواق، وفيها دار النعام والحمام، وموضع البرّ والشعير، أريد أن أجعل عليهم قانوناً تستعين به خيراً لك، قال: هذا رأي سديد، افعل بذلك.

ثم أمر بعشرة رجال: انطلقوا إلى الأسواق (واتوني من كل موضع ألف درهم، قالوا: نعم. فانطلقوا إلى الأسواق)[3] وأمروهم بالإعطاء.

فارتعد الناس من ذلك، ثم قالوا لهم: أنتم اعطونا كل واحد منكم ألف/ إلى العام الآتي يأكل منه ما يشتهي[4].

ثم قال له: لم أرى عندك جواد. قال له الأشرف: لا، قال: اليوم اجعل لك/ أربعة من الخيل. فقال له: إن فعلتَ ذلك فأنت عندي بمنزلة الأخ. [89]

قال له: اعطيني كاغط، فأعطاه فكتب: يا بني رزق، تأكلوا في اخبازي، ولا بد احتجت إلى فرس أرسلوها لي، و (إلى)[5] بني منّاع كذلك، وإلى بني عيار[6] كذلك، وإلى[7] بني أجوين: أرسلوا لي جواداً.

---

(1) في (ب) أعطى للأشرف منها نصيباً، والباقي ندخره، فأعطاه اثني عشر ألفاً والباقي كله خبّاً وصار الخ. والمعنى: لم يمض شهر واحد حتى جمع الهادف من المال اثنين وأربعين ألفاً.

(2) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(3) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(4) جملة (فارتعد الناس إلى. . . ما يشتهي) ساقطة من (ف).

(5) زيادة من (ب).

(6) في (ج) بني عياد.

(7) في (أ) و (ف) يا بني عيار، يا بني جوين الخ.

الشابي وخراج الجريد

فلما وصل الأمر إليهم، قالوا: ما هذه العادة؟ هذا أمر قد طرأ وحدث. (فأرسلوا له أربعة خيول. فقال له: ما تأكل الخيل؟ قال: الشعير)[1] زكاة إفريقية، قالوا الرايس القوم: هؤلاء الذين أعطوا له الخيل أنت لا تعرف يا سيدي. أما هؤلاء فنرسوا إلى الشابي يعطيهم تمر الجريد، لماذا يأكل فيه الشابي والبوادي بغير صواب؟ فأعجبه رأيه.

فبعث إلى الشابي: خراج الجريد على يديك، ولا بد كل واحد يأتيك بأمر فأعطيه شيئاً من التمر والمال، معروف نصفه للشابي (ونصفه للأشرف)[2].

فلما بلغ ذلك (الأمر) الشابي، بعث لأصحابه ما الذي أخبر به الأشرف، ما هذه الواقعة، وهذا الأمر الذي أنزل بنا. قالوا: رجل بالأشرف[3]، وصار يشير عليه بأمر عظيم.

قال الراوي: فخرجت فرقة من بني منّاع ومن غيرها إلى الشابي، وقالوا: هذا الرجل ما زال يفك لنا جميع ما عندنا، وصارت العرب يهربون من إفريقية إلى الشابي، وبقي لهم[4] نداً معانداً لصاحب إفريقية، فنقص حظ الأمير[5]، وتم الهادف في رأيه.

ثم قال له: عليك برأي العرب من غير زبن[6] ويصلح حالك معهم

---

(1) ما بين القوسين ساقط من (ب). وعبارة (الرايس القوم) = رياس أو رؤساء أو أعيان القوم.

(2) ما بين القوسين ساقط من (ب). بناءً على (ف) فإن الشابي كان يجمع تمر الجريد من الناس بطريقة غير منظمة، فطلبه الأشرف نصف غلة التمر ونصف الضرائب.

(3) أي أن ما جعل الأشرف يتصرف هكذا سببه رجل يشير عليه...

(4) لهم = للعرب.

(5) يعني أن هجرة السكان من إفريقية قد أضرت بوضع أمير تونس مع الرعية.

(6) أي بدون عنف أو ظلم.

وتأخذ منهم ما احتجت. قال له: هذا هو الرأي. فلما حل وقت خلاص الجريد أوصى قايده بذلك[1]، وكان زمام الجريد بيد الشابـي، ولا يقع خلاص شيء إلاّ على يديه، فلما غلبه أهل إفريقية ووقعت الفتنة بينه وبين صاحب تونس، كما تأتي إن شاء الله[2].

فبلغ القايد إلى الجريد، وبعث إلى الشابـي على العادة (الأولى)[3]. [90] أتاه هو وأحمد بن محمد وأخيه الطيب، أبناء عبد الصمد[4]، والفقيه/ علي بن سعيد وعبده[5] همام، (فبلغوا على العادة)[6] فباتوا بخيمتهم.

فلما كان آخر الليل بعث لهم (القائد)، وقال لهم: إن أهل الجريد عطوني[7] على الخراج، لا بد من الحضور عليَّ[8] في هذه الليلة ندبر في أحوالنا كيف الرأي، فأتاه أحمد والطيب وهمام، وأما علي فقال: يا خواني، النداء في الليل من غريب الأمن[9]. قالوا: لعنة الله عليه! أنخاف من صاحب

---

(1) المعنى أن الأشرف أوصى القائد الذي أرسله لاستخلاص خراج الجريد بمراعاة العرب وعدم ظلمهم.

(2) سترد القصة بالتفصيل.

(3) زيادة من (ب). أتاه هو = الشابـي.

(4) في (ف) تعليق لفيرو، وهو أن عبد الصمد الشابـي عاش حوالي سنة 935 (1528). في عهد السلطان الحسن الحفصي. وهو في الحقيقة تاريخ غامض، لأن الصحيح أن عبد الصمد الشابـي توفي سنة 1025 (1616) ودفن في جبل أرفو. أما ابنه علي فقد توفي سنة 1047 (1637). ويقول القيرواني في كتابه تاريخ إفريقية إن مسألة الضرائب قد أحدثت ثورة عامة في البلاد. وقد أعلن الثائرون العرب بعد ذلك ولاءهم للأتراك الذين استقروا بالقيروان. وفي النص تقديم وتأخير في (ف).

(5) في (ف) والهمامي، دون عبده، مع النسبة.

(6) ما بين القوسين ساقط من (ب). أي جاؤوا كعادتهم لدفع الضرائب.

(7) في (ب) عطلوني، وفي (ف) أن القائد بعث إلى الشابـي قائلاً له أن على أهل الجريد أن يعطوني الضرائب لأرجع حالاً.

(8) كلمة (علي) ساقطة من (ب).

(9) من غير الأمن في (ب).

إفريقية الذين أَكَلُهُم الدجاج؟ فقال لهم: أنا قلبي حدثني. قالوا له: أرسل العبد[1] معنا فيه كفاية.

ثم انطلقوا إلى القائد، فوصلوه فوجدوه غضبان على الجريد (فقالوا: ما دهاك يا قائد؟)[2] قال لهم: كيف أرجع إلى سيدي بغير مال؟ فقالوا له: هذا ظلام، اصبرْ إلى غدٍ[3]، وننظر في حالنا.

ثم قال لهم: أين علي بن سعيد؟ قالوا له: تخلف يحرس الخباء[4]. قال: لا بد يحضر إلى هذه المشورة. قالوا: أهل الطريق: وإنما أتى (معنا) زيادة[5].

ثم قال: لخدامه: عليَّ به! فلما أتوه، قالوا له: إن القائد يدعوك للمشورة. قال لهم: والله لا نظرت له وجهاً ولا سمعت له كلاماً، و (لو) أنه قد شدّ قربوصي[6]. فلما انصرفوا عنه ركب جواده وطلق عنانه.

فلما بلغوا إلى القائد قال: اقتلوهم بعبدهم! وأطلقوا الأعنة نحو علي. فقتلوا أحمد والطيب وهمام، ولحقوا علي، فلم يجدوا له خبراً. ورجع إلى أهله سالماً[7].

(قال الراوي)[8]: لولا علي لانقطعت السلسلة.

---

(1) في (ب) عبدك.
(2) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(3) في (ب) فقالوا هذا ليل وظلام، اصبر إلى الصباح وننظر الخ.
(4) في (ف) أنه تخلف ليحث الناس على دفع الضرائب.
(5) في بعض النسخ إنما أتى معنا زيادة، أما في(أ) و (ب) فهي (مغلاً) ولم ندرك لها معنى. وفي (ج) مكان (معنا) ترك بياض، أما (ف) فقد أسقطت الجملة تماماً. أهل الطريق = الوفد الذي استدعاه القائد.
(6) القربوص = السرج، و (لو) زيادة منا.
(7) في (ف) أن علي بن سعيد رجع إلى أهله (أولاد علي في نفطة).
(8) زيادة من (ب).

فقضى القائد مآربه[1]: وانطلق راجعاً إلى تونس، ففرح الأشرف بقتلهم، وحمد الهادف على رأيه، وصارت العرب التي كتبهم الشابي رجعت وحدها أفواجاً[2].

قال الراوي: فبقي على ذلك مدة صلَّح أحواله وناجد أمره[3]. حتى إذا أراد الله بعمارة جعل لها أسباباً.

الضريبة على بضائع النصارى

قال الأشرف للهادف[4]: إن النصارى يأتوا إلى بلادنا ويتسوقوا منهم فهل نجعل عليهم خراجاً؟ قال له: لا بد الذي يأتي بلادي آخذ عليه عشر/ [91] ما أتى به، فقدم[5] قبيلةُ الفرنق[6] فأخذ منهم عشر سلعهم، فكانت عشرة آلاف درهم، وتسوقوا[7] ورجعوا، فوجدوا مركباً من المسلمين في بلادهم فأخذوه، فرجعوا إلى تونس مغضبين[8].

---

(1) أي جمع الضرائب التي جاء من أجلها، كما في (ف) ورجع إلى الأشرف.

(2) في (ب) وسارت العرب التي كتبهم الشابي رجعت وحدها أفواجاً أفواجاً، وفي (ج) وصارت العرب الذين كتبهم الشابي ورجعتْ وحدها أفواجاً. والمقصود أن السكان قد تخلوا عن الشابي ورجعوا تلقائياً إلى طاعة سلطان تونس.

(3) أي أمره ناجز ومطاع. وفي (ب) في صالح أحواله وناجد أمره. ناجد = ناجز.

(4) في (ف) أن الهادف هو الذي قال للأشراف.

(5) في (أ) فوفق، وفي (ج) فوافق، وفي (ب) فقدم، والفرنق = أي الفرنج، وفي (ف) سفن لأمة الفرنسيين (وهي ترجمة خاطئة، بل مزورة، وهي دليل آخر على أن (فيرو) كان يترجم العدواني ترجمة موجهة.

(6) في (ج) (الفرنوا).

(7) في (ف) ترجم (تسوقوا): باعوا سلعتهم، بينما معناها أنهم باعوا واشتروا وقد تعني الشراء أكثر. وكلمة (أخذوه) تعني أنهم أخذوا المركب بما فيه، ولكن الترجمة جاءت بمعنى أنهم جردوه مما فيه وتركوه يرجع. وهكذا بقية النص.

(8) في (ب) فوجدوا مركباً من المسلمين في بلادهم فأخذوهم فرجع المركب إلى تونس مغضبين الخ. وفي نسخة التليلي: فوجدوا مركباً من السلع في بلادهم فأخفروه إلى =

وكان المركب وما فيه للحفصي، وكانوا الحفاصي[1] لهم سطوة وحرمة لأن الولاية كانت لهم. فلما عاينوا فساد الزمان تركوها طوعاً، فأقام[2] الحسين بن مصطفى الحفصي إلى الأشرف قال له: ما هذا الذي فعلت في أمر النصارى؟ قال له: يا حفصي، الملاعين يتسوقون بلادي وغير ذلك.

غضب الهادف وخروجه من تونس

فقام الهادف وقال له: يا سيد الأشرف. اسكت فإنك لا تعرف جوابه. فقال: يا حفصي، من أين لك هذا الكلام؟ هذا أمير إفريقية تتعرض له في أمر الأغلاف[3].

قال له: يا عدو الله، هلكت البلاد من حيث نزلتها[4]، اخرج من بلادنا فإنه رأيك مشوم، شكت منك الرعية الزرقية[5] وقتلت[6] الشابي سيد الأمراء، من أجلك فُكَّتْ له البلاد.

قال له الهادف: أجازع عنه يا طويل الذقن؟.

قال (له) الحفصي: وكيف لا أجزع عليه وإن أباه صاحب رسول الله - ﷺ - وأبـي رفيقه؟.

قال (الراوي)[7]: فلطمه على خده.

---

* تونس، الخ.

(1) في (أ) الحافصي. والمقصود بني حفص.

(2) فأقام = قام أو نهض.

(3) لعله يقصد الأعلاج، وجملة (تتعرض له في أمر الأغلاف) ساقطة من (ب)، ونظن أن إسقاطها كان عمداً.

(4) في (ب) يا عدو الله، والله. وفي (ج) من حين نزلتها.

(5) في (ج) المزارقية، وفي (التليلي) المرازقية، وهي ساقطة من (ب).

(6) في نسخة التليلي (وخلعت)، وفي (ف) وقتلت الشابي.

(7) زيادة من (ب).

فلما لطمه التفت (الهادف)[1] إلى الأشرف وقال: هكذا يقع بوزيرك وأنت تنظر؟!

قال (له الأشرف)[2]: ألم تعرفه؟ فهذا حفصي، صاحب الطريق، ولو طلب لأخذه لأنّه من ولد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

قال (الراوي): فغضب الهادف، وقال: يا أشرف أني نريد أن نجعل لك حظاً كاملاً، واليوم قد رأيت منك التقصير، فكن على خير.

قال له الأشرف: أما بلغك على إفريقية إنها امرأة ولا لها حرام، ولا خلة، أن من طلب الحرمة بها فلا ينال منها شيئاً، إن شئت أبني ووزيري، عِشْ بما يسر الله، وإلاَّ نظرك أعلى[3].

قال الهادف: أنا رجل زابيٌّ، خرجت من وطني لأجل الحرمة وعلو المنزلة، والله لا رضيت بالذل، وأنا كنت عالي ما فوقي أحدا/ (ما عداك، [92] والله)[4] لا قمت في هذه البلدة يوماً، أنا أخاف من هذه البلاد، وأرض الله واسعة الأوطان، وأجول في الأرض حتى أجد قرية نكون فيها عزيز نقيم بها وإلاَّ نكون فوق جوادي، حتى يأتي وعد الله.

فأمر بعبده وجواده وابنه أن يأخذ الطريق. فأدرك ابنه وعبده عند شيخ البركة علي عزوز، فبات عنده وعلف دابته وسار ليلته ويومه.

---

(1) زيادة من (ب).

(2) زيادة من (ب).

(3) جملة (قال له الأشرف أما بلغك... نظرك) يفهم منها أنها من الأشرف إلى الهادف، لكن (ف) جعلتها من الأشرف إلى الحفصي. ابني ووزيري = إن شئت فأنت بمنزلة ابني ووزيري، وإلا اختر ما تريد.

(4) ما بين القوسين ساقط من (ب).

الهادف بين الهمامة والعربان

فبلغ القيروان، فوجد عيرا من الهمامة هنالك. فسأل عنهم فقيل: هَمَامَّة، وإن أهلينا نازلين على عمرة. قال لهم: نريد أن أدرك أهليكم[1]. (قالوا له: من أين أقبلت؟ قال لهم: من ناحية دار الملك)[2] قالوا له: بعثك الأشرف؟ قال لهم: لعن الله ذلك المرأة، لا خير فيه[3].

فسار معهم إلى أن وصل أهلهم. فقالوا له: نجم نحن[4] أولاً بضيافتك ، لأننا أعجبنا كلامك وصوابك ، وأظنك أنت الهادف . قال لهم : نعم . قالوا : كن عندنا ولك الحظ . قال : لا بد . فبقي على ذلك مدة.

ثم شكوا له بعض الناس، وقالوا له: أنت نظرنا حالَكَ، وها هم بني معمر وعزيز[5] ورضوان. صاروا يشاورونك، وصرت لهم صاحب تدبير، دبر علينا اليوم، فإنا نحن رجال خلط، عرب[6] من نواحي شتى، نريد أن تكون الوالي علينا.

قال لهم: لا نقدر على ذلك، قالوا له: ولماذا؟ قال لهم: أنا رجل نبذر مالي وعرضي، وأنتم لا تقدرون، قالوا له: لا بد.

---

(1) أهليكم ساقطة من (ب).

(2) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(3) في (ب) بعثك الأمير، قال لهم: لعن الله المرأة لا خير فيها.

(4) في (ب) أتم عندنا للضيافة وكلمة (نجم) موجودة كذلك في (أ) و (ج). ولعلها (نقوم)، وفي الدارجة: نجم على وزن شمر = قدر واستطاع.

(5) في (ب) عزوز، والأسماء الثلاثة (معمر، وعزيز، ورضوان) ساقطة من (ف). وفي (ج) وها هم بني همام: معمر، وعزيز، ورضوان، الخ. وفي (ف) بنو همام فقط.

(6) في (ب) خلط وعرب وهو الأقرب حسب المعنى الذي سيأتي من كون الهادف سيتحالف مع الأخلاط ويترك العرب. وفي (ج) عرب خلط.

فلما كان يوم، ذبح أربعة شياه ووضع طعاماً مليح، ونادى الجماعة كلهم: (نأكلوا من ذلك الطعام)[1]. فلما فرغوا من الأكل، قالوا له: ما تريد؟ قال لهم (الهادف): ثلاث كلمات قالوا: وما هم؟ قال: نريد أن تزوجوني إحدى بنات الناس العقلاء، والأخرى لا بد هؤلاء أعددتهم البارحة نحو مائة رجل اخلاط، نجمعهم إلي لكي تكونوا أنتم ثلاثة وأنا رابعكم، ضيافة أو غيرها[2]، قالوا: خيراً لنا.

[93] فتم أمرهم/ على ذلك، وأنا والله، لا أكلت طعامكم، اليوم ستة أشهر وأنا عندكم، قال: أنا رجل كامل الصواب ولم تزوجوني.

ثم قامت الناس وهم ينظرون في امرأة يزوجوها للهادف، فلم يجدوا. فمر عليهم، فقال لهم: ما لكم متحيرون في أمري؟ قالوا: نعم. قال: اذهبوا، عندي الدوخة، أنا أعرف صلاحي، فإن رجل من زقلوم عنده بنت لا أرى الناظرين[3] مثلها، فزوجه إياها فأعطاه (الهادف) مائة درهم، واشتري خيمة ونزل بها وبنى بزوجته[4].

قالوا له بني همام: لا بد أن أعلمنا ما أنفقته[5] على هذه الزوجة وثمن الخيمة، قال لهم: معاذ الله! أنا تارككم لأمر آخر، على رؤوسكم،

---

(1) جملة ساقطة من (ب).

(2) بناء على (ف) فإن الشروط الثلاثة التي وضعها الهادف هي: الزواج، وتكوين حرس شخصي من مائة رجل، والربع من كل دخل للجماعة.

(3) في (ب) الجملة هكذا (فلم يجدوا، ثم بعد ذلك مرَّ عليهم رجل من زقلوم، فقال لهم ما لكم متحيرين؟ فقالوا له: نريد امرأة نزوجوا بها الهادف، فلم نجدوا، فسمع الهادف كلامهم، فقال لهم: اذهبوا عني الدوخة وأنا أعرف صلاحي، فقال لهم الزقلوم: ها هي عندي بنت لا أرى الناظرين الخ. أرى = رأى، زقلوم = زغلوم (في بعض النسخ حسب بعض اللهجات).

(4) في (ج) واشترى خيمة وبنى بها بزوجته. وفي (ف) أنه استقر بزوجته عند بني همام.

(5) في (ف) أن الهمامة طلبوا من الهادف دفع ثمن المهر والخيمة لهم، فرفض.

قالوا: اللهم بارك، فبقي هنالك ما شاء الله، وتم له أربعة سنين.

فمر يوماً داخل خيمته، وإذا برجل واقفاً على بابها[1]. فنهر عليه فلم يجد عنده صواباً، ثم شكا إلى الجماعة، فقالوا له: إن كنت منا فنحن بوادي، فأتي إلى الإخلاط وقال لهم: انظروا إلى كلاب العشيرة[2]، يقفوا على باب خيمتي، قالوا له: اصبر حتى نعرفوا أنفسنا، فحدثته نفسه (أي الهادف) بقتل الرجل أو بشتم عرضه، فلا يجد ناصراً[3]، ثم جمع الإخلاط، وقال لهم: إن كنتم ما تحدثنا به سابقاً ما زال[4]، لا بد من الوقوف لدار العدول ويكتبوا عليّ وعليكم لأننا أخوة أولاد رجل واحد، قالوا: نعم، انطلقوا بنا إلى العدول ونكتب. قال: فانطلقوا فإذا بهم قد تحيّروا: ما نْسَمُّوا هذه الشرذمة، فكل أحد ينسب إليه، حتى قال لهم: سمّوا هذه الشرذمة فطناسة، فسموها وتم العمل[5].

فلما تم له أربعة سنين وثلاثة أشهر، طلب ابنه بلقاسم الزواج[6]. قال: يا بني، ما نزوجك في بيت عمود فوقها شعر ووبر، قال له: صواباً، يا أبت[7].

---

(1) الجملة في (ب) تختلف قليلاً وهي (فلما تم له أربعة سنين مرّ رجل بخيمته ووقف على بابها، فنهر عليه الهادف، فلم يجد عنده صواباً الخ).

(2) في (ب) كلاب العشرة.

(3) في (ب) فلم يجد صواباً عندهم.

(4) تعبير (ما بقا ما زال) ساقط من (ب). أي إن كنتم ما زلتم على ما اتفقنا عليه.

(5) أسقطت (ف) كل الجملة التي تبدأ (فمرّ يوماً داخل خيمته... إلى فسموها وتمّ العمل). والمعنى أن فطناسة هي هذا الخليط من الناس الذين التفوا حول الهادف.

(6) في (أ) و (ج) إلى التزوج.

(7) في (ف) زيادة وهي: أن الهادف قال لابنه سأزوجك قبل شهر في ظروف أحسن من هذه. وأسقطت عبارة بلقاسم الهادف في موافقة أبيه.

وصول الترك إلى تونس والهادف

فكان يوماً جالساً بوسط الناس، وإذا بخيول قد قدموا من تونس[1]، فقيل: هل وراءكم؟ قيل: إن الأشرف قد خرج له تركي من البحر فقلته. فقلنا له: ومن تولى؟ فقيل: مراد الابتر[2]، قال الهادف:/ هو حبيبي، وكانت [94] بيني وبينه قرابة. قالوا (له) الهمامة: أصله[3]، لعل الله يجعل لك فرجاً ومخرجاً. قال (لهم): نعم.

فركب جواده وأعطوه الهمامة فرساً فاسية ، وسار إلى تونس فبلغ إليه[4] وسلم على الابتر وقال له، بعد استقرار المجلس: ألم تعرفني؟ قال له: نعرفك، قال له: ألم تكن الابتر؟ أنا صاحب أبيك وهو محبي ونجتمعا[5] في المنزل، وتلعب عليَّ. وقلتُ لأبيك سيظهر من ابنك هذا رأي عظيم.

قال (الأبتر): الله أعلم لم يحدثني أبي بذلك، ولكن قم عندنا ولك ما تريد. قال خذ هذا الجواب هدية مني إليك، وصار يحدثه بكلام قديم وأخبار ماضية، والناس يتعجبون من كلامه وظرافة منطقه حتى عطل الناس في الكلام والسلام.

---

(1) في (ب) قدموا من البحر. فكان = أي الهادف.

(2) في (ب) وإذا بخيول قد قدموا من البحر فسألناهم فقالوا لنا: الأمير مات وتولى مراد الأبتر. ولعل المقصود بالأمير الميت السلطان الحسن، ومراد الأبتر المقصود به خير الدين أو الحاكم التركي عموماً. وقد جاء خير الدين سنة 935 (1528) على رأس حملة إلى تونس، فهرب السلطان الحسن، ثم استنجد بشارل الخامس فأعاده إلى العرش. يذكر تعليق (الفيرو) في (ف) أن المسلمين عندئذ كانوا يكنون عن الأتراك بمراد، والفرنسيين بلويس، والإسبان بألفونس.

(3) اصِلْه = صِلْه.

(4) في (ب) فلما بلغ إلى الأمير الأبتر وقال له الخ.

(5) ما بين القوسين من (ب) أما (أ) و (ج) فقد جاء فيهما ما يلي: (أنا صاحب أبيك، لأنني صبي، وأنا مع أبيك في المنزل).

(قال الراوي)[1]: وصار الأمير لا يسمع لأحد غيره، وكان يوصيه ويقول إفريقية امرأة[2]، ساعد ووافق العداية[3] في مرادهم يحصل (لك) العز والهناء الدائم، هذا آخر جوابي إليك.

قال (الأمير) لملكه: بَالْحَق هذا صاحب والدي؟ ما دلني على هذا أحد ولا مثله، والأبتر يقول له: هذا كلام حسن عِيدْ حديثَك، فهو صواباً مما تسمعه العقلاء ويتلذذونه.

قال الراوي: ثم أحضر الطعام فكفّت الناس أيديهم، ولم يأمر أحد إلاّ هو، أكل الطعام وشرب. وقال له: أنت رفيقي (وصاحب أبي)[4]، وإن أحببت المقام عندنا فنجعلك وزيراً. قال له: إن شاء الله.

قال: فلما كان بعد خمسة عشر يوماً ينام عنده ويحدثه ويوصيه ويقول له (الأمير): ما أنت إلا ناصح، صاحب أبي بَالْحَقْ.

تعيين الهادف على الجريد

قال (الراوي): فطلب (الهادف) منه الرجوع، فقال الأبتر: أين مقامك؟ قال[5]: جولانا نختار في البقاع نسكنها (فقال له الأبتر: أسكن الجريد فهو خالي من الرأي، وأنت تصلح، فكن فيه حتى نشتغل بك)[6].

قال له الأبتر: كف يدك ولسانك حتى يأتينا وعد الله، فأعطاه حلة

(1) زيادة من (ب).
(2) في (ف) امرأة حامل.
(3) العداية في التقاليد الشعبية: تطلق على تجار الإبل أو على سماسرة الحيوانات. وقد ذكر تعليق في (ف) أن أهل بادية جنوب تونس هم خليط من العداسة، والهوارة، والزناتة، والزواغة الخ.
(4) زيادة من (ب).
(5) في (ب) قال جولاني = جوال.
(6) ما بين القوسين ساقط من (ب)، وفي (ج) حتى نشتغل به.

[95] مقومة بألْفَيْ[1] درهم ذهباً، وأعطاه الحرمة/ والاحترام، حتى من قَتَل وهَرَب تحت جناحه مُنِعَ، ولو شابـي[2].

فانطلق (الهادف)، حتى بلغ بني همام فسلموا عليه فرد عليهم السلام، قالوا له: كيف تركت الأمير؟ قال لهم: بخير (ولكن أعطاني حلة وحرمة)[3]، وفوض لي على أمركم وأنا واحد منكم، ولكن كونوا تحت طاعة الأمير تكونوا فايزين[4] على جميع الناس. قالوا: حباً وكرامة، فبقي صاحب رأي وحرمة. ثم بدا له أن يسكن القرى، فقال: لا أسكن، البوادي للرعاة وأنا ليس منهم، أنا رجل مليح الخلق باه المنطق نجعل فوق رأسي عمود شعر أو وبرا[5]!.

ثم ودّع بني همام وجماعة فطناسة وقال (لهم): نريد أن نكون عند الأجرى بن عمر القفصى. قالوا له: لا نطيق فراقك. قال لهم: ها أنا قريباً أن احتجت[6].

وسار طالب قفصة، ودخل على الأجرى، فوجده، وجلس عنده وشاع خبر الهادف في إفريقية وعمالتها. فأخذ (الأجرى) بخاطره وبقي عنده في أحسن حال، فمرض ابنه وزوجته تبر، فخاف ابنه.

فأتى إلى سيدي يحيى يستشره في البقاء والانتقال، قال له: يا بني البارحة رأيتك بالجريد أميراً عليهم، أنت وذريتك، فانطلق إليهم[7] قبل أن يدركه غيرك، وكن على حذر من الشابـي، وأنت الغالب عليه.

---

(1) في (ج) و (ف) بألف درهم.
(2) في (أ) من قتل وهرب تحت جناحه ما قتله ولو شابـي لمنعه.
(3) ما بين القوسين زيادة من (ب).
(4) في (أ) و (ج) فايضين.
(5) في (ج) فوق رأسي عمود يحمل شعراً ووبراً. باه = باهي.
(6) احتجتُ = احتجتم.
(7) في (أ) و (ج) وانطلق إليه.

قال (له): سمعاً وطاعة، ثم أعطاه (الهادف) عشرة دنانير، فردها عليه، وقال: خذ مالك فاعطيه لغيري.

قال الراوي: فأخذ رأيه في الانتقال، وحمل أهله وخرج في الليل سايراً، ما طلعت الشمس إلا وهو[1] بتقنيوس، فلما وصل إليها سأل رجل عاقل: أخبرني ما خير الجريد؟ قال له: يا شيخ ما أغباك! ألم تعلم أن الله خلق أربعة مدن للجنة وأربعة إلى النار وأربعة لخيار المسكن؟[2] قلت له: أنا رجل بدوي، حذرني وأنذرني ـ جزاك الله خيراً ـ.

قال لي[3]: غَرِّبْ. قلت: نفطة؟ قال لي: سوف خير من نفطة يا قليل[4] الصواب، عليك بتوزر.

انتقال الهادف إلى توزر

قال الهادف : فانطلقت إليها بعدما سألته/ كيف أدخلها وعلى [96] أي باب؟ وماذا أقول في دخولي؟ وأين أقعد؟ وأي شيء أفعل؟ فقال: إذا وصلتها ادخل من (ناحية طريق)[5] تقينوس وادع: اللهمّ[6] دخلت هذه البلاد، فاجعل لي فيها فرجاً ومخرجاً. واقصد سيدي

(1) في (أ) و (ج) (وخرج في الليل قبل طلوع الشمس هو بتقيوس الخ). وفي الإدريسي (تقيوس). وتقيوس مدينة بين الحمة (الحامة) وقفصة.

(2) في (ب) المساكين.

(3) في (ب) قال له.

(4) عبارة (يا قليل الصواب) ساقطة من (ب)، وأسقطت (ف) كل الجملة التي يتحدث فيها المرابط يحيى عن المدن، وأوردت مباشرة خبر وصول الهادف إلى توزر.

(5) زيادة من (ب).

(6) العبارة من (ب)، وفي (أ) و (ج) وودع إليهم دخلت الخ. واسم المكان هو (تقينوس) في (ب)، وأسقطت (ف) كل الجملة الدعائية وما قبلها في كيفية دخول توزر، إلى أخبار الهادف عن نفسه أنه دخل توزر، وهو قوله (فانطقلت حتى بلغت توزر الخ).

أحمد[1] الغوث وقل له يدبر عليك. قلت له: زدني، قال له: يا شيخ بعثك صالح إلى بلاد توزر، ما[2] بعثك محمد بن عقيبة، عرف[3] أبو بكر، وبعدها نـادوت[4] أهلها قال (له الهادف)[5]: حباً وكرامة.

قال الهادف: فانطلقت[6] حتى بلغت توزر، ودخلتها فوجدت شيخ البركة أحمد الغوث، فسلمت عليه فرد علي السلام، وقال لي: مرحباً بك، أتيت بلادك، فقلت: ببركاتك، إن شاء الله.

قال: وكان معي[7] مائة ألف دينار فوضعتها عنده، فحملها وقال لي: بهذه تملك أولادي وتبيعهم عبيد[8]، قلت: حاش الله! قال لي: لا بد، لكن أحسنْ في أولادي أحسنْ في أولادك، أمَا سمعتَ قوله تعالى: وكان أبوهما صالحاً، إلى سبعة أجداد.

قال الهادف، فقلت له: خذ هذه الفرس هدية مني إليك، وخذ هذه الحلة لبركتك لكي تمنّ علي بدعوة خير. قال له الشيخ (أحمد الغوث): قبلت الفرس. واجعلك عالياً وغالياً في الأثمان، واعطيني حلة فأنا ملك[9] توزر، خذها فهذا ثمنها طولاً وعرضاً.

---

(1) في (أ) و (ج) محمد، لكنه بعد قليل سيذكره أحمد، وهو في (ف) أحمد.
(2) في (أ) فما.
(3) في (ب) لقب.
(4) في (ب) (وجبة) بضمير المخاطب: نادوك، وفي (ج) أو بو أبكر بعدما نادوت أهلها.
(5) زيادة من (ب).
(6) في (ب) بضمير الغائب: فانطلق حتى بلغ الخ.
(7) في (ب) وكان مع الهادف... فوضعها عنده الخ.
(8) في (ج) بعيداً.
(9) في (ب) أعطني الحلة فإن ملك توزر لثمنها طولاً وعرضاً، وفي (أ) خلة، وفي (ف) حلة.

الهادف وأحمد الغوث

ثم قال لي: يا لهادف بشرط. قلت له: وما الشرط؟ قال لي: عليك بأولادي، اقسم الأرض بينك وبينهم، فربما[1] تحتاجوا ذريتك إليهم، قال الهادف: زدني، قال لي: أولادي هم قلبها، قلت له: سبحان الله يا سيدي أحمد، أولادي يخْدِمُ أولادك، قال لي: يا بني يقع ولا شك. قلت: بأي[2] دليل؟ قال له: والله لأني أنظر في حال أولادي وأولادك وأذِيَّتِهم.

قال (الهادف): من يؤذيهم؟ قال لي: يؤذيهم صاحب الغرب ويغبنهم، ويبيعهم ملكهم، ويشتريه بثمن رخيص ولا ناصر لهم، قلت: زدني، قال لي: يا لهادف يبيعوا أولادك أولادي ويَسْبُونهم عبيداً/ وأنا أجزع عليهم، [97] قلت له: زدني، قال: أنظر. قال الهادف: أنملك هذه البلاد؟ قال: نعم. قلت: هل لي من خوف فيها؟ قال لي: يخافو منك ولا تخاف منهم. قلت: إنْ مَلَكْتُها، هل لي من منازع؟ قال لي: لا ينازعوك فيها أحداً إلاّ طائفة من المغرب[3]، وأنت الغالب عليهم.

قلت له: إنه بقي في قلبي شيئاً، ما علامة ولدي الذي يؤذي أولادك؟ قال لي: لا تسأل، فقلت له: لا بد. فقال: رجل أبيض اللون، أزعر الوجه، باهت العينين، رقيق الساقين، أشهل العينين. قلت له: والله لو وجدت هذه السيمة في بلقاسم لقتلته. ولكن أمر الله غالب. قال، قلت له: أبْغِي أشتري داراً بقرب دارك؟ فقال لي: يا مسكين لا تشتري بقربي فإن المُلْكَ ربما يطول وتتجلى على الناس، فيؤذوا أولادي، باعِدْ عني! وأنا قريباً إن قبلت شرطي[4]، وإلا فَتَوَقَّ حالك، وقد انفسخت وانحلت العقدة بيننا.

---

(1) (ربما) ساقطة من (ج).
(2) في (أ) و (ج) بأمر دليل.
(3) في (ب) من الغرب.
(4) العبارة في (ب) هي وأنا قريباً شرقي وإلا فتوت حالك. وفي (ج) وأنا قريباً إن قبلت شرطي وإلا فتوف والجملة ساقطة في (ف).

قلت: هَاهُ زين مرزوق الزهاني يبيع حوشه، قال لي: هو ورائي، وأظن لا يبقى ورائي أحداً إلا الفيافي والذيان والرمال تعلو منزلي. قلت له: أشر علي. قال لي (الشيخ): توزر في الزيادة فدار تبني غرباً تخرب دار شرقاً، فإذا كنت أنا شرقيها فاعلم أن توزر لا بقي لها زيادة بناء، والله أعلم[1].

قال/ (الراوي): فاشترى دار زغلوم بن عبد الله، وكان هو عبدا بني عبد الدين، بأربعين درهماً فبناها وأعمرها، فلما تم بناؤها ذبح ثوراً وبعث إلى السيد أحمد[2]، وقال: لا بد أن تأتي منزلي وتَدْعِي له بالبركة، فأجابه وقال: أنا مشغول، وقد زارني فقراء نحو ثمانون نفساً، وقد ضاق عليَّ بهم الحال. فقال الهادف: والله إلا أنا قطعة من جسدك، اصرفهم لي كلهم. فقال (له السيد أحمد)[3]: سبقتْ لك دعوة ربانية. قال[4]: ما هي؟ قال: أَعَنْتَني بأربعين، أَجعلُ من أولادك أربعون رؤساءَ قومِهِمْ إذا دافعوا[5] على صلاح أولادي وعدم أَذِيَّتهم. قال الهادف:/ أرضي الله وأرضيهم[6] ومن يتولى [98] بعدهم؟ قال لَي: إن الولاية لا تدوم لأهلها، إن كنت تكرهًا فإن الأُولَى واغرسْ من فعل الخير غرايس، فإذا تُعَزلْتَ فإنها لا تعزل.

---

(1) كل الحوار حول مكان الدار بين الهادف والمرابط أحمد الغوث أهمله (ف)، فليس فيها اسم: زين مرزوق الزهاني، واكتفت بذكر زغلوم دون إكمال اسمه: زغلوم بن عبد الله، وكان عبداً لبني عبد الدين الخ.

(2) في (أ) حمد.

(3) زيادة من (ب)، وقد أسقطت (ف) أيضاً كل الحوار بين الهادف والغوث من كلمة: (فأجابه) إلى (فإنها لا تعزل الخ).

(4) في (أ) قالوا، وكذلك في (ج).

(5) في (أ) و (ج) عبارة غير واضحة، فأخذناها من (ب) وهي (أنا دافع على صلاح أولادي)، الخ. وفي نسخة الشيخ التليلي (إذا أعانوا على صلاح أولادي).

(6) في (ب) (أرض الله واسعة وأذوهم الخ). وفي (أ) و (ج) أرضوا الله وأذوهم الخ. وفي نسخة التليلي أرضي الله وأرضيهم الخ.

وفاة الغوث ثم الهادف ومصير أبنائهما

قال الراوي: وبقي الهادف حيث ما وجد ضيافة عند شيخ البركة إلا وقبضها. وصار كذلك حاله، وتم له من العمر ثلاثة وثمانون[1] سنة، فلما كبر وصار في حالة العجز يرسل ابنه بلقاسم إلى شيخ البركة[2]. فمات سيدي أحمد (الغوث). وبقي الهادف يحسن في أولاده وأخذ بوصيته.

فلما كان أتى زوجتَه الوجعُ فولد بولد فإذا هو إلى ابن سيدي أحمد[3]. فقال له: سميه على أسماء علي، يبارك الله فيه وفي ذريته إلى يوم القيامة.

قال الهادف إلى سيدي علي بن أحمد: لي اليوم ولدان. فقال له: أما علي ابنانا ففيه البركة وبلقاسم من غيرنا[4]، ثم حملته أم علي إلى أن وضعته بين يدي سيدي علي بن أحمد. فقالت: هذا ولدك (فوضع يده عليه ودعا له، وقال: اللهم بارك له في ماله وأولاده)[5] حتى يرث مدينة توزر وعملها، وعلّى شأنه على مدينة توزر، واجعله اللهم مقبول المقالة ويُظْلَم ولا يَظْلِم[6].

فلما تم له خمسة سنين توفي الهادف مريض، ودفنوه عند قبر الشيخ،

---

(1) بناءً على (ف) فإن الشيخ أحمد الغوث هو الذي توفي عن 83 سنة. ولكن سياق النسخ الأخرى يدل على أنه الهادف، رغم أن النص سيذكر أن الهادف توفي بعد خمس سنوات من ميلاد علي.

(2) من (وصار إلى البركة) جملة معناها واحد في (أ) و (ب) لكن فيها تغير في الألفاظ وتقديم وتأخير.

(3) سيدي (حمد) بدل (أحمد) في عدد من المرات ـ في (أ) وكذلك في (ب). وفي الجملة غموض.

(4) أي أن أخوال بلقاسم ليسوا من أهل البلاد (بل من الحنانشة)، كما سبق.

(5) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(6) في (أ) و (ج) تظلم، وفي (ج) المقابلة بدل المقالة. والحوار السابق حول الولد (علي) كله ساقط من (ف).

وقد اغيبوه[1] خوفاً عليه من الحر، وفي قصة العُرْج تأتي[2].

قال الراوي: فأحضر سيدي علي، وكان الولاية يومئذٍ إلى بني عبد الدين ولولد بيعة[3] بن زكرياء بن عبد القادر، ولسعد العرجي (من) قبيلة يقال لهم العُرْج. وكانوا على عهد النصارى ساكنين طرفة إفريقية[4]، ولمعمر بن نصر بن خليفة[5] بن عمار بن زعلان، أبوه كوك بن لؤي بن كعب بن جابر عرفة بن ساعد اليربوعي، من أخلاط عرب اليمن.

فلما حضرت الموتُ الهادف قال: يا سيدي علي، أوصيك على أولادي عمالك وعلى أولادك[6]، ولكن عندي من المال ومن الجدار[7] ما أفعل؟/ [99] قال له (علي): أنت أَنْظَرُ في حال أولادك. قال (له): والله أعلم بلقاسم كبير (يحب الجدار)[8]، أعطيه جميع جداري. قيل له: وما عندك من الجدار؟ قال: أقفالي[9] الكبرى والصغرى، وغدير عمود، وبركة النجار،

---

(1) كذا في (أ) و (ب)، وفي (ج) اغيبوه، وفي (ف) أنهم فعلوا به ذلك خوفاً من أن يصبح في المستقبل مثاراً للفتنة. وفي نسخة التليلي خوفاً عليه من الحرق.

(2) في (ب) كذا تأتي في قصة العرج.

(3) في (ج) وفي نسخة التليلي ولولد تبعة زكريا، ولعله (ولد ريغة) الذي سيأتي ذكره، وفي (ف) ولأبناء زكريا بن عبد القادر، ولسعد العرجي من قرية يقال لها العرج.

(4) في (ف) وكانوا على علاقة بالمسيحيين المستوطنين في أطراف إفريقية، وعلق (فيرو) على ذلك بأنه يظن أن المقصود بالنصارى هنا هم الصقليون الذين كانت لهم منشآت في هذا العهد على الساحل الإفريقي.

(5) في (ب) وكذا الولاية لمعمر ابن خليفة (بحذف اسم ابن نصر). أما (ف) فقد أسقطت كل هذه الأسماء ابتداءً من معمر بن نصر، وكذلك كل الحوار إلى ذهاب بلقاسم إلى صاحب تونس، عندما (قال الراوي: فلما جلس بلقاسم مع الأبتر حدثه بولاية توزر) وهو حذف طويل وأكثر من صفحتين.

(6) في (أ) عمالك وصية على أولاد. عمالك = ولاة أمورك.

(7) يعني بالجدار الأملاك عامة. وفي نسخة التليلي: (ما أفعل به؟).

(8) جملة ساقطة من (ب).

(9) في (ج) (أنفالي) بدل (أقفالي) وفي (ب) أقفال.

وأرض الصافية، والسانية، وجرّ بني امزاب[1]، ومغسل الصوف، وأعطيه عشرة آلاف دينار.

قال: وعلي أعطيه باقي المال، وهي تسعون ألف[2]. (أما المال مائة ألف دينار)[3]. قال لبلقاسم: كُونْ من أولاد سيدي أحمد ببال، ولا تترك منهم فاضل[4]، ولا تقول هذا مالي حظاً، إياك! إياك!.

قال الراوي: (تمّ خبر الهادف)[5] بتمامه، فبقي بلقاسم صاحب جدار[6] يعمل فيه بنفسه وعبيده.

تولية بلقاسم الهادف على توزر

ثم احتاج صاحبه به (وهو الأمير)[7] فبعث إلى الهادف، فقالوا له: توفي - رحمة الله علينا وعليه -، فبقي ابنُه، فمضى بلقاسم إليه فوجده جالساً مع أصحابه، فقال له (الأمير): أنت ابن الهادف؟ (قال: نعم) قال: أريد أن نوليك على توزر لأن لك مالاً ووالي توزر لا مال لهم، قال له: بأي شيء؟ إن كان المال لم توجد العصبة، قال: اقبلها وأنا عصابتك، والذي تفعله نجيزه، فقضى مآربه.

فلما رجع إلى أهل توزر، قيل له: ما وراءك من الخبر؟ قال: إن الأمير ادعى أنه أودع مالاً عند أبي من مال الأشرف[8]، ووجد خط يد أبي في

---

(1) في (أ) و (ج) جرّ بني أمزابي.
(2) بين (أ) و (ب) تقديم وتأخير قدره ثلاثة أسطر، لكن المعنى واحد.
(3) ما بين القوسين زيادة من (ب).
(4) فاضل = مهمل.
(5) في (أ) و (ج) توفي خبره بتمامه. توفي = تمَّ.
(6) في (ب) (وعلي صاحب مال) بعد كلمة (جدار). وجملة (يعمل فيه بنفسه وعبيده) ساقطة من (ب).
(7) زائدة من (ب) أي صاحب تونس أو من ينوب عنه.
(8) في (أ) أنه أودع أبي مال الأشرف.

الخزنة فطلبني به، فقيل له: ما صنعت معه؟ قال: هذا أمير وأنا رجل غريب وحيد، قالوا: ما قلت إلا الصواب، هكذا شأن العقلاء لأن أباك الهادف.

فلما سمعت زوجة أبيه وأخيه علي[1] أتوه وسألوه عن حاله مع الأبتر، قال لهم: ما سمعتموه (هو) الواقع، قالا (له): الصبر لله، ثم قال لهم: يا زوجة أبي وأخي (علي)[2] قد جعلت للوزير رجب والساعدي بن امحمد[3] بعشرة آلاف دينار ذهباً، قالوا له: لو شئت هذا نعطوه (وحدنا)[4] ويتركنا في أرضنا/ [100]، قال لهم: أعطوه عشرة آلاف.

قال الراوي: فلما جلس بلقاسم مع الأبتر حدّثه بولاية توزر، قالوا له: هذا أمر لا تستطيعه، ولكن أدبّر عليك بمشورة: إذا نزل القايد بتوزر يشدّد عليهم في الخلاص، فإذا شدد عليهم عجزوا، فإذا عجزوا فيجعلني لهم[5] قايد، ويقول لهم: إما أن توفوا لي ما عليكم من الوظيف عاجلاً وإلا ترفعوا أيديكم على الولاية، فإذا كان (الأمر)[6] كذلك يكونوا الأمر من غير عيب، لأنهم أهل[7] عصابة وأنا قايد، قال الأبتر: هذا هو الصواب.

فلما رجع إلى توزر ـ كما قلنا ـ لحق في أثره القايد، وأتى على عادته، فلما كان بعد ثلاثة أيام طلبهم في الوظيف، قالوا: سمعاً وطاعة! فقال لهم: لا بد من اليوم وعداً[8] وإلاّ ها أنا نرحل[9]، وبينكم وبين سيدكم، لأنه هكذا أمرني. قالوا: هذا أمر قد طرأ فلا نعرفوه منك ولا من سيدنا. قال: لا بد.

---

(1) في (ب) زوجة أبيه وابنها علي، وهو الأوضح.
(2) (علي) زيادة من (ب). المعنى: يا زوجة أبي ويا أخي علي.
(3) في (ب) الساعد بن أحمد.
(4) زيادة من (ب).
(5) (لهم) ساقطة من (ب).
(6) زيادة من (ب).
(7) كلمة (أهل) ساقطة من (ب).
(8) في (ب) وغداً.
(9) كلمة (نرحل) ساقطة من (ب).

فاجتمعوا المتولّيّن الأربعة ونظروا في أحوال القايد، فلم يوافقهم صوابه، قالوا: نرسلوا إلى الأبتر ورقة بمساعدة القايد إلينا، فبات أمرهم على ذلك.

قال (الراوي): فأرسلوا إليـه فأجابهم: ما عندي إلاّ ما عند القايد. فلما سمعوا ذلك، قالوا: كلُّه من ابن الهادف!.

فبعثوا له رجلاً، فأتاهم قالوا له[1]: ما بلغك من الرأي؟ قال لهم: أتسألوني عن أمر لا ندرك[2] حقيقته ـ يرحمكم الله ـ! قالوا له يومئذٍ: إن كنت أنت تريد هذه المنزلة فأنت اليوم صرت واحداً منا، وإن كان غيرك فدبّر وإلاّ ليبع لنا ما طلبه.

قال لهم: ما عندي مال، أنا رجل ربيب، المال، فقد فازت به زوجة/ [101] أبـي، وأنا واحد منكم، فنظروا فلم يجدوا صواباً عنده.

ثم أرسلوا[3] إلى زوجة الهادف وابنها علي[4]، (وقالوا لهما)[5]: احتجنا إلى شيء من المال للقايد، ونريد منكما أن تعاملنا به.

فقالت: أنا أمُّ صبـيّ لا شجرة عندي ولا بيع ولا شراء، ولكن اقصدُ الكبير صاحب المال والتجارة.

(قال الراوي؟): فلما سمعوا منهم ذلك أيسوا من معاملتهم)[6]. ثم أتى زكرياء بن عبد القادر للقايد، وقال: أشهد علي قد خرجت نفسي من قربكم، ثم أتى معمر بن زعلان، وقال للقايد: خذ أمر سيدك فقد تبرأت

---

(1) في (أ) العبارة تختلف، وهي: فبعثوا له رجلاً، قال: فلما وصل إليه أتاهم فقالوا، الخ...

(2) في (ب) عن أمره، لا ندرك حقيقته.

(3) في (أ) فنظر فلم يجد... ثم أرسلنا الخ.

(4) في (ب) إلى زوجة أبيه وأخيه علي.

(5) زيادة من (ب).

(6) ما بين القوسين ساقط من (ب).

منكم، اختارْ مَنْ يعجبك ولّيه بموضعي، ثم (أتى) خميس بن سالم بن علي بن عمر الكبير بن عبد الدين[1]، فسلموا وطلبوا السلامة[2].

فلما فرغوا من ذلك قال لهم القايد: كونوا على رؤوسكم حتى نرسل إلى الأبتر، وما أدري برأيه، فأرسل إلى تونس، فأتاه، فقال: من طلب الراحة[3] فأرحه ومن طلب منك اتركه، وخذ ما وصيتك وفيه كفاية، والسلام.

قال (الراوي): فلما بلغ إلى القايد (أمر سيده)[4] قال: يا أهل توزر، فإن بلادكم بقيت[5] من غير أمير، اطلبوا عمارة بلادكم. فقالوا بأجمعهم: ما نعرفوا هذا. ولكن الولاية منك والعزلة منك وسيدك أمامك. قال: بَالْحَق، ولكن انظروا إلى صالح[6] قومكم فنوليه عليكم، قالوا: انظر أنت. فقال لهم: نولي عليكم عمارة[7] بن بكير؟ قالوا: لا يصلح فإنه رجل أحمق. فقال: نولي عليكم عبد الوهاب من بني عبد الدين؟ قالوا: لا يصلح لأنه صاحب نسوة والمتولي طاهراً، قال: نولي عليكم العرجيي وحده، قالوا: هو رجل حسن ولكن من قبيلة أخرى، قال[8]: أنتم ثلاثة فِرَقٍ لم نجد فيكم من نوليه عليكم.

---

(1) في (ب) ثم أتى خميس بن سلم، ثم علي بن عمر الكبير ثم عبد الدين. وعليه يكون عدد المستقيلين من الخدمة الرسمية خمسة، بينما المدينة مقسمة على أربعة، كما سيأتي.
(2) في (ب) وطلبوا أنفسهم.
(3) الجملة في (ب) مختصرة وغير وافية فهي هكذا (فأرسل إليه فبعث إليه فقال: من طلب الراحة وخذ ما وصيتك به، فيه كفاية). على رؤوسكم = انتظروا.
(4) زيادة من (ب).
(5) كلمة (بقيت) ساقطة من (ج).
(6) في (أ) صلاح.
(7) في (ج) عاتي بن بكير.
(8) في (أ) قالوا.

قال (الراوي): فلما سمع منهم العجز وقِلّة الصواب[1] قال: ربما نولي عليكم غيركم فيكون العار عليكم، قالوا: لا تُولّي علينا صاحب/ عصابة [102] بلادنا، قال: لم نجد من هو يصلح وفيه إخلاص الذي قلتم ورأيه محمود إلاّ بلقاسم بن الهادف[2] وما أظنه يقبلها، فإنه رجل تاجر والولاية تشق عليه[3]. ما عندكم من الرأي؟ قالوا: لو نجدوه لكان خيراً لنا لأنه رجل غريب، ويساعدنا في أحوالنا، (لأنه رجل قليل العصابة)[4].

قال القايد: أرضيتم به؟ قالوا: رضينا به. قال لهم: انصرفوا[5] إليه. فبعث له فأتاه، فقال: يا بلقاسم نريد أن نوليك على ثلاثة أرباع من توزر، ما عندك من الرأي؟ فقال: هذا أمر لا نسمعه ولا نرضاه. لأني صاحب تجارة وعندي سواني نشغل فيها بنفسي، والولاية لا تسمع ذلك، فقال القايد: لا بد، فقال: هذا أمر بعيد[6]. ثم أمر القايد بضربه وحبسه فقال (له بلقاسم): لو قطعت جسدي[7] ما رضيت بها أبداً.

قال الراوي: فبعث القايد إلى بني عبد الدين وإلى ولد ريغة وإلى بني زعلان: انصرفوا إلى هذا وأطيعوه[8] وبايعوه، فإذا نظركم على هذه الحال

---

(1) في (ب) والتقصير (بدل عبارة وقلت الصواب).

(2) في (ب) قال من يصلح بكم وفيه خصال الذي قلتم ورأيه محمود إلاّ بلقاسم بن الهادف، وفي (ف) من هنا إلى عدة صفحات، أي كل ما يتعلق بقصة المرجى والخلاف بينه وبين بلقاسم ورأي صاحب تونس ومؤامرة القضاء على المرجى وجماعته، كل ذلك ساقط، أي من ص 102 إلى 107 من المخطوط، وتستأنف (ف) عند الحديث عن نقطة.

(3) في (أ) تشق له.

(4) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(5) في (أ) قالوا رضينا به، انصرف إليه.

(6) في (ب) فقال له بلقاسم لا نقدر على ذلك.

(7) في (ب) جسدي أطرافاً. وما بين القوسين زيادة منا.

(8) في (ب) تختلف الجملة، وهي انصرفوا إلى بلقاسم، هاه في السجن وأطيعوه وبايعوه فإذا نظركم في هذه الحالة يطمئن قلبه ويذهب عنه الخوف...).

اطمأنَّ قلبه وذهب عنه الخوف، لأنه رجل فريد، وأنا اخترته لكم فيساعد أحوالكم، وكان ذو مال فلا يشتغل بكم.

قال (الراوي): فانطلقوا إليه وكلموه، فقال لهم: أنا رجل غريب[1]، وربما تتعصبوا[2] علي بقوتكم، فحيث ما رأيت فيكم هذه الحالة أتبرأ[3] منكم قالوا: لا عليك، وكتبوا له البيعة، وجعلها في مكتوبه[4]، وفوض له القايد أموره، وتم عمله على ذلك. ثم أتي القايدَ، وقال: ما على هؤلاء أصحابي؟ قال له: سبعة آلاف ونصف، فأخرج له كيسه وأعطاه (العدد المذكور)[5].

قال (الراوي): فلما نظر القبائلُ، قالوا هذا الذي يصلح بنا، ثم قال لهم (بلقاسم): يا قوم من لم يجد اليوم فإلى العام الآتي، فرضوا وفرحوا به.

العرجي وبلقاسم الهادف

وأما ما كان من خبر العرجي[6]، فإنه أعطى من عند نفسه وخلف بعد أيام على رعايته[7]. فقضى القايد/ مآربه وانصرف إلى تونس وبقت البلاد [103] المتولى عليها بلقاسم بن الهادف. وكان الأمر كما قلنا.

قال (الراوي): فكان الابتر يبعث مراسله إلى بلقاسم. ولم يذكر فيها العرجي، فغضب لذلك وقال: يا عجباً رجل وحده! انقرضت الولاية، وكان عنده[8]. قال (الراوي): وصارت جماعة بلقاسم

---

(1) في (أ) أنا رجل قايد. وكذلك في (ج).

(2) في (ج) تنغصوا علي.

(3) في (ج) (ما تبرري)، وفي (أ) و (ب) ما تبرأ. مُتَبَرّى = بريىء منكم.

(4) أي في جيبه.

(5) زيادة من (ب).

(6) في (أ) و (ج) العرجة. ومعنى الجملة (فإنه أعطى إلخ): أن العرجى قد دفع ما عليه بنفسه ـ دون الهادف ـ ثم جَبَا رعاياه.

(7) في (ب) وفرقها بعد أيام على رعايته. وفي (أ) رعاوته.

(8) في (ب) انفرضت له الولاية له. وعبارة (وكان عنده) ساقطة من (ب).

يتعجزون[1] على جماعة العرجي[2]، ويقولون بلقاسم أعطي علينا، وصبر علينا إلى عامين أو ثلاثة أو حتى نبيع ما عندنا.

ثم قالوا جماعة العرجي: افعل بنا (مثل ما فعل بلقاسم)[3] وإلاّ أنت بعيد منا. فغضب لذلك وقال في نفسه: هذا إن لم نقتله خرّجنا من أرضنا وذلل عزيزنا[4].

قال (الراوي): فلما جن الليل أمر ابنه وعبده وهو بنفسه، وسألوا عليه أين يرقد؟ فقيل في الموضع الفلاني، فهجموا عليه فلم يجدوه لأنه قد أخبره عبده، نصر، لأنه متزوج أَمَةَ العرجي، فأخبرته الأمة قائلة له: لا تنام من حيث عنه تنام، فإنه يقع الليلة أمر بتوزر.

قال: فلما سمع (نصر) بذلك قال: هذا الأمر إلاَّ على سيدي، فحذر سيده بذلك[5]: وغفل (بلقاسم) عن فعل العرجي، ولم يحدثه به أحد. إلى أن قدم القايد العام القابل، فرجاً[6] القايد إلى أن يأتيه بلقاسم ويسلم عليه فلم يأته، فسأل عنه فقيل هو بخير، فبعث إليه خديمه فوجده نائماً، فقال له: القايد يدعوك، وهذه الغفلة لا تصلح بك.

فقال: بالحق، ندرك حقيقة المخزن والأدب معه، ولكن خشيت أن نجتمع مع العرجي فيقتلني لأنه صاحب عصابة وأنا فريد وحدي، فرجع الخديم بهذا فبلغه (لسيده)[7]، فقال: حاش لله ما أنا بفاعل! ولو نسمع بأحد

---

(1) في (ج) وكان جماعة بلقاسم يفتخرون.

(2) عبارة (يتعجزون على جماعة العرجى) ساقطة من (ب).

(3) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(4) عبارة و (ذلل عزيزنا) ساقطة من (ب). العبارة التي قبلها مختلفة لفظياً مع ما في (أ).

(5) الجملة التي تبدأ (فإنه يقع إلى بذلك) فيها تقديم وتأخير بين (أ) و (ب) ولكن المعنى واحد.

(6) (رجا) أي انتظر.

(7) زيادة من (ب).

من أهل القرية لوجب عليه القصاص. فسأل (عنه) فلم يجد مخبراً عن هذا، فبعث له القايد وقال: اليوم السيد الأبتر ما عنده خادم ناصح إلاّ أنت، ولكن افعل فيه[1]/ [104] رأيك وأنا قائم ها هنا.

قال[2]: لو كان سيدي هنا لأمرني بما هو في قلبي. قال القايد: أنا قد أوصاني عليك، وأنا العاصب عليك، قال: أتقبل قولي؟ قال: نعم، قال: خرّجه من أرضنا وأنا تارك له فيما صنع. قال له القايد: اخرج من هذه البلاد وحدك، قالوا جماعة (له): ونحن معه، فأخذت القايد الدوخة[3] في وظيف سيده، فسمع بلقاسم، فقال (لهم): من أحب يقعد (مرحباً به)[4] ومن أحب الخروج معه فليخرج.

خروج العرجي وجماعته إلى تامغزة

فخرج العرجي ومعه مائة وثمانون رجلاً ونزلوا على قرية تامغزت[5] وأُعْطِي بلقاسم وظيفهم، وبقت البلاد كلها تحت يده.

قال الراوي: فبقي على ذلك، وكان رجل من قوم العرجي قد ترك بضاعة من المال عند سيدي أيوب النوي[6]، فأتى إليه بالليل لكي يحملها، فعثر عليه عبيد بلقاسم فقبضوه، فقالوا له: ما أتي بك هنا يا عدو الآباء، ما أتيت إلا لتعلم غِرّة بلادنا، فضربوه وفكوا له جميع ما عنده نحو مائة درهم ورجع خائباً.

فلما سمع العرجي بذلك أخذ خيله وشنّ الغارة على توزر فلحقوه

(1) أي العرجي.
(2) يعني بلقاسم. وسيدي = الأبتر.
(3) يعني الحيرة والارتباك.
(4) زيادة من (ب) وكذلك لفظ (له) و (لهم).
(5) في (ج) تامغزة، وفي (ب) تمغزة.
(6) في (ب) سيد أيوب النوري.

أهلها، فلم يجدوه، وقد أخذ معزها.

ثم أمر بلقاسم كل من له معزة فليبيعها وإلا إبقوها دخلة في البيوت(1)، حتى نطلعوا إلى الأبتر، ففعلوا ذلك، وصار العرجي كل يوم يفعل هكذا، وتارة يقبض الأسلاب وتارة لا، حتى بلغ الخبر مراد الأبتر(2).

فأرسل إلى بلقاسم: لا بد تأتيني على سرعة، فانطلق(3) إليه فلما بلغ له، سأله عن حاله مع الرعية. فقال: ها هم معي منك أولى. فقالوا: يا سيدنا، جزاك الله عنا خيراً في صنيعك، فقال لهم: أعجبكم؟ فقالوا بأجمعهم: هو الصادق، هو المساعد.

قال (الراوي): فلما سمع الابتر لرضا قومه، قال: على رؤوسكم، ما صنع مع العرجي؟ قالوا: هو ضيق علينا الأرض بما/ رحبت(4) وأخذ مالنا [105] وسلب رجالنا وفجع نساءنا، والله شاهد.

قال (الأبتر لبلقاسم): إنْ قَبَضْته، افعل فيه رأيك. والسلام. ثم أمره بالانصراف. قال (الراوي): ثم أوصاه (أنت تصلح لها وتصلح لك عن فطين، وعامل صاحب الدولة ولا عليك في غيره، والناس يقول الرجال عاد يراد(5).

قال: ثم انصرفوا راجعين)(6) إلى توزر، فلاقى بعض الناس في طريقه.

---

(1) جملة (وإلا أبقوها... البيوت) مقدمة عن موضعها في (أ) للصياغة، وهي في (ب) (وإلا عملوها داخل البيت الخ).
(2) كلمة (مراد) ساقطة من (ب).
(3) في (أ) و (ج) فانطلقوا.
(4) عبارة (الأرض بما رحبت) ساقطة من (ب).
(5) كذا (عاد يراد) في مختلف النسخ، ولم يتضح لنا معناها.
(6) الجملة التي بين القوسين كلها ساقطة من (ب)، ومن نسخة حبة.

قبيلة فطناسة في سبيطلة

ثم سأل عن قبيلة فطناسة، قيل لهم نازلين: على سبيطلة، قرية كانت للنصارى خربت خديعة، فأتى إليهم فقال (لهم): نريد منكم مائة رجل يرجعوا معي إلى توزر يكونوا الحَظ لي، قالوا: حباً وكرامة، ولكم[1] عندي كل رجل برحل تمر، قالوا: نعم الرأي، ثم سار وساروا في أثره، ولم يعلم بما ضمر عليه أحد.

فلما بلغ إلى توزر سلموا عليه وفرحوا بسلامته.

ثم بعد أيام، نادى جميع أهل توزر، فقال: يا قوم هؤلاء إخواننا همزهم الشيطان، وخرجوا إلى تمغزة، وسيدنا الأبتر أوصاني بردهم إلى البلاد. فقالوا: نعم الرأي، الخير خيراً والعافية (أحسن)[2] إلاَّ[3] علي بن الهادف قال: هؤلاء يكونوا[4] تحت قهر ومذلة، وإذا أتى إليهم يقولوا قد ضيقنا عليهم، وتكون لهم الكلمات العليا، ويقدم انقيادهم.

قال (الراوي): فغمزه بلقاسم فسكت، فخاف أن يفهموا الناس، فقال: الأمير الأبتر أوصاني بردهم، فقال علي: وحيث أوصاك به فهو خير.

قال ثم بعث إليهم قائلاً: ارجعوا إلى بلادكم، وأنا لم نستطع أمور البلاد وحدي، وأنا فريد، وقد طمعت أهل البلاد في أكل مالي الذي أعطيت عليهم للقايد، ويا إخواني العنوا الشيطان واقْدِموا ونقسموا البلاد (يعني توزر)[5] بيننا أنصاف.

قال (الراوي): فلما بلغ الخبر إليهم اشتاقوا إلى الوطن، لأن خارج

---

(1) يقتضي السياق أن تسبق هذه اللفظة بلفظ (قال) أي بلقاسم.
(2) زيادة من(ب). وفي (أ) و (ب) فحسن.
(3) في الأصل (إلى). وفي (ب) إلى ابن الهادف بدون لفظ (علي).
(4) في (ج) قال هذا يكون تحت قهر الخ.
(5) عبارة (يعني توزر) ساقطة من (ب).

الوطن ملهوف، وفرحوا بذلك، وقالوا لصاحب الرسالة: أين وعدك بلقاسم؟ قال لهم:/ غداً احملوا أثقالكم، ومن لم يجد ما يحمل عليه نرسل له دابة. [106] فاجتمعوا مع العرجي وتكلموا على الرجوع وعدمه.

وإذا بشيخ كبير يقال له منصور بن عبد الكريم، قال: يا قوم، هذا الرجل الذي نَظَرْتُه ما هذه سريرته[1] والله لا أخرج من تامغزة، وأنتم ملكي وداري (أمامكم)[2]، خذوها هبة لكم.

الغدر بجماعة العرجي

قال (الراوي): فلما رجع الرسول قال له، أي يوم عولوا على القدوم؟ فقال: غداً، فبعث إلى فطناسة وأخبرهم: إذا نطق البرود فعجلوا بقتلهم، وقد أمرني الأبتر به. قالوا: لا عليك، وإياكم أن تُعلِموا أهل توزر بذلك قالوا: نعم.

قال (الرواي): فلما كان من الغد، بعثوا إلى بلقاسم: هانا قريباً[3] (في) الصحراء. فأمر سكان توزر كلها بملاقتهم، فخرجوا، فلما بلغوا إليهم سلموا عليهم وفرحوا بهم.

قال (الراوي): وإذا بصوت البرود تكلم. في وسط الناس، فلما سمعوا به (جماعة فطناسة)، قامت الناس في وجوههم بالضرب والقتل (في جماعة العرجي)[4]، فقتلوا منهم سبعون رجلاً وثلاثة نساء، فهرب الباقي.

قال: ورجعت أهل توزر بالرعب والخوف والمذلة ولا بقي معانداً ولا متكلماً.

---

(1) في (ب) سيرته.
(2) زيادة من (ب).
(3) في (ج) قرّبنا. هانا = ها نحن.
(4) ما بين الأقواس زيادات من (ب).

وقد قال علي: يا أخي هذا هو الرأي الذي يفك البلاد لأهلها. قال (الراوي): فلما بلغ الخبر إلى الأبتر، قال: الذي توليه الرجال صاحب رأي ومال ومشورة ناصحة، فلما كان كذلك جددوا أهل توزر في المبايعة (لبلقاسم).

فلما كان في العام الآتي، أتى القايد، قال له: اليوم آتيك على رأسي. فأتاه عند قبر الزفزاف[1]، وسلم عليه. فلما رآه القايد، قال له: جزاك الله خيراً لأن فساد الرعية يفسدون أحوال الملوك، ولقد صنعت صنيع الرجال، هكذا ولدي.

فلما بلغ إلى توزر[2]، أمر القبائل أن يأتوا إليه، وقال لهم: يا قوم، والله لو سمعت بمقالة أحد في ذمي لقتلته! قالوا: ما رأينا فيك ذماً. قال: ففرض مال الأبتر، وأما الوظيف الذي تعلّق بالعرجي تولّاه[3]، فتوكل على جميع سوانيه[4]، وخلص القايد وانصرف/ وبقت البلاد تحت يده. [107]

وقام أخيه علي وقال له: إما اقنع بمالي ولم نملك من النخيل شجرة، والدراهم من غير الجدار ناقصة. قال (له): يا أخي، املك معي نخيل العرجي، فإنهم تركوا لي مائة سانية موضعة[5] وستة وستين بستاناً عليهم من الوظيف ألفين ونصف دراهم إلى دار المملكة ومدة إقامتي، فلا تخاف منهم، وربما انْقُصْ[6] كل عام عليك، واحمل على الجماعة رغماً عليهم، قال له: حباً وكرامة.

---

(1) قبر الشيخ الزفزاف في توزر. وهناك مشيخة (إدارة) الزفزاف أيضاً في سيدي بوزيد (تونس).

(2) في (ب) إلى الأبتر.

(3) في (أ) و (ج) تولاّ، أي تولاه بلقاسم بن الهادف أيضاً.

(4) في (أ) و (ج) سوانيهم.

(5) (موضعة) ساقطة من (ب) ومن حبة. وهي عند التليلي (موضوعة).

(6) في (ب) نقّص.

ثم قال له: اشتَرِي النخيل كَسْبٌ من الإبل والدراهم خير[1]. فمن كان عنده النخيل[2] فلا عدو عنده يتقرب ناحيته، وإن لم يكن له خيل فيأخذ (العدو) إبله وغنمه ولا يصيب شيئاً يمنعه.

قال ـ قلت له: جزاك الله خيراً يا شيخ بني عدوان.

قال[3] صفوان، فقال: اكتب لكي تكون على بصيرة لأن العاقل من أدرك خَبَرَ غيره.

عودة إلى الحديث عن نفطة وسوف

قال صفوان: ما بقي لي إلا نفطة فيها كفاية.

قال لي: ما تصلح بك. قلت له: لماذا؟ قال: يا بني لأن أهلها أَبْضية[4]. قلت: وما الأبضية؟ قال لي: رفضي، قلت: وما هم رفضية؟ قال لي: (. . .)[5] لأنهم لا ينقطع منهم ذلك[6] إلى يوم القيامة، إن احتجْتَ إلى المنع فعليك بسوف.

---

(1) في (أ) و (ج) الدراهم خيل في بعض النسخ اختلطت كلمة النخيل بالخيل. والمعنى أن شراء الخيل (أو النخيل) اكسب من الإبل والدراهم. وإن مالك الخيل لا يقترب منه العدو، فإذا عدم الخيل فإن العدو يأخذ إبله وغنمه.

(2) في (ب) النخل، وعند التليلي (الخيل).

(3) هنا استأنفت (ف) مع النسخ الأخرى، أي هناك انقطاع كامل من الحديث عن تولية بلقاسم بن الهادف. وواضح من السياق أن (شيخ بني عدوان) هو العدواني نفسه، وأن شخصية صفوان والراوي ما هي إلا شخصية مصطنعة لإدارة الحوار على لسان العدواني.

(4) لم تذكر (ف) عبارة (إبضية) وإنما ذكرت (رافضة) وفسرتها بأنهم الشيعة. والمعروف أن منطقة الجريد كانت عامرة بالإباضية، خصوصاً قبل عهد الموحدين.

(5) حذفنا سبع كلمات لعدم مناسبتها ولأنها ليست جواباً على السؤال.

(6) (ذلك) ساقطة من (ج). (والمنع) = المنعة والأمان.

فقلت له: شكوا أهلُها من قِلَّة معاشها[1]، فقال لي: لا يجتمع الحرمة وتمام النعمة.

قلت له: وما سيرة سوف؟ قال لي: ساكنها مشُومْ، ولكن لا تخاف من أحد إلا من بعضها بعض، قلت: وكيف لا يدخلونها، أظن قرية واحدة. قال لي: بل خمسة قرى، وحَمَدْ بادي لها. (قلت: لا يحرثون؟ قال لي: لا يحرثون لأن أرضهم لا تصبر على فقد الماء)[2] قلت له: وما صنعتها؟ قال: اضرب لك مثلاً، هذا جمل لرجل حادث السن رقيق الجلد، إن حملت عليه زَادَكَ ورَحْلك بقيت بغير ماء، وإن حملت عليه نفسك وتركت الزادَ بقيت/ [108] جيعان، اتركها عنك فأرض الله واسعة.

ولكن فيها خصلتان محمودتان وخصلتان مذمومتان. قلت له: وما هما (المحمودتان)[3]؟ قال (لي المحمودتان)[4]: ماؤها يزيد في ماء الصلب، ورجالها أقوى، وقلوبهم قاسية، فلا يخافون من مكر الماكر، ولا من سلطان جائر، والذَّميمتان[5]: فراغ الدماغ مع قلة المعاش.

عودة إلى ثورة الشابي على صاحب تونس

قلت له: أخبرني ما منازعة الشابي مع صاحب تونس؟ قال لي: يا بني (اتركني فإني مشغول بشيء آخر، قلت: وما شغلك؟ قال لي)[6]: تركت العيال لا (عندهم)[7] بُرٌّ ولا شعير ولا أدام، وقد أشرت

(1) في (أ) معاشيها.
(2) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(3) زيادة من (ج).
(4) زيادة من (ب).
(5) في (ب) والمذمومتان.
(6) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(7) زيادة من (ب).

تلك[1] بأهال سوف.

قال (صفوان)/ قلت له: أرسلت لهم حِمْلَ قمح، ورَحْلَ شعير وتمر، وقلتان زيت وشحم.

قال صفوان: فلما سمع مني المقالة تشمتع[2] وجهه، وقال له: اليوم ذهب عني آلام القلب جزاك الله (عنا) خيراً.

قال لي: يا بني، لما قتل[3] صاحبُ إفريقية الشابيَّ بقي في قلبه غيظ كبير، وقد لبس السواد، فجمع[4] جموعه، من أرض عبد الله بن محمد إلى جبل الملح. وكانت عدة جيشه اثنا عشر[5] ألفاً، وقصد إفريقية لأنها قتلت رجالنا، وفكّت بلادنا، فاليوم لا بد من قتالها.

قال الراوي: وسار[6] حتى وصل إلى موضع يقال له الدخلة[7] فشن الغارة، وقتل ثلاثة رجال من زغلوم، وأخذ سبعمائة ناقة وستة عشر فرساً، وأخذ شيئاً من الأسلاب، فأتاها على حين غفلة من أهلها، ورجع من الغد شَنَّ[8] الغارة، فأخذ ثلاثمائة ناقة وعبداً وثلاثون بقرة وشيء من الأسلاب.

---

(1) جملة (وقد أشرت تلك) مكتوبة في (ب) (وقد اشتغلت تلك الخ). وفي (ف) المعنى هو: وقد حدثتك عن كل ما أعرف عن سوف.
(2) كذا تشمتع في (أ) و (ب) وفي بعض النسخ تشعشع، أي لمعت أسارير وجهه.
(3) في (أ) و (ج) قلت، وفي (ج) قلت لصاحب إفريقية. وكلمة (صاحب) ساقطة من (ب)، وعبارة (قتل) مأخوذة منها ومن (ف).
(4) في (ف) هو الأمير الشابي الجديد على السكان.
(5) كلمة (عشر) مكررة في (أ)، والجملة (من أرض عبد الله... إلى عشر ألفاً) ساقطة من (ج).
(6) أي الشابي الجديد.
(7) سألت عن (الدخلة) فقيل لي أنها توجد في تراب بئر العاقر (ولاية تبسة)، وقال لي آخر إن هناك (دخلة المعاوين) بلدة بجهة قرنباليا (تونس).
(8) في الأصل (أنشا) = شنَّ.

فلما كان اليوم الثالث بلغ الخبر إلى الأبتر، حار في أمره، ونادى أرباب دولته، هل فيكم صاحب تدبير؟ قال لهم: إن الشابي بلغ قصور إفريقية وأخذ جميع مالها ولا بقي له إلا دار الملك، فلما سمعوا بهذه [109] المقالة حاروا وطارت عقولهم، وقالوا: الرأي رأيك، دبر/ في حالك، وهانا نحن لك وبين يديك. قال: من عنده رأي فليتكلم به؟ قال كل واحد منهم كلام. حتى كان آخر[1] الكلام سعد بن عمر: ولا بد عدة خيولنا ثلاثة آلاف فارس، فكل يوم تنزل عليهم خمسمائة فارس (ثم من بعد مرزوق في خمسمائة فارس، ثم جابر الحمامي في خمسمائة فارس)[2]، وهكذا تتلاحق[3].

فلما وصل سعد، أول الطليعة، عثروا[4] عليه خيل الشابي، فأخذوهم على أطراف السنان، وقتلوا منهم مائة وستون فارساً. وأخذوا أسلابهم وخيولهم، ورجعوا إلى الأبتر (ولولا ما رجعوا لقتلهم عن آخرهم)[5] (لأنه زيادة في الانهزام)[6]. ثم جمعوا رأيهم فيميلوا[7] عليهم شرذمة بشرذمة. وكانت خيول الشابي اثنا عشر ألف، فاجتمعوا الثلاث آلاف ولحقوا (في أثرهم)[8]. فلما نظروا إليهم وجدوهم لا طاقة لهم عليهم.

(1) كلمة (آخر) ساقطة من (ب). وفي نسخة التليلي (حتى كان آخر كلام هو كلام سعد بن عمر، قال إن عدة خيولنا الخ . . .
(2) ما بين القوسين ساقط من (ب). وفيها (فرساً) بدل فارس.
(3) في (أ) أتت لاحق.
(4) في (أ) عثرو عليه، وفي (ب) عثر.
(5) في (أ) سقطت عبارة (ولولا ما رجعوا)، وفي (أ) أيضاً (لقتلكم عن آخركم)، والمعنى أنهم لو لم يهربوا لقتلهم الشابي عن آخرهم.
(6) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(7) في (أ) فلما يميلوا . . . شرذمة بشرذيمة الخ. أي اجتمع الرأي على أن يميلوا، الخ.
(8) زيادة من (ب).

قال (الراوي): فبعثوا إلى مراد (الأبتر) أن هذا القوم كثيرة[1]، ونظرك أعلى، وأما قومك التي بعثتها[2] فرآنا في وسطهم كالشامة[3] البيضاء في جانب البعير الأسود.

أتراك تونس وطرابلس ضد الشابي

فلما سمع بذلك بعث إلى رجل له من العمر مائة سنة من بني حفص يقال له حسن الباهي، فأتاه فقال له: ما بلغك عن الشابي وما فعل ببلادنا؟ فقال: نعم، ما عندك من الرأي؟ قال له الشيخ (حسن): ابعث إلى صاحب طرابلس يأتيك بمائتين تركي يكون لك عوناً، وإلاّ فاترك البلاد إلى أهلها.

قال (الراوي): ثم بعث إلى إبراهيم بن محمد اليرنوطي، نريد (منك) لا بد بِعَمَلِ ما في الورقة، ولا بد، والسلام. فلما وصل إليه الكتاب أرسل إليه مائة وعشرون تركي في البحر، ونزلوا على سفاقص، بعثوا إلى الأبتر: شد على نفسك، فهم على أثري، فبعث إلى الحفصي، فقال له: لا تظهرهم حتى يأتوا من ناحية باجة ويطلعوا من غير علم لأحد. قال: هذا هو الرأي.

وأما ما كان من خبر الجيوش فإنهم تلاقوا أول/ يوم. وقامت الكَرَّة [110] عليهم، (أي) على أهل إفريقية، وما زالوا في القتال من أول النهار إلى آخره. ثم مات من الشابي أربعون فارساً، ومن الأبتر مائة وأربعون فارساً. وبات العسكران يتحارسان إلى الصباح، ثم قامت كل قبيلة في صلاح حالها، ثم اقتتلوا في أوّل النهار إلى العصر، وقد مات من الشابي مائة وثلاثة من الخيل، ومات من الأبتر خمسون فارساً، وباتوا إلى الصباح.

ثم قامت القبائل والطبول تضرب، والقتال بالبنادق والعود والسيوف،

---

(1) في (ب) أن قوم الشابي كثيرون.

(2) العبارة (قومك التي بعثتها) مأخوذة من (ج)، وهي في (أ) وأما جناك (جيشك؟) التي بعثته الخ.

(3) في (ب) الشيمة. فَرَآنَا = فترانا.

إلى المغرب، وانفصلت. وقد مات من الشابي سبعة فوارس، ومن الأبتر ستة عشر فارس.

فأتوا إلى الشابي قبيلته، وقالوا: هذه إفريقية قد غلبت على صاحبها، وما كان هذا إلا لجمع العساكر، فلا بد أن تقاتلهم. قال: هذا هو الرأي. ثم ركبت الخيول وضربت[1] الطبول وقام الحرب على ساق، وكثر الغبار وأظلم النهار، وقد امتلأت الأرض بالقتلى. فلما كان وقت الظهر هربت جماعة الأبتر ولحق الشابي في أثرهم إلى السلوقية[2]، فرجعوا، وفقدوا من مات منهم، فلم يجدوا أحداً.

وقد مات من الأبتر خلقاً كثيراً لم يحصي عددها إلا الله وبقوا (جماعة الشابي) فارحين يومهم كله لزعمهم[3] أن البلاد بقت لهم في أيديهم، وقد نهجموا على تونس ونخرجوا صاحبها.

فلما كان بعد صلاة العشاء وإذا بامرأة سايبة كانت متزوجة برجل إفريقي، سمعت بالترك[4] قادمين من وراء الشابي ليأخذه على غفلة منه، قالت (للشابي): الترك غداً يأتوكم بالخيل والرجال الساعة. قالوا (لها): كم من العدد؟ قالت لهم: الترك مائة وخمسون والخيل لا يعلم عددها إلا الله، فبقوا على ذلك.

وأما ما كان من خبر الأبتر فإنه بعث إلى القوابس، وإلى الظاهر، ونفزاوة، والجريد: ولا بد آتوني بالخيل والرجال، (فأتوه)، إلا صاحب توزر/ بلقاسم (بن الهادف)، بعث له: بعد هؤلاء نأتيك، لأن معي أناس كثيرة، ونخاف عليهم من العطش. [111]

(1) الجملة الطويلة (والطبول تضرب والقتال بالبنادق... إلى ركبت الخيول وضربت) كلها ساقطة من (ج).
(2) في (أ) و (ج) السفوقية.
(3) في (أ) أبزعمهم البلاد الخ. وفي (ج) تقرأ ابن عمّهم في البلاد فبقت الخ. وفي نسخة التليلي (قال ابن عمهم) مكان (ابزعمهم).
(4) في (أ) بالتركي... الخ. الرجل الإفريقي = من تونس.

زواج علي بن الهادف ببنت علي الغوث

قال الراوي[1]: وإنما بعث له تأنيساً بِكَذِب[2]، وقد زوج أخاه علي بزينب بنت الكبير علي بن أحمد الغوث، فأولُ حالٍ لم يرتضى بها لأنها بنت ثلاثون سنة وهو ابن ثمانية عشر سنة، فلما سمع السيد علي بذلك قال: يا علي تزوجْ ابنتي ولعل الله يرزقك منها بعمارة قوية مالاً ورجالاً وحظاً وحرم واحترام في البلاد، أما كفاك امرأة في البلاد؟ قال[3]: فرضي وزوجها فحملت، فأتت بولد، قالوا: ما نسموه؟ قال: جده أولى به فسماه الهادف. ثم أتت بآخر فسموه أحمد بن علي، ثم أتت بآخر فسموه العربي محمد، ثم أتت بآخر فسموه امحمد، ثم أتت بآخر فسموه أبو سعيد، هذا من بنت سيدي علي، وأما شَكْره فأتت بولد، وهي أمة قد أهداها له صاحب تلمين[4].

رجوع إلى حروب الشابي

قال الراوي: (نرجع إلى خبر الأبتر)[5]، فلما جمع جموعه قصد الشابي على حين غفلة منه إلى الفساطيط، وقام الشابي بخيله ورجاله من أول النهار (إلى آخره). وكان الليل[6] كله يومئذٍ قتال إلى طلوع الفجر، وقد

---

(1) من هنا إلى عبارة قال الراوي الآتية (قال الراوي: نرجع إلى خبر الأبتر..) كله ساقط من (ب). وواضح أن العدواني يصور بلقاسم بن الهادف شخصية متخاذلة عن نجدة صاحب تونس «ولي نعمته» ضد الشابي.

(2) أي بعث له بما يطمئن صاحب تونس دون الالتزام معه. و (التأنيس) هنا قد يكون مجرد رسالة اعتذار وقد يكون نجدة عسكرية رمزية فقط.

(3) قال أي الراوي. وزوجها = تزوجها.

(4) الخبر عن شكرة وولدها ساقط من (ف). وسيأتي أن اسم ولد علي من شكره هو عمارة الصغير. وقد سبق التعريف بتلمين.

(5) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(6) في (ج) الخيل بدل الليل. وتستور تقع بجهة الكاف.

ولوا الترك الأدبار، وقام الشابي في أثرهم إلى قبر تستور، وقد مات من الترك أربعون رجلاً ومن عرباؤهم[1] ثلاثمائة رجل. ورجعوا إلى الشابي وقد طال[2] باعهم.

وقد سمع بهم صاحب تونس (الأبتر) بانهزامهم، وضاق صدره وقطع ثيابه، وحث التراب على رأسه، وقد طَلَقَتْ الخيول الأعنة إلى الحريرية[3]، وقام عليهم سبعة أيام.

حتى سمع صاحب توزر (بلقاسم بن الهادف)[4]، وبعث إلى الشابي: قد أنذرك وإن صاحب الحشانة[5]، وورقلة، وبني المسلمان، مع سعيد الشريف، وصاحب سوف والزرايب[6]، قد أتوا إليك، فكن على حذر! فيوم السبت وهم عندك. هذا ما عندي أعلمتك به، وقد أعذر من أنذر، وهاه عهد

---

(1) في (ب) عربايهم، وفي (ج) تقرأ هكذا: عرف وهم (عرفاؤهم؟)، والمقصود الأعراب الذين معهم.

(2) جملة: (ورجعوا إلى الشابي وقد طال باعهم) كلها ساقطة من (ف). والمعنى أن أنصار الشابي رجعوا منتصرين.

(3) الحريرية تقع بالقرب من مدينة تونس. وقد جاء في كتاب (المؤنس) لابن أبي دينار ص 58 أن الحريرية تقع بالقرب من القيروان. وفي أصل (الحريرية) يقول الوزير السراج 873/4 أنه لما نوى باديس تخريب تونس جاءها بعسكره في أخبية الحرير ونزل غربي تونس بمكان يعرف بالحريرية، ومن أجل ذلك سميت (الحريرية).

(4) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(5) في (ف) تعليق لفيرو هو أن الحشانة أو رجال الحشانة هم سكان وادي ريغ، ويعود أصلهم حسب الحكايات الشعبية إلى الحشان، رفيق سيدي عقبة أثناء الفتح. وقد عرف الحشان بالشجاعة. وجزاء له أعطاه سيدي عقبة حكم المنطقة من بسكرة إلى ورقلة، وقد استقر في وادي ريغ. وبناء على الأسطورة الشعبية فإن الحشان مدفون في بلدة سيدي عقبة. ويذكر فيرو الذي كتب حوالي سنة 1863. أن رجال الحشانة يجتمعون كل عام خلال شهر أكتوبر على زردة تدوم يومين في رأس الوادي بقيادة أعضاء من الطريقة التجانية فرع تماسين.

(6) في (ف) والزاب. والزرايب = زريبة الوادي وزريبة حامد.

بيني وبينك، لأن الزمان طويل، (واستحتاج)[1]،/ فكن منذر[2]. [112] والسلام[3].

قال الراوي: فلما بلغ الشابي الخبر من صاحب توزر. بلقاسم بن الهادف، جمع جيوشه كلها وتعرض لجيوش الأبتر. فلما رآهم الشابي ركب خيوله وأطلق رايته وهجم عليهم، ووقع القتال بين الفريقين طول النهار كله، وانفصلوا من بعضهم بعض، ومات خلق كثير من الفريقين، ورحلت جيوش الأبتر إلى تونس، وجيوش الشابي إلى الجريد[4].

---

(1) كلمة ساقطة من (ب).

(2) في (ب) فكن على حذر والسلام. وهنا انتهى نص نسخة (ب) بهذه العبارات وهي (انتهى بحمد الله وحسن عونه في 14 شهر ربيع الثاني سنة 1324).

(3) في نهاية (ج) العبارة التالية والسلام من كاتبه في رجب السفر اثنين وعشرون خلت منه سنة عشرة وثلاثمائة وألف، سنة هجرية. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين». وفي نهاية (ب) كتبت العبارة التالية: «والسلام، اهـ. بحمد الله وحسن عونه، 14 شهر ربيع الثاني سنة 1324» (مكرر).

وتنتهي نسخة التليلي بقول الهادف للشابي «وستحتاج، وكن حذراً، والسلام» ثم قول التليلي «إلى هنا انتهت النسخة التي نقلت منها هذه النسخة، ويظهر أن كتاب العدواني لم ينته هنا، بل ما زالت قصته أو نوادره ممتدة وطويلة، ومجالسه غير مستوفاة. . نقلت هذه المسودة من نسخة الشيخ الوقور السيد أحمد بن أبي الضياف التاغزوتي السوفي. . . يوم 8 مارس من سنة 1973 ميلادية الموافق ليوم 4 سفر الخير من سنة 1393 هجرية، ببلدة قمار».

وتنتهي نسخة حبة هكذا «وهاه عهدي بيني وبينك لأن الزمان طويل، فكن على حذر، والسلام». انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه. . وكان الفراغ في أواسط ذي القعدة الحرام عام 1325 هجرية. . .».

وقد رأيت نسخة عند السيد مصباح السالمي بالوادي منسوخة سنة 1313 هجرية. وهي تنتهي مثل معظم النسخ بعبارة، فكن على حذر، والسلام.

(4) بناء على نسخة فيرو فإن نهاية الحرب كانت كما يلي: بعد قتال رجع جيش الأبتر إلى تونس وجيش الشابي إلى الجريد، بعد أن لاحقته جيوش تونس إلى قلعة سنان، وفي تعليق بالهامش أضافه فيرو أن القلعة واقعة في محاذاة أولاد يحيى بن طالب. وكانت هذه القلعة ملجأ في القرن الثامن عشر لزعماء الحنانشة. ونضيف نحن بأن =

موت بلقاسم الهادف وزوجته

ونرجع إلى خبر علي بن الهادف وزوجتيه السابق ذكرهما، فأما زينب [113] بنت الكبير علي بن أحمد الغوث/ زوجة[1] علي بن الهادف، توفت وكان لها من العمر اثنا وستون سنة[2]. (وبقت تحته شَكْرة، أمة معلومة، أهداها[3] له صاحب تلّمين، فولدت له عمارة الصغير.

قال الراوي: ثم عَزَلَ الأولادَ[4] عنه، وبنى لكل واحد داراً لسكناه وأمة وعبداً. وسبعة من السواني، وتم أمرهم على ذلك.

قال الراوي[5]: فلما حضرت بلقاسم الوفاة، بعث إلى أخيه علي: يا أخي، اقبل وصيتي، كما قبلتها أنا من والدي: عليك بأولاد رزوق ومحمد[6]. كن منهم ببال، وأما عزوز فهو كبير، إن شئت فأنت الوالي عليه وإن شاء فهو على حاله.

= قلعة سنان والقلعة الجرداء تقعان في تراب أولاد بوغانم قرب الحدود التونسية مع تبسة بالجزائر.

(1) من كلمة (زوجة علي بن الهادف) تلتقي (أ) و (ج 2). والملاحظ أن جملة: قال الراوي: فلما بلغ الشابي... إلى علي بن حمد الغوث) ساقطة من (ج 2). ولذلك فإن الإنتقال من عبارة (والسلام) الواردة في نهاية صفحة 88 وجه من نسخة (ج 2) إلى عبارة (زوجة الهادف) الواردة في 88 ظهر أول الصفحة ـ يدل على انقطاع في النص. ومثله في (أ) بين صفحتيْ 112، 113 فإن الخط والبياض يدلان على انقطاع بين النسختين.

(2) نسخة (ف) اكتفت بهذا الخبر أي وفاة زينب وعمرها ولم تذكر الباقي. وسبق أن عمرها ثلاثون سنة عند زواجها..

(3) في (أ) (ج 2) أهداه وهي في (ج 2) شُكّره بدل شكره.

(4) عبارة (قال الراوي) ساقطة من (ج 2)، وفيها (لأولاده) بدل الأولاد.

(5) عبارة (قال الراوي) ساقطة من (ج 2)، وفيها (أولاد رزوق) دون كلمة (محمد).

(6) في نسخة (ج 2)، كلمة محمد ساقطة.

قال الراوي: (فمات رزوق ولم يخلف شيئاً لأنه عقيم[1]، مات صغيراً)[2].

أصل كلمة تونس وقرطاجنة

قلت له: أخبرني عن تونس[3] ولما سميت تونس؟ قال: يا بني لما قام كسيل صاحب قرطجنة في أيامه، وكان من نسل كيسان بن لزام[4] وكان من نسل الفيض، وكانت عنده بنتاً تسمى تونس قد اشتهت الخروج من منزل أبيها، فبنى لها قصراً بقرب البحر لكي تتخلع فيه وتلعب مع بنات النصارى وقرابتها[5]، وهي موضع تونس اليوم.

قال قلت له: أخبرني[6] عن قرطجنة ما هي ومن بناها ولما سميت بهذا؟ قال: رجل من العمالقة اسمه شداد، قتل زوجة أبيه وأتى هارباً إلى إفريقية، فبنى بهذا الموضع وسماها بقرطجنة، لأنه كان له نهر حلو

(1) كلمة (عقيم) ساقطة من (ج 2).

(2) ما بين القوسين (من وبقت تحته... مات صغيراً) كله غير مترجم في فيرو. وعبارة (قال الراوي) ساقطة في (ج 2) في معظم الأحيان، وتعوض أحياناً بكلمة (قال) فقط. ونلاحظ أن العدواني قد «اختصر» حياة بلقاسم بن الهادف اختصاراً شديداً في نهايتها.

(3) في (ج 2) أخبرني عن الشابي من أين هو ولما سمي الشابي؟ قال يا بني الخ.

(4) في ابن خلدون 6/296 ابن لزم. انظر قصته في هذا المصدر.

(5) (قرابتها) ساقطة من (ج 2).

(6) في نسخة فيرو: أخبرني عن الشابية وعن الصبية، والجواب أن أصلهما يرجع إلى اللغة العربية. ثم انتقل النص إلى الحديث عن شداد دون السؤال عن قرطاجنة. وليس في النص العربي ذكر لمعبد النصارى. وقد علق فيرو بالهامش أن العدواني كان يجهل قصة عليسة الصورية والأساطير الإغريقية حول تأسيس قرطاجنة. وقصة أصل تونس أوردها فيرو بعد خبر أصل قرطاجنة، مع التصرف في نسب كسيلة حيث اكتفى بقوله بأنه كسيل بن لوزم وأن ابن خلودن كتبه لمزم.

كالعسل[1].

(وقد غابت فيه الكاهنة[2] حين دخلوا أصحاب عثمان إفريقية قالت لهم: غَوِّروا الأنهار فإن العرب يسكنون القرى، وهي التي وضعت وأمرت النصارى أن يجعلوا مائدة عيسى[3].

قال قلت له: وأين البحر يومئذٍ؟ فقال لي: لم يكن البحر أي قبله)[4]، وإن صاحب المهدية كان معانداً لصاحب قرطجنة (لأنه بناها عاد الأصغر)[5].

[114] فلما سمعوا بناته[6] / بأن صاحب قرطجنة بنى لبناته قصراً[7]، فدخل يوماً على بناته، لأن أحدهما اسمها لايقة والأخرى اسمها ليلى، فوجدهما غضبانان، فقال لهما: ما بكما يا بناتي[8]؟ قالا له: لا تكلمنا. فلحّ عليهما فأجابته ليلى، لأنها الكبرى[9] ولايقة[10] الصغرى، بأن صاحب قرطجنة بنى لبناته

---

(1) لا شك أن العدواني يريد فصل اللفظين: قرط جنة، والقرط معروف وهو ما تعلقه المرأة في الأذن زيادة في التجمل، وهو يشبه النهر بالقرط. ولذلك وجدنا النساخ يكتبونها بدون ألف (قرطجنة).

(2) في (ج 2) الطاسة بدل الكاهنة.

(3) صياغة عبارة (ج 2) هكذا: (قلت لهم غور الأنهار، فإن العرب يسكنون القرى وهى التي وضعوا النصارى مائدة عيسى).

(4) الجملة الطويلة ما بين القوسين ساقطة من (ف).

(5) لم يذكر فيرو معنى هذه الجملة، وجعل بين قوسين أن أصل المهدية هو الاسم الروماني (كابوت فادا) Caput Vada.

(6) أي بنات صاحب المهدية. وقد مرّ أن صاحب قرطاجنة هو كسيلة.

(7) كلمة (قصرا) ساقطة من (ج 2).

(8) عبارة (يا بناتي) ساقطة من (ج 2).

(9) يفهم من (ف) أن القصر هو لبنت صاحب المهدية ـ لايقة ـ وهي الشابة (قصر الشابة).

(10) في (ف) لايغة، وفيها أنها هي التي علمت أن كسيلة المنافس لأبيها قد بنى قصراً لابنته (تونس)، فرغبت من أبيها هي أيضاً أن يبني لها مسكناً جميلاً يحمل اسم الشابة، أي قصر الفتاة الشابة أو الجميلة. ولايغة = لايقة لهجة شعبية، وليلى في الأصل (ليلة).

قصراً بجانب البحر تتخلع فيه ونحن لم تفعل لنا مثلها، قال: على رؤوسكما. فأمر الصناع أن يصنعوا له قصراً، فبنى هذا القصر[1].

أصل الشابية

قال، قلت له: ما معنى الشابة والصبية؟ قال: يا بني هذه لوغة (لغة) عربية، لأن ليلى كانت متزوجة بصاحب لبدة وطلقها، والأخرى لم تتزوج.

فلما أتوا العرب خربوا تلك القصر[2]، كما فعلوا بالمهدية.

أصل توزر وقسطيلية وقصة الشريف

قلت له: أخبرني عن توزر لما سميت توزر؟ قال لي: إن مدينة قسطيلية[3] كانت قائمة في غاية القيام، وأَمَر صاحبُها لا بد أن تبيّضوها فبيضوها، فصارت الأمراء، تهابها وكانت بوسطها امرأة تسمى توزر تصنع الطين وتحمّيه، فيخرج تلك الدخان على الحيوط فيسوّده[4]، فأخرجوها، وبَنَتْ بموضع توزر اليوم خارجة على البلاد.

فلما كان كذلك حتى امتلأوا بالعُجْب وعدم القيام، مرّ بهم شريف، والله أعلم به ما بلغني عن اسمه لعدم ثقة الراوي، وطلب منهم الضيافة، فلم

---

(1) عبارة (فبنى هذا القصر) ساقطة من (ج 2).

(2) يعني به قصر الشابة. ويذكر المؤرخون والرواة أن الكاهنة هي التي أمرت بتخريب المدن والقرن الممتدة من برقة إلى طنجة، لأسباب معروفة، والغالب أن العدواني يشير إلى بني هلال.

(3) في (ف) قسنطينة. وهو خطأ لأن الحديث عن منطقة الجريد. وقد كرر فيرو ذلك فقال عن إخراج توزر أنها أخرجت من قسنطينة الخ. ولكنه أضاف أنها بعد زواجها من (حمام) أصبح لهما النفوذ على كل قسطيلية إلى حلول الترك القادمين من طرابلس فأخذوها منهما. وفي (ج 2) (قسطينة) أيضاً. وموقع قسطيلية اليوم بين توزر ودقاش.

(4) (ج 2) (فيسْوَاد).

يضيفوه اليوم الأول، والثاني لم[1] يعطوه شيء من الأكل لا هو ولا جواده، ثم خرج إليهم وقال: يا أهل قسطيلة، دخلكم العجب حتى يمر بكم ضيف فلم تضيفوه ولم يأكل شيء من طعامكم؟ فخرج، فلقته أمةُ اللهِ توزر وزوجها حَمَام، فأخذوه بلجام جواده، وأدخلوه عريشهم وعَلَفُوا جواده، وقالا له: يا سيد طيب قلبك عن هذه القرية! فقال لهم: لولاكما سألتوني عن تطييب القلب[2] لبقي/ قلبي متشوش إلى الحامة[3] تكوّنو، ونطلب الله أن تكون هي أقوى منها. [115]

ولكن اخبروني، ما أضعف قرية بقرب هذه البلاد؟ فقالا: ما رأينا ما أضعف مِنَّا. ها أنَّا نصنع الطين ونتعبوا عليه، تارة نبيع منه شيئاً وتارة لا، وأخرجونا من دارنا وبقينا في هاته الحالة كما ترى، قال لهم: قلبي قد باعها أعني هذه البلاد بإريال. قال: امضوا إلى صاحبها يشتريها وإلا ها أنا بعتها للحامة يتصرفوا فيها كيف يشاء.

قال الراوي قال حَمَام: أنا اشتريها منك بريال. قال له: انظر حالها. قال: فانطلق حمام إلى صاحب قسطيلة وقال: اشرى بلادك فقد باعها الشريف الذي لم تضيفوه، قال له: قل له يبيعها لك أنت يا حمام، باستهزاء. وظن ما ظن صاحب البستان حيث (قال: ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة)[4].

قال الراوي: فانطلق راجعاً إلى الشريف، فبدا لخاطره: إذا قلت للشريف أنا أشتريها منك وحيث رجعت نكون كاذباً مع (رجل) صالح[5]. فأتيتُ له بريال فقبضه.

---

(1) في (ج 2) هكذا (والثاني فلم تقر عينه ولم يأكل شيئاً من طعامهم، فخرج فلقته أمة الله توزر الخ).

(2) عبارة (القلب) ساقطة من ج 2.

(3) المقصود حامة توزر، وتكتب أحياناً (الحمَّة)، أي لولاهما لرحل عن توزر إلى الحامة.

(4) نص الآية في ج 2 ينتهي عند كلمة (أبداً).

(5) من (فانطلق إلى صالح) فيها تغير لفظي بسيط في ج 2. وفي الأصل (مع صالحاً).

ثم قام في مجلسه مستقبلاً للقبلة[1] رافعاً يديه إلى السماء وطرفيه كذلك، وقال: اللهم بحرمة نبيّك جدّي والعهد الذي بيني وبينك بدّل الحرمة بالذل والإهان، وبدّل الذل بالعز والشرف، واجعل هذه البقعة مما يحتاجون إليها الناس من كل الآفاق، واجعل اللهم هذه البقعة فوق الجريد وساكنها، اللهم اجعلها في حفظةٍ ورياسةٍ، وارزق اللهم أهلها رزقاً قريباً، وتِمَّ على أهلها النعيم[2]، واجعل اللهم ساكن قسطيلة يحتاج إلى حمام ويبيع التراب إليه وتكون للبقعة الحرم والاحترام، واجعل اللهم أهل قسطيلة يحتاجون إلى يوم القيامة.

دخول الأتراك إلى قسطيلة وأصلهم

قال الراوي: فبقت على ذلك مدة أعوام: حتى نزل عليهم مراد[3] خربها[4]، وصاروا هاربين/ إليها. [116]

قلت له: وكيف منعت من مراد؟ قال لي: نزل قاصدها، أعني قسطيلة، نزل بقربها[5]. فلما نظر إلى ناحية القبلة وجد هذا الرجل وهذه المرأة يصنعان الطين ، فسلّم عليهما فردوا عليه السلام . فقال : ما لي أراكما لم تهربا[6] ولم تخافا وأنا أمير قاصد ضُرَّ هذه البلد المخالفة عن طاعتي ؟ فقال له حمام : نحن رجال من أهل البلاد أمرنا رجل شريف

(1) ج 2 تقرأ (متغلباً للغلبة). ثم قام = الشريف.
(2) عبارات الدعاء في ج 2 تختلف قليلاً عن (أ).
(3) كل قصة توزر لخصها فيرو في اثني عشر سطراً. وأشار إلى الأتراك دون ذكر (مراد)، وقال إنهم جاؤوا من طرابلس. ولكن المعنى سيأتي كذلك. أما قصة الشريف كلها فقد أسقطت من (ف).
(4) من كلمة (خربها إلى منعت) ساقطة من ج 2. ويتخلل ذلك بياض. كذا هاربين (إليها) والصواب (منها).
(5) في مكان عبارة (بقربها إلى كلمة وجد) بياض من ج 2.
(6) في مكان عبارة (فقال ما لي أراكما لم تهربا) بياض من ج 2.

وقال: أقعد في هذه البقعة ولا تخاف من عدو ولا من أمير جائر.

قال: أين هو الشريف؟ قال له حمام: مرّ قاصد الحج. قال له: هل قال لكم شيئاً؟ قال له: مضى وهو يَدْعِي علينا بدعوة الخير. قال له: خذ هذه المائة ريال، وانطلق بها إلى هذه البلاد، وائتني برجل منهم في ليلٍ تتحدث معه. قال: لا بد.

قال حمام: فانطلقت حتى دخلتها. وأول من لَقَانِي منصور بن عمر بن منصور[1]، يعرف بالحضر. قلت له لما قاربته: مراد الأمير بعثني إليك وقال لي: قل له يأتيني في ظلام الليل ونعطيه الأمان هو وقرابته، وله عند السانية الكبرى، ومن فارس، وعين عمران، وسانية الجلود. قال له: بَالْحَق؟ قال: نعم.

وكانت البلاد قد حَمَاصديدها[2]، والناس فوق الأسوار وبأيديهم البنادق والنبال، فقال: اخرج وآت لنا من قرابك[3]. قال: فخرج حمام ومنصور[4] في عشية يومه فقال له: اتيني قال: نعم.

قال له: نريد هلاك هذه القرية الفاسدة، وأنا أعطيتك الأمان لك ولقرابتك، فقال له: منصور أدخل الليلة على خوخة داري وهي محاذية السور، وقد أنعته على أي موضع يدخل. فقال الأمير: أخبرني على علامة تصون بها أهلك. قال له: علامتنا نجعلوا فوق رؤوسنا قطعاً سعفاً النخيل، وقد ذكرنا مرحباً. قال: ولا بد هي. / ثم رجع إلى أهله. [117]

فلما كان عند العشاء الآخرة قامت الترك عليهم وأخذ[5] البلاد، وأول

---

(1) عبارة (بن منصور) ساقطة من ج 2. بالحضر = بالحضري (؟).

(2) في (أ) حاصديدها، وفي ج 2 (قد حمى صديدها، والمعنى أن الناس كانوا في حالة حرب.

(3) في ج 2 (وآت من ورائك). ولعل (قرابك) كناية عن الأخبار.

(4) في (ج 2) منصوري.

(5) في (ج 2) قامت التركي عليهم وأخذ الخ.

ما قتلوا صاحب الدار، وزاد أهل البلاد، ولا زال القتال بينهم حتى قتلوا منهم ثلاثمائة نفساً، وخربت، وأخذ جميع ما فيها، وهدموا سورها وها هي خاربة.

قلت له: قولك الترك، والترك[1] لم يكن فيها أبداً قال: بعثهم صاحب طرابلس ورحل عنهم، وترك فيها قايداً إلى زمان الهادف وابنه بلقاسم بَقّوهُم عسكَرُها.

قلت له: أين كانوا الترك؟ قال: أكثرهم باصطنبول وباقيهم في بر العرب، منهم الحراثون، ومنهم الرعاة، إلى زمان السيد عثمان بن أبي بكر، جمعهم وجعلهم عسكراً يقاتل بهم.

قلت له: أخبرني عن برّ الترك من كان فيه؟ قال: كانوا فيه[2] الترك النصارى، فلما أتى عبيدة عامر بن الجراح ومعه عسكر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وقتلوا كلب الروم هرقل صاحب انطاكية، دخل هو ومن معه البحر، فبعث أبو عبيدة إلى عمر بأن الكلب الروم دخل البحر[3]، وأنا أحبت الدخول معه في أثره، قال عمر: لا تفعل وتغر[4] بالمسلمين فلا يكونوا لك عُذْر[5] عند الله إلى يوم القيامة، ولكن البحر الذي أخبروني عليه داخله مفقود، وخارج منه مولود، وهو كالدود على عود، إياك والمؤمنون! فرجع، فلما انفصل راجعاً إلى المدينة كما أمره عمر بن الخطاب توفي أبا عبيدة ـ رحمة الله عليه وعلينا ـ، ثم استخلف على الجيوش خالد بن الوليد، كما نص عليه أهل السير[6].

---

(1) في (ج 2) الترك والتركي.
(2) عبارة (قال كانوا فيه) ساقطة من ج 2.
(3) العبارة من (فبعث أبو عبيدة... إلى دخل البحر) ساقطة من ج 2. وفي (أ) عامر بدل عمر.
(4) في ج 2 (تضر).
(5) في (أ) غداً. وعبارة (إلى يوم القيامة) ساقطة من ج 2.
(6) في ج 2 (السيرة).

مدينة اسطانبول

قال قلت له: أخبرني عمن عمل قرية اصطنبول؟ قال بهر عفي[1] وقال: قل مدينة اصطنبول يا مسكين! قال قلت له: مدينة كبيرة؟ قال لي: نعم، قد [118] بنيت على أربعة جبال كل جبل يسمى اصطنبول/ فجمعوا على اصطنبول، وثلاثة جبال آخرين وسبعة بحاير.

قلت له: ما عدد جيوشها؟ قال لي: ثكلتك أمك! من يحصى عدد رجالها؟ ولكن اقْنَعْ لَكَ بخبر شيء، لها إثنا عشر ألف حمّام، وعشرة آلاف طحونة، وإحدى عشر ألف جموعة[2]، والذي يموت لا يفقدوه إلا أهله[3].

أصل النصارى واليهود

قلت له: النصارى يقال لهم بني الأصفر، قال: إن العِيصْ أصفر اللون. قلت له: أكل النصارى من العيص[4]؟ قال: نعم قلت له: اليهود من ولد من؟ قال: من ولد[5] يعقوب بن قرحان[6] بن إبراهيم خليل الرحمن، قلت له: كل اليهود؟ قال: نعم. قلت له: وأين يسكنون؟ قال لي: بالشام. قلت له: ما معنى الشام؟ قال: شمال بيت الله الحرام وشأن عظيم.

(1) تعبير غير مفهوم، لعله اسم علم، أو لعله يقصد نظر إلي نظرة استغراب، ولعل الكلمة مؤلفة من مقطعين (بهرع في)؟ وفي ج 2 تقرأ كلها هكذا (أخبرني عن عمل اسطنبول يا مسكين، قال قلت له مدينة كبيرة الخ).

(2) يقصد جامع جمعة. وهناك اختلاف لفظي في (ج 2)، مثلاً: تاكلتك = ثكلتك، طحانة = طحونة، الخ.

(3) لعله يشير بذلك إلى ضخامة سكان المدينة حتى أن من مات منهم لا يسمع به إلا أهله.

(4) في ج 2 تقرأ (العيطر).

(5) في (أ) العبارة هكذا (قتل له: اليهود من ولد يعقوب إلخ).

(6) في ج 2 يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخ.

قلت له: من أين اليهود[1] الذين يسكنون حول توزر؟ قال لي: أهل قسطيلة، قلت له: ألم يقاتلهم السلطان؟

حديث آخر عن توزر

قال: فإنه لما نزل قاصداً ضرر البلاد أتي إلى توزر وزَوْجها، فقال لهما: لِمَا تسكنان وحدكما؟ قالا: أخرجون بعضاً منهم[2] فقال الأمير: ما لي لم أر عندكم شيئاً من السلع؟ قال له حمام: نخدم ونأكل من عمل أيدينا ولا ندخر. لأننا[3] نصنع الطين ونبيعها ونأكلا وما فضل فللآخرة[4]. فقال لهم الأمير: واليوم الذي لا تبيعوا فيه؟ قالوا: نصبروا على مقادير الله قال: وإن مرضتما من يحملكما؟ قال زوجتي وأنا أحملها. فأمر السلطان[5] باعطائهما خمسين ديناراً. فقالت توزر: لا نأخذ شيء من[6] مال الأمراء، قال لها: وما تريد؟ قالت له: أنت قاصد هذه القرية وأظنه ـ والله أعلم ـ أنك تغلبها وتخربها والذي يهرب إلي فلا تلحقه. قال: فأمر السيد الأمير[7] بفرسخ، حرم توزر، ومن هرب قاصداً إليها فلا يلحق.

سانية الريح

قلت له: وما معنى سانية[8] الريح؟ قال: الشريف الذي دعا على أهل

---

(1) في ج 2 (من أين هؤلاء الذين إلخ).

(2) عبارة (بعضاً منهم) ساقطة من ج 2. وبقية العبارة فيها (أخرجونا، قال: لم أر عندكم شيئاً من السلع الخ.) وقد سبقت هذه القصة بأسلوب آخر.

(3) (لأننا) ساقطة من ج 2. وفيها أيضاً (ونبيعوه، ونأكلوا) بدل ونبيعاه ونأكلا.

(4) أي نتصدق به للآخرة.

(5) المقصود بالسلطان هنا وما قبلها بقليل، مراد التركي، أي القائد الذي سبق ذكره.

(6) عبارة (شيء من) ساقطة من ج 2.

(7) (الأمير) ساقطة من ج 2. وهو الذي عبر عنه قبل بالسلطان.

(8) في (ج 2) سارية.

[119] قسطيلة رجع عليهم/ من الحج، وأتى إلى بيت توزر، فأكل وشرب فأتى حَمَامٌ وقال[1]: يا سيدي لي سانية وقت علاقها تأتيها ريح عاتية[2] حارة[3] فتهلك ثمارها. قال لي مولاي محمد الشريف: هذا أهون ما يكون عندي. اتني بقطعة من ذهب، فأتاه بها فجعل فيها جدولاً وقال: اثقبوا[4] صخرة واجعلوه فيها، وسد عليها، وادفنوا الصخرة في أي موضع في السانية، فإن الله يصلح[5] ثمارها ولا يسقط، فجعلوا كما أمرهم فبقت خيار السواني، هكذا نقلتها من ثقة من عالم سيد زمانه وعصره[6].

نهر توزر

قلت له: أخبرني عن نهر توزر ونفطه من حفر ركانهما؟ قال لي: اليوم تسأل[7] عن غرائب الكلام؟ اعلم أن الله تعالى لما خلق الجنة والنار أجاب الأرض: فإني أريد أن أخلق منك خلقاً من أطاعني أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار. فلما سمعت الأرض بذلك بكت فرجّتْ[8] عيون الأرض فنبع من موضع النهر عيناً. فلما أتى عاد الأصغر من العراق، وقد طرده أبوه كنعان فخرج من العراق نصف نهاره، فبات في مصر القاهرة وخرج من مصر، بلغ إفريقية نصف نهاره فنزل موضع قرط جنه، فبنى بها قصراً وتم بنيانه قبل غروب الشمس، وبقي بها.

---

(1) كلمة (قال) ساقطة من ج 2.
(2) في (أ) بهاتية، وقت علاقها = زمن نضج ثمارها أو غلتها.
(3) في ج 2 (حارية).
(4) في ج 2 (انقبوا).
(5) في ج 2 (فإن ثمارها لاه) وهي جملة غير كاملة.
(6) في ج 2 (وعدله).
(7) في ج 2 (اليوم مرة تسأل). وركانهما = مجراهما.
(8) كذا في (أ) و ج 2، وهي فَجَرَتْ.

أصل كلمة إفريقية

قلت له: وما زادُه من العراق إلى إفريقية؟ قال لي: يا مسكين فتراه عملقي[1]، يمد يده إلى البحر فيأخذ منه الحوت ويشويه[2] في الشمس، ويشرب من السحاب. فلما كان بها[3] تزوج لُوَيَةَ ابنة زبيبت فولدت له ثلاثة أولاد: لوقا وشداد وخييت، أنثى. فلما تم لها سبعة أيام من وقت الولادة ماتت أمهم، ففقد اللبن، فأتى بناقة للوقا، وبقرة لشداد، ومعزة لخيب[4]، فتم أمرهم على ذلك إلى وقت الفطام، فماتوا الرواضع من بقرة ومعزة وناقة.

قال لهم: تفرقوا عني، واختاروا البقع، فتفرقوا في المواضع. فلذلك سميت إفريقية/ ، وصاروا يتزلون البقع ويختارون، إلى أن نزل لوقا بموضع [120] توزر وحفر نهرها، ونزل شداد بأرض نفطة، وكانت تسمى شقنبار، وتسمى بحريق القط فحفر نهرها، ونزلت لخية بأرض نفزاوة.

أصل نفزاوة

قال لي: مرّ رجلاً على عهد عيسى ابن مريم يقال له بلسان العوام يُومُخَيْرَ[5]، ويُقَايس في البلاد وأحوالها، وكان من مصر، وكان صاحب عقل وقياس. فمرّ بها فنزل على عين بأرض اقْبلّي اليوم ليتوضّى، فهربت دابته، فقال لدابته تفزي عنّي[6] وتركتني، فهذه علامة أولى، وعلامة أخرى حدثني

(1) أي من العمالقة، وقد سبق تعريفهم على أنهم من قدماء العرب، وتدور حولهم أساطير كثيرة.
(2) في (أ) و (ج 2) يشويا.
(3) أي إفريقيا = تونس.
(4) كذا، مرة خييت ومرة خيب وأخرى لخية في (أ) و (ج 2).
(5) في (ف) رجل مسيحي، بدل على عهد عيسى ابن مريم. والاسم (يومخير) ساقط منها.
(6) يذكر فيرو أن أصل كلمة نفزاوة هو (تفزي عني) أي تهربين. ولم يترجم من النص سابقاً شيئاً، أي من بداية الحديث علي مراد التركي وتوزر وقصة الشريف وأصل =

همام الفزاعي قال، قال حدثني بعض أهل السيرة ممن ثبت عنده صحة[1] حديثه.

قال: إن فرعون علا في الأرض وسبب ذلك أنه كان صاحب مال عظيم وقوة شديد وذلك أن الشيطان نفخ في معاطنه. قال: وكان يوماً دخل سوانيه وأعجبته وصار يفتخر على الناس، فلما كان ذات يوم[2] يلوّج في سوانيه وإذا برجل قدم عليه راكب على جواده لم ير مثله، وإذا به جلس بحذائه، وفرعون لم يكلمه ولم يدر عليه ممن هو، فكلمه فقال له: ألم تعرفني؟ قال له: أعرفك. قال: أنا مَلَكٌ من عند الله أتيتك، ونعينك على كل قصد، ما تطلبه؟.

ففرح اللعين بمقالة الرجل فقال: أنا أريد أن نجربوك. قال له: جرب! قال له: نريد بهذه الحَجْرة التي بين يدي تكون لي ذهباً، فرجعت ذهباً. فقال فرعون: أريد حجة أخرى، أن تأتينا بقصعة[3] لحماً وخبزاً ومرقاً. فقال له: التفت خلفك، فالتفت فإذا بجفنة مملوءة لحماً وخبزاً ومرقاً. فضحك فرعون وقال: أنت مَلَكٌ لا محالة ولا ريب.

قال الراوي: فكان على ذلك مدة، فرجع إلى زوجته، يقال لها (انبار)، فقال: يا قرة عيني صرتُ من الملائكة، نقول للأشياء كوني/ [121] فتكون. قالت له: ليس الأمر كما تقول، قال لها: اطلبي ما تريد فتجِده عندي، فقالت: إن أبي لبيد توفي وأريد الاجتماع معه، لأن قلبي متألم

= الترك وغيرها. ولم تستأنف (ف) الترجمة إلا بالحديث عن نفزاوة. وكلمة (تفزي عني) مرسومة في (أ) و (ج 2) تفري عني. وجاء فيرو بنسب نفزاوة من الشيخ التجاني صاحب الرحلة، على أنها قبيلة عربية تعود إلى نزار، وإن جالوت كان منها، وأن كل زناتة تستمد أصلها من نفزاوة، وأن زناتة تبربرت بحكم مجاورتها للبربر واختلاطها بهم.

(1) في ج 2 (حجة).
(2) في ج 2 (فلما كان يومها).
(3) في (أ) قطعة بدل قصعة.

لفراقه، فقال: نعم فنادته: يا لبيد قم! فأخذ الشيطان بعض أولاده وأتى به إلى أنبار زوجة فرعون الأكبر، فلما حضر بين يديها قالت: هو هو! فضحكت وقالت: أنت صادق في مقالتك. فصار الناس يسألونه عن قُوتهم وكسوتهم وهكذا وزيادة في الأعمار، وبقي على ذلك مدة عشرون سنة.

وغلانة ونهر مجردة

فبلغ خبره إلى تلمسان بن باكير بن عوج بن كلال بن مشلخ بن نون بن وال بن هوان بن أندلس بن يافث[1] بن نوح ـ عليه السلام ـ فجمع له جموع من نحو ثمانون ألفاً، وأتى إليه هو وصاحب مدينة وغلان[2]، وبناها فرعون بالصخر، وجعل أعمدتها من النحاس، وساق لها نهراً من مجردة أحلى[3] من العسل، وغرس فيها النخيل، وجمع لها الجموع من النواحي، فكان فيها ثلاثمائة زقاق، في كل زقاق أربعون حومة، في كل حومة أربعة آلاف فارس، وجعل لها قُوتَ ستة سنين، ما يفارقها. واحتاجت الناس إليها من جميع الآفاق، وصرف السوق إليها، وبقت على ذلك مدينة قاهرة، حتى تجار مصر يأتونها، وبنى لنفسه قصراً من الزجاج الأخضر، وبنى لفرعون الصغير قصراً له أربعون بيتاً، عشرة من الرخام الغالي، وعشرة من الزجاج الأحمر، وعشرة من الزجاج الأبيض، وعشرة من الزجاج الأخضر، وبقي على ذلك مدة من مائتين سنة.

فبلغ الخبر كما قلت، إلى تلمسان فأتى إليه بجنوده، فلما بلغه قدومه، قام في وجهه بعساكره، وإذا بإبليس اللعين أتى إليه وقال له: الآن أنصرك على عدوك/ قال: بالحق؟ جربتك ووجدتك تفعل بالحق، فنهض وأتى [122]

---

(1) في (أ) بن مافث.

(2) سبق أنها وغلانة، وهي ستأتي كذلك (وغلانة). وقد تكون غير التي تقع بالقرب من جامعة، ولاية الوادي حالياً.

(3) في (ج 2) أحرّ بدل أحلى.

بعساكر قوية من نحو مائة ألف ألف[1] خيول مختلفة الألوان، وساقها إلى تلمسان، ثم أتت خيول تلمسان وهجمت عليهم، فولوا الأدبار، ولم يدركوا منهم أحداً، فلما نظر فرعون إلى جنوده ولَّتْ الأدبار فرّ هارباً، ثم[2] قامت جنود تلمسان إلى أن أدخلوهم وغلانة ، وغلقوا الأبواب وعَلَوْا على الأسوار.

وبقوا على ذلك سبعة أيام محاصرينها حتى أتى إبليس إلى فرعون الأكبر، وقال له: هذا نزولي من السماء ولا وجدت لعدونا[3] حيلة إلاَّ أن نعلوا قصرك ونطير في الهواء، ونأخذ تلمسان أسيراً والعاوي ابن أخيه قتيلاً، فإذا رأونا جنودُه فِعْلَنا بهم ولّوا الأدبار، ولحقنا بجنودنا في إثرهم نقتل منهم ونأسر[4] ما قدرنا.

فقال له فرعون: إن مالي إلى الطيران سبيلاً، قال له إبليس: لا تحتاج إلى شيء فأنا أحملك على ظهري، قال له: أنا قوي الجثة لا يحملني بساط ظهرك، فخرّج له رداء وبسطه وقال له: كُنْ فيه، فاستوى فرعون (فيه) وطار به إبليس إلى عنان السماء. فقال له: نزّلنا، فإن جيوش أعدائنا لا بقي لها نظر[5]. قال: أنقيهم هربوا من حيث نظروا إلينا، لا عليك.

قال الراوي: فطَلَقَه إبليس ورماه في الهواء، فنزل من السحاب إلى الأرض، فلم يصل إلى الأرض حتى أخذته الرياح قطعاً قطعاً، فمات عدوّ الله فرعون الأكبر، فأتى إبليس اللعين في زي طبيب، فقال يا سيدي تلمسان قتلت فرعون الأكبر وجنودُه تفرقتْ، أهجم عليهم، فهجم على وغلان[6]،

(1) في (ج 2) كلمة ألف غير مكررة.
(2) في (ج 2) فر هارباً بأثرها قامت جنود الخ.
(3) في (أ) لعدوتنا.
(4) في (أ) ونسير.
(5) في (ج 2) ناظر بدل نظر. وكلمة قال غير كاملة فيها فهي (قا) وكلمة (أنقيهم) غير واضحة المعنى هنا.
(6) في (أ) فخلان بدل وغلان.

فأخذها وسبى أهلها، وحلف بالله أن أحمل صخرها وأعمدها، قال فحمل صخرها[1]/ وأَعْمُدَها على ظهور الإبل وتركها خالية، وقتل منها ثلاثة [123] وأربعون ألف. ورجع إلى قرية تلمسان[2].

قال الراوي صفوان العدواني: وترك بموضع وغلانة فرعونُ زوجتَه تتولد، فولدتْ فرعونَ الأصغر، وخرج من بطن أمه سلعة، أعني في وسط غمده التي كان في حشا أمه، فبقي على ذلك مدة سبعة أيام وإذا بإبليس اللعين جاء إلى أمه في زي طبيب، فقال لها: ما هذا الذي بين يديك؟ قالت: خرج من بطني ولم ندر ما هو لا ولد ولا لحمة مضغة؟.

قال لها: (أنا)[3] طبيب، ما تعطيني من الأجرة إن خرجته لك؟ قالت: أعطيك ما تريد. قال اللعين: أنظري كيف نعمل له، قال: فأخذ خنجراً[4] وقطع به الجلد، فخرج منه ولد ذكر، ثم أخذه[5] وجعله تحت ثيابه وتفل عليه، وقال لأمه: استحفظي عليه فإن له شأن عظيم. قال: فبقي على ذلك مدة حتى بلغ الاحتلام.

ثم سأل عن أبيه ممن هو؟ فقالت له أمه: أبيك صاحب عقل ومال ورياسة، وكان يأتيه مَلَك من السماء فيحدثه ويزيد له في الرزق وفي الأعمار ويأمر الحَجَر، فتكون له ذهباً، وهكذا أحواله، وقاتل تلمسان ووقع ما وقع، وحدثه بسيرة أبيه. فقال: وأنا أعمل مثله[6] وزيادة.

---

(1) في (أ) صخارها.
(2) تلمسان تارة قرية وأخرى. اسم قائد. ولعله يريد بلدة القائد تلمسان.
(3) كلمة (أنا) زيادة منًّا.
(4) في (أ) و (ج 2) كتبت جنجر. والجلد كتبت الخلد في ج 2).
(5) في (أ) أخذته.
(6) كلمة (مثله) ساقطة من ج 2.

ابن فرعون في سوف ثم نفزاوة

فأتاه إبليس وصار يحدّثه ويبكي[1] عن فرعون. فقال له فرعون: الدار عامرة، وصار يعمل عمل أبيه، وبلغه المقالة الشنيعة، حتى قال أنا ربكم الأعلى. وشاع خبره حتى بلغ إلى تلمسان، فأتى إليه بجنوده ففر من يومه، ونزل سوف مانعة الهارب ، ثم ركب بأمّه طلوع الشمس بلغ نفزاوة ، فبقي [124] بها مدة/ عشرين سنة فلم تعجبه، فقال: ننتقل من هذه البقعة فهي قليلة الأكل.

ابن فرعون في مصر وأصل بنائها

ثم انتقل إلى مصر القاهرة فوجد فيها القبط، فأتى إليهم وعزل بني إسرائيل، وقال: أنا قبطي. فأقاموه في وسطهم حتى استوى رجلاً، وأمر ببنيان الصرح فجمع القبط، وكانوا ستمائة ألف وبني إسرائيل أربعمائة ألف، وصاروا يبنون حتى بلغ عنان السماء. ومع ذلك يركب على بغلته ويصعد إليه، وكان طوله ما شاء الله. ولكن تجبّر وقال: **﴿أنا ربكم الأعلى فأخذه الله﴾** (الآية)، يعني أمر الله جبرائيل ـ عليه السلام ـ فصفق ذلك الصرح بجناحيه[2]، فسقط عن يمينه وشماله وأمامه وخلفه، فهدم من كل ناحية ستمائة ذراع، وتم عمله حتى وقع، أنظر للآيات وتفسيرها[3].

قال[4] ، قلت له : أخبرني عن مصر في أي وقت بنيْتْ؟ قال له: يا بني، قبل الطوفان، قلت له: وما تاريخ بنيانها؟ قال لي: في زمان شيت ابن آدم.

---

(1) في (ج 2) ويبدعي = يَدْعي (بدعو).
(2) في ج 2 (جناحه).
(3) كل الخبر عن فرعون والشيطان الخ. ساقط من (ف).
(4) (قال) ساقطة من ج 2.

الخبر عن غدامس وطرابلس

قلت له: بقي لي أن أسألك عن غدامس، قال لي: لا تكلّ ولا تفتر عن السؤال مما كان عندي علمُه بلّغته لك. قال: غدامس رجل عجمي مرّ مع ذي القرنين بجيوشه فتوفي فبقي عَلَم عجمي في ضمير عربي، كما تقول في اليوم الذي قبل يومك: أمس، وأكلك صباح: غداً، فاستخرج كما قيل[1].

قلت له: أخبرني عن طرابلس. قال: عَلَم على قبر يهودي[2]. فلما جون[3] بني عباس الذين يسكنون بر الترك ووليته[4] منهم، وكانت قبل ذلك مدينة نصارى خربت زمان عيسى، وكان أميرهم يقال له روبيل، وقد جمع مالاً كثيراً فلم يجد وارثاً، فحفر له غوطاً[5] ودفنه ووضع كتابة عليه في صخرة منقوشة مضمون ذلك/ : مالي تحت هذه الصخرة فمرّ رجلاً يوماً [125] فوجد هذا الكتاب فقال: ولا بد نسكنها بإذن الأمير. فأتى إلى السيد مصطفى بن عثمان ، وقال له : نريد أن نعمر قرية طرابلس ، ونكون لك عوناً على النصارى، فقال له: عليك بها. فأخذ معه أربعون رجلاً ونزلوا بها، فحفروا ذلك الركاز[6] فخرّجوا منه ما كفى الأربعون، فسميت لذلك منشيه. وأما الثغر فكان عامراً من زمان ذي القرنين. اعقل القصّة يا مسكين![7].

---

(1) في (ف) قصة الرجل الأعمى وغدامس أوردها (فيرو) مختصرة، وهي أن الرجل مات ودفن في الموقع الذي يحمل اسمه وهو (غدامس)، ويعني العدواني أن الاسم (غدامس) مركب عربياً من كلمتي (غداً) و (أمس).

(2) في ج 2 (قرب) بدل (قبر). وفي (أ) وج 2 (يهودياً) بالنصب.

(3) كذا (جون)، أي جاؤوا، وفي بعض اللهجات المحلية توجد هذه الصيغة.

(4) أي ولايته.

(5) في المصطلح المحلي بسوف: الغوط هو غابة أو مجمع النخيل، وهو أيضاً المنخفض الخصيب من الأرض.

(6) في ج 2 الركان.

(7) أوردت (ف) قصة طرابلس باختصار أيضاً على أنها كانت مسكونة بالنصارى، ثم حل ←

أصل قسنطينة

قال[1]، قلت له: أخبرني عن اسم قسنطينة ما هو؟ قال لي: كانت شجرة في أعلى جبلها تسمى المخبرة، وكانت كثيرة الأغصان وتسمى قصنطينة وكان حول جبلها قصور كثيرة، وكان موضعها لا يُسْكَن، وكانوا جميع النصارى أهل القصور يعبدونها، وإذا وقعت سرقةُ مالٍ في ذلك القصور يأتوا إليها بغربان ويبيتون عندها ثم تكلمهم وتقول لهم السرقة عند فلان. وهكذا حتى شكت السراق لبعضهم بعضاً فحملوا جميعاً بالفيسان، وقالوا: نقطعوها! ثم تكلمت لهم: أعطيكم عهداً لا صرت أخبر عنكم أبداً. فتم عملهم على ذلك[2].

قلت له: في أي زمان هذا؟ قال لي: زمان بخت نصر الجبار الذي خرب بيت المقدس كما هو نص الآية.

عن غرس النخيل

قلت له: أخبرني عن من غرس النخيل؟ قال لي: هابل بن آدم (عليه السلام)[3]. قلت له: وما اسم النخلة التي غرسها؟ قال لي: لما خلق الله آدم بقي شيء من طينته فخلقت نخلة، فلما نظر إليها آدم قال لها: كيف أنت ومِمَّنْ خُلِقت[4]؟ قالت: منك كُنْت، فسميت

= بها اليهود في عهد مصطفى بن عثمان. والعدواني يشير بذلك إلى دخولها تحت حكم العثمانيين.

(1) (قال) ساقطة من ج 2.

(2) ترجم (ف) قصة قسنطينة بتفاصيلها. وعلق في الهامش على ذلك بأن الأهالي يجهلون أصل التسمية الرومانية = سيرتا وقُسْطَنْطِين... وأنهم استعملوا لاسمها ثلاث صور: قصر الملكة (تينا)، وقصر التين، وقصر الطين.

(3) ما بين القوسين زيادة من ج 2.

(4) في ج 2 (مما خلقت).

(كِنْتَ)[1]. قلت له: في أي موضع غرسها؟ قال لي: في وسط الارضاء[2] قلبها بين الحرارة والبرودة/ موضع يقال له النخلة بين الصين وأرض [126] بابل.

قلت: أنا عبد الله أرى كثيراً من ألوان التمر، قال لي: يا بني من زمان آدم إلى زمان نوح ـ عليه السلام ـ (كِنْتَ)، ومن الطوفان نبتت عمارة الأرض فسميتْ (عَمّارِي)[3].

قلت له: ما لي أرى النخلة تحب الاتساع؟ قال لي: نعم فإنها تكلمت لاختها لما وُضِعتْ قربها قالت لها: يا أختي باعدي عني فإني أنكر الظل[4] في الشتاء وأحب الماء البارد في الصيف لعِرْقي وأحب الشمس فيه لورقي. فإني أنكر الظل والقرب، والذي تأتيه ونأتي به وحدي. أعقلتَ الكلام؟

شبه الولد والارزاق

قلت له: أخبرني عن حال[5] الولد تارة يشبه أخواله وتارة يشبه أعمامه. قال له: إذا قرب الزوج الزوجة، فإن علا ماء المرأة على ماء الرجل يكون الولد يشبه أخواله. وإن علا ماء الرجل على ماء المرأة يكون يشبه أعمامه.

قلت له: أخبرني على الارزاق، هل تأتي لصاحبها أو هو يأتي إليها؟ قال لي: ألم تسمع لقوله عليه الصلاة والسلام: إن الله خلق الأرزاق قبل

---

(1) بكسر الكاف وسكون النون وفتح التاء. وفي ج 2 جاءت العبارة هكذا (منك أنت تسميت كنت).
(2) كذا في النسختين (أ) و ج 2 الإرضاء.
(3) (عمّاري) نوع من أنواع التمر.
(4) في الأصل (أ) و ج2 الضل.
(5) في ج 2 (أحال).

الأجساد بألف عام، وأمرها أن تتعلق بين السماء والأرض فعلقت، فأرسل الله عليها ريحاً فصفقتها يميناً وشمالاً، فصار من الناس من يكون رزقه عند باب داره ومنهم من يكون بألف موضع.

عبد الكريم الطرابلسي والطرطوشي

حُكِي عن عبد الكريم بن رافع الطرابلسي أن أباه كان ذو مال ونخيلاً وأرض حارثة، ومَلَك جبال الزعفران، وصار معروفاً. فلما توفي ترك ابنه رافع بن عبد الكريم وجمع جميع ما خلّفه أبوه، فصار يتصرف فيه، فلم تساعده الأيام. فما تم عليه أعواماً قليلة حتى نفد جميع ما عنده من المال، فباع جميع عبيده وأثاثه حتى دار سكناه/ [127]، فبقي على ذلك مدة وهو في غاية الفاقة والاحتياج يخمم جميع أوقاته، حتى حدثته نفسه بأن أمضى إلى سيدي عبد الله الطرطوشي، واطلب منه الاستخارة. فمضى إليه وحدثه بما كان عنده وأبيه[1]، فأشار إليه: أخرج من هذه البلدة لعل الله يسقط عليك رزقك.

قال: فمضى إلى زوجته، فقالت له: ما لي أراك مهموماً مغموماً؟ فقال لها: يا قرة العين، وكيف لا أكون مغموماً ولكِ يوماً ونصف ما أكلتِ شيئاً؟ فقالت له: وما الرأي عندك؟ قال لها: الرأي عندي أن أخرج من هذه البلاد وأنا قد رأيت حظي قد صغروه ولم يكن لي لا أم ولا قريب[2]. فقالت له: لا تخرج حتى نصل سيد من السادات وأطلب منه الاستخارة لك الله، وتنظر إلى حالك لقوله عليه الصلاة والسلام: لا خاب من استخار ولا ندم من استشار. قال: قد استشرت السيد عبد الله الطرطوشي، فأشار علي (هو)[3] بالخروج.

فقالت: إياك إياك! ثم عوّل على السفر فدخل البلاد، وأتى إلى رجل

---

(1) في (أ) وإليه.
(2) في (ج 2) لم يكن لأمي ولا قريباً.
(3) كلمة (هو) زيادة من ج 2.

كان يحبه فسأله الزاد، فأعطاه اردبا[1] وهو يبكي: يا صاحبي تركتني فريد، ولكن مهما عولت على السفر فادخل البحر، ولي نصف مركب فاركب فيه من غير أجرة. قال فرجع إلى زوجته وأخبرها بالقصة، فقالت: نِعْم الرأي.

ثم جمع ما عنده وركب هو وزوجته وأبناه ذكور، وأطلق صاحب المركب قلاعه. فقال له: أين تريد يا هذا؟ قال: أريد مصر، قال فمشى يومين في البحر فلاقته حيةٌ من حيات البحر، فَتَعَرَّضت[2] للمركب فأبلعته ومَنْ فيه، فاستغاثوا الله فأغاثهم، فقذفتهم. وخرجوهم[3] والمركب من بطنها/ [128] فأخذت حرارةُ البطن العودَ السفينة فبادت، فانكسرت على سبعة قطعات. فمنهم من غرق في البحر. ومنهم من حمله لوح، وصار كل واحد في ناحية ولا يدري السالم من الغارق. وأخذ رأيس المركب ما فضل، وصار يقذف به حتى وصل سيدي منصور[4]، فاستراح عنده أياماً إلى طرابلس، وهكذا تم العمل.

وأما ما كان من الرجل المعروف بقصة الخبر، حمله لوح من المركب وصار طائراً به حتى وصّله إلى جزيرة في البحر، فنزل بها بعد خمسة أيام لا أكل ولا شرب، في غاية الدرك والهم، فبعد يومين أحس بالجوع، فقام ينظر بوسط الجزيرة وإذا بطائر يحوم، فقال: لا بد أن أصل إلى الطائر لأنه لا يحوم[5] إلاّ على الماء أو خاطر[6]، فمضى إليه فوجده جالساً على شرافة قصر، فدنا منه فإذا هي مدينة خالية من السكان لها أربعون زقاقاً كل زقاق فيه مائة دار.

---

(1) في (ج 2) أرديا.
(2) في (أ) و ج 2 تَوَضَّت.
(3) كذا، وهي خرجوهم.
(4) هناك عدد من الأماكن تسمى سيدي منصور، ومنها واحد في جبل بالخير بين قفصة وقابس وآخر في سفاقص، ولعل الأخير هو المقصود هنا.
(5) في (ج 2) يحرم.
(6) الخاطر يعني به الإنسان.

قال: فدخلت الدور لعلّي أجد شيئاً من الطعام أقتات به، فدخلت أول قصر فوجدت فيه مالاً كثيراً من ذهب وفضة وأواني من الفضة والسلع وأمر[1] وفراشاً من القماش الغالي عليها، وخرجت منه وصرت أدخل داراً بعد دار حتى وجدت[2] قصبة السلطان فدخلتها فوجدتها قائمة كأنّ صاحبها خرج منها أمس، ودخلت بيتاً بعد بيت ولا عندي همة إلا بالطعام فلم أجد شيئاً إلا الذهب والفضة والأواني والفراشات واللباس، ووجدت فيها نهراً يجري على الصخر فذقته وأنا جائع الأكباد فإذا هو أحلى[3] من العسل وأبيض من الثلج، فخرجت منه وأنا حيران من الجوع.

فخرجت خارج البلاد فوجدت خروبها[4] فيها الثمار فأكلت وشربت وحمدت الله على ذلك، فبقيت في المدينة وحدي وألوّج[5] وحدي/ . ثم [129] قلت في نفسي: لا بد أن أخرج إلى شاطىء البحر لعلي أجد خاطراً يؤنّسني، قال فخرجت وإذا بمركبين مارين بقربي فأشرت إليهم فأتوا إلي[6]. فلما نظروا إلي قالوا: كيف أنت بهذا الموضع الخراب؟ كنا نعرفوه من زمان قديم، جزيرة من غير ساكن. فقال لهم: لا بد.

قال لهم: ما عندكم من السلع؟ قالوا: الفول والزيت والدقيق، وعندنا أَمَةٌ معيوبة نريد بيعها ببلاد الروم. قال لهم: كيف بيعكم؟ قالوا له: الريال بمثله مرتين. فقال لهم: قبلت ما عندكم، ثم أمر بإخراج ما في المركبين. فخرّجوا جميع ما فيها وقبضوا مالهما وانصرفوا راجعين إلى وطنهما.

فلما عوّلوا على السفر، قال لهم: إن لقيتم مسافرين أخبروني[7]، قالوا

---

(1) كذا في (أ) وج 2، (وأمر) دون أن نعرف لها معنى. ولعلها (وافر).
(2) في ج 2 (حتى قصبة السلطان) بدون كلمة (وجدت).
(3) في ج 2 (أحرّ).
(4) أي الخرائب.
(5) ألوّج يعني أبحث، وهي في ج 2 (والوجه ولد) ولا معنى لها.
(6) في ج 2 (فأتوا بيرّ).
(7) كلمة (أخبروني) ساقطة من ج 2.

نحن؟ قال لهم: كذلك، ولكنه لو تجدوا لي أربعين عبداً لكان خيراً قالوا حباً وكرامة، قال: فانطلقوا مسرعين فرحين بقرب المسافة والربح الكثير، فنزلوا على موضعهم، فتسوقوا السلع واشتروا خمسون عبداً ورجعوا إليه مسرعين[1]، فاشترى منهم مثل الأول، فقالوا له: رأينا منزلك، فقال لهم: هنا فيه كفاية.

فلما عوّلوا على السفر، قال لهم: لو تجدوا من يسكن معي لكان له عندي حظاً كبيراً، أعطيه داراً وسانية، فقالوا له: وكيف؟ قال لهم: هذه مدينة خالية ورماني الريحُ إليها، فوجدتها على هذه الحالة، اسكنوا معي واختاروا الديارَ قالوا: نعم.

فدخلوا إلى المدينة فوجدوها خالية، فاختاروا دياراً من المدينة، وقال لهم: أنا عبد الله أميركم، قالوا: حباً وكرامة. وأمر بالعبيد أن يقف معه حيث قام[2]. وبأيديهم السلاح وهكذا، قال: والعلجيات[3]؟ قال لهم: اليوم صرنا أخوة أنا أميركم/ وأنتم وزراء، قالوا: نعم. ولكن امضوا إلى (العمارة) [130] وأتونا بمن هو فقير وقليلُ مالٍ يسكن معنا. فركب كل من حب بناحية حتى كان أياماً عديدة، نزلوا على المدينة فأقام الأمير فأعطى لكل واحد دار، وشرطوا نصفها له خوفاً من كثرة الناس، ولا يجدوا من يسكن. فأتوا إليه بأربعمائة رجلاً كلهم[4] بأزواجهم. وبقي أميراً[5] هو والرجلان أصحاب التدبير، وصارت[6] الناس تأوي إليه بالبيع والشراء.

(1) (مسرعين) ساقطة من ج 2، وفيها مسافات بدل مسافة.
(2) أي أقام.
(3) كذا في النسختين (أ) و (ج 2)، وهو سؤال بدون جواب.
(4) كلمة (كلهم) ساقطة من ج 2.
(5) في (أ) أمر.
(6) في (أ) وج 2 سارت.

صاحب طرابلس وصاحب مدينة العمارة

حتى أتى[1] إليه مولاي سعيد صاحب طرابلس بهدية من الفواكه والكسوة وفرس غالية الثمن، لأنه لم يكن له جواد[2]. وشاع خبره في جميع النواحي أنه رجل جواد كريم.

فانطلق حتى بلغ جبل بوسط البحر يقال له جبل باعرينب، به شجرة الخمس، ولا يعلمها الناس، فوجد بها امرأة باهية المنظر عارية الجسد، لها سبعة أعوام، تأكل البقول وهي غريبة، فسألها عن حالها، فقالت: يا سيدي كنت زوجة رجل، وركبنا البحر فانكسر مركبنا فغرق من غرق وسلم من سلم، وهذا حالي كما ترى، فقال لها: زوجك غرق؟ قالت: الله ورسوله أعلم، ولي ولدان هنا، ولا أدري ما فعل الله بهم. فقال: اركبي معنا لعلنا ننزلوا العمارة، ونسأل على زوجك، وهذا الذي قاصده رجل جواد كريم وحسن[3]، ويمنّ عليك بشيء من الحطام[4].

قال: فركبتْ معه، وسار حتى نزل على المدينة، فبلغ الخبرُ صاحبَها أن صاحب طرابلس أتى إليك بهدية قاصد الزيارة، فبعث إليه بالترحيب. وإذا به دخل عليه فوجده رجل حليم كريم، صاحب عدل، قاضي وأمير، فلا يعينه أحد على مصالح العباد والبلاد، فقام إليه أجلالاً. وسلم عليه وقَبِل الهدية وفرح به فبقي معه إلى الليل.

فلما جنَّ الليل، قال: نريد أن نرجع إلى المركب فإن فيه أمانة خوفاً عليها من الضياع، قال له/ صاحب المدينة: فإن عندنا خدام أمناء عقلاء [131] نبعثهم يحرسون سفينتك، قال: حباً وكرامة. قال فانطلقوا إلى المركب يحرسونه، وبقي صاحب طرابلس مع صاحب المدينة طول ليله يحدثه

(1) كلمة (أتى) ساقطة من ج 2.
(2) في ج 2 (التي لا أنه لم يكن له جواباً)،
(3) كلمة (حسن) زيادة من ج 2.
(4) أي المتاع.

بالوقائع، ولم يحدثه بقصته خوف الجسارة.

فلما طلع الفجر خرج قاصد مركبه، فوجد المرأة تبكي وهي مغضبة[1] فقال لها: ما بك يا أمة[2] الله؟ قالت له: ما لي حاجة، فلحّ عليها مراراً، فقالت: لا بد من حضور الأمير. فقال: ربما راودوها عن نفسها، فقام لدار الأمير فقال له: ما بك؟ فقال له: كثّر الله خيرك في أمانتك[3] وأماتني، قال له الأمير: معاذ الله أن يغيروا[4] أوامري، ويبدلونه، قال لا بد به ـ أصلح الله حال الأمير ـ. فقام الأمير وقال: أنتم أولادي، وقامت المرأة وقالت: أنتم أولادي، وأنت زوجي، وتصافحت العباد في دار الأمير، وهما يبكيان على ما جرى بهما، فكفل المرأة ودخلوا دار الأمير وبقوا أولاده، وهكذا. فافهم ولا غرابة في أمر الله مسبب الأسباب.

مدينة طنجة ومدينة الجزائر

وكما حكي أن رجلاً بمدينة طنجة كان أبوه ذو مال، وقد توفّى، ولحقه الفقر الكبير حتى كاد أن يسأل أبواب البيوت. فقال يوماً في نفسه: نستخير لِلّه ليلة لعل الله يفرج ما بي من هذه الفاقة، فنام على مهاده وفراشاً طاهراً. فلما كان بين النوم واليقظة وإذا برجل يقول له[5]: إن كنت تريد الغنى فانطلق إلى مدينة الجزائر تجد مالك بها وغناؤك[6] فيها، قال فقام مرعوباً.

فلما طلع النهار سأل: هل من ينطلق إلى الجزائر؟ فقيل له هَاهُ ركب سيدي أبو مدين الغوث (رضي الله عنه)[7]، قال: فانطلق معهم حتى بلغوا

(1) في ج 2 مغضبة.
(2) في (أ) يا أمانة الله.
(3) في ج 2 (في أمانتك غير وأمانتي الخ). ومعناها يوضحه جواب الأمير بعد ذلك.
(4) في (أ) غير بالمفرد أو بالمجهول.
(5) في ج 2 (يقول لي).
(6) من الغنى.
(7) الدعاء بين القوسين زيادة من ج 2. وهو يعني أبا مدين الغوث، دفين تلمسان.

الجزائر، فأخذ كلٌ واحد إلى ناحيته[1]، وبقي لا يدري أين يذهب، وصار [132] يلوّج ولا يدري أين يقصد، حتى/ جنّ الليل. وإذا بصاحب الحرس[2] إنهم يلوجون في أزقة الجزائر، وإذا برجل يمشي ويقف، فتسابقوا إليه فقبضه[3] بالكف، فسأله عن حاله فقال لهم: غريب، ولا نعرف في المدينة أحد، قالوا أوثقوه إلى طلوع النهار، نجتمعوا به إلى حضرة السلطان.

فقال لهم (السلطان): ما هذا؟ قالوا: رجل وجدناه البارحة يطوف في الأزقة فسألناه عن حاله فقال: غريب، فأبقيناه وهَاهُ بين يديك، اصنع به ما بدا لك، قال: فسأله عن حاله، فقال: يا سيدي، مجنون أصابني الفقر وصار خاطري يحدثني حتى قال لي في النوم: مَالُكَ بالجزائر، فصدقْتُ الرؤيا واتبعتها، فصار السلطان يضحك عليه، ويقال: ما هذا إلا مجنوناً، اعطوا[4] ألف وقية يستعان بها على فقره. فأقام[5] صاحب الخزنة فأعطاه ألف وقية[6] وكساه كسوة حسنة.

ثم قال له: يا بني من اليوم أنبذ قول المنام، لأني كنت نائماً[7] ذات ليلة وإذا برجل يأتيني عند أذني ويقول لي: انطلق إلى طنجة، وادخل من الباب الأيسر، وأقصد الدار التي عند المنارة التي بابها حولي ولها ثلاثة أباباً باباً حديد وباباً نحاس والثالث من عود، وللدار أربعة بيوت، فإذا أدخلتها فاقصد الدار التي عن يمينك، وفيها سرير، قَلِّع رجل السرير واحفر تحتها تجد قناطر من الذهب، وها إني نَبَذْتُ مقالة المنام، واترك هذه الحالة، لأنها فاسدة. وأظنك رجل عاقل، والفقر يهول العقلاء.

---

(1) أي اتجه كل واحد إلى مقصده.
(2) في (أ) و ج 2 (الحرص) وفي نسخ أخرى كذلك.
(3) أي الحرس. وفي (ج 2) قبضوه.
(4) في ج 2 (أعطونا) وهي اعطوه. ويقال = قال.
(5) (فأقام) ساقطة من ج 2، والمعنى قام.
(6) في ج 2 (قرية) بدل وقية.
(7) في (أ) وج 2 (قائماً) بالقاف.

قال وهو يحدثه وينعته على داره، وكل العلامات فهي بداره[1]، قال: فسلم عليه وأخذ ما أعطاه، وانطلق إلى طنجة، فدخل على عياله وأولاده فأعطاهم ألف وقية، ودخل الدار التي نعته عليها، وأتى إلى البيت التي فيها السرير، فقلّع رجل السرير وحفر فوجد ما قال له صاحب الجزائر.

ثم أتى إلى زوجته وقال لها:/ اتركيني نام في هذا البيت لأني تاعباً من [133] السفر، فقالت له: على رأسك، ثم صار يحفر فوجد فيها مالاً لا يحصي عدده إلا الله. فلما قلّعه وصار بين يديه نادى زوجته: يا قرة عيني، هلمّي وانظري إلى قدرة الله كيف يحيي من مات. فأتت إليه ونظرت ما معه من المال فصاحت صيحة[2] وغشي عليها، ثم فاقت وقالت له: من أين لك هذا يا قرة العين؟ فحدثها بما رأى في المنام، ففرحوا به فرحاً شديداً وذهب عنهم ما هم فيه من الجوع والفقر، انظر العجائب والغرائب، فافهم يا مسكين، واعقل قول العقلاء، لأن الأرزاق تأتي إلى صاحبها[3].

قصة ياجوج وماجوج

قلت له[4]: أخبرني عن ياجوج وماجوج أين يسكنون؟ قال: عند الجبل الأعظم. قلت له: وما الجبل الأعظم؟ قال: حجارته جواهر لا بيع ولا شراء، بل كانت أحجاراً يبنون بها لبنة البيوت. قلت له: من أبوهم ومن أمهم؟ قال لي: أبوهم آدم وأمهم لم تكن حواء، بل نام آدم ذات ليلة على الأرض فاحتدّ فخرج مَنِيٌّ وسقط بالأرض، فخرج منه ذرية ياجوج وماجوج،

---

(1) هناك خلاف لفظي بين (أ) و (ج 2). مثلاً في الأخيرة أره بدل داره، وعلامة بدل علامات، الخ.

(2) كلمة (صيحة) زيادة من ج 2.

(3) في ج 2 (إلى أصحابها). وبهذه الكلمة انتهت نسخة ج 2 صفحة 96 وجه. وعلى هذه الصفحة سبعة أسطر فقط. ومعنى ذلك أن الناسخ كان سيواصل النسخ أو أن النسخة التي نقل منها انتهت عند ذلك.

(4) المفهوم أن الراوي صفوان يسأل الشيخ العدواني.

فلما انتبه أسفاً على ذلك الماء. وهم متصلون بنا من جهة الأب لا من جهة الأم، ولقوله تعالى مفسدون في الأرض، لأنهم يأكلون الناس، وقيل يخرجون وقت الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا حملوه إلى أرضهم.

قلت له: أهم أمّة؟ قال لي: هم أربعة آلاف أمة، وكل أمة أربعة آلاف فرقة، لا يموت الرجل ألا يرى إلى ألف ذكر من صلبه كلهم رافدين[1] السلاح.

قلت: على أي صنف هم؟ قال: ثلاثة أصناف، منهم صنف مثل الأرز، شجرة بالشام طوله مائة ذراع وعشرون ذراعاً في الطول وعرضه سواء، وهم مائة وعشرون، وصنف يفرش أذنه ويتغطى بالأخرى لا يمرون [134] بفيل ولا وحش إلا افترسوه، مقدمتهم بالشام وآخرهم بخراسان، يشربون/ أنهار المشرق وبحيرة طبرية.

الخبر عن ذي القرنين

قلت: أخبرني عن ذي القرنين؟ قال لي: كان رجل من الروم، ابن عجوزة من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر، فلما بلغ، وكان عبداً صالحاً، قال الله تبارك وتعالى: **﴿يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض﴾**، منهم الجن والإنس وياجوج وماجوج التي عند مغرب الشمس، يقال لها ناسك، والتي عند مطلعها، يقال لها منسك، وأمة في قُطر الأرض، يقال لها هاويل، والأخرى يقال لها تأويل في أيسار[2] الأرض.

فلما قال الله تعالى لذي القرنين ذلك، قال ذي القرنين: الله قد قدّمْتَني لأمر عظيم لا يقدر عليه أحد إلاّ أنت، فأخبرني عن هذه الأمم بأيّ قوة

---

(1) رافدين = حاملين.

(2) أي شمال ـ يسار.

أكاثرهم؟ وبأي جمع؟ وبأي حيلة[1]؟ وبأي صبر أناسهم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ وكيف ألغوا بلغتهم؟ وبأي سمع أسمع أقوالهم؟ وبأي بصر أنقدهم؟ وبأي قسط أعدل بينهم؟ وبأي حكم أصابرهم؟ وبأيّ عقل أعقل عليهم؟ وبأي قلب وحكمة أدبر أمرهم؟ وبأيّ معرفة أفصل بينهم؟ وبأي عمل أتقن أمرهم؟ وبأي أيد أسطو عليهم؟ وبأي رجل أطأهم؟ وبأي طاقة أحصيهم؟ وبأي جند أقاتلهم بها؟.

وليس عندي يا الله شيء مما ذكرت يقوموا لهم ولا يقوموا عليهم، ولا يطيقهم أحد إلا أنت الرؤوف الرحيم الذي[2] لا تكلف نفساً إلا وسعها ولا تحملها ما لا طاقة لها به بل أنت ترحمها.

قال الله العظيم: أشرح لك صدرك يتسع كل شيء، وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء، وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شيء، وأفتح لك سمعك فتسمع كل شيء، وأمد لك بصرك فينقد[3] كل شيء، وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء، وأشد لك قلبك فلا يفزعك شيء، وأحفظ عليك فلا يغرب عنك شيء/ وأبسط لك بين يديك فتصعد فوق كل شيء، وأشدّ لك وطأتك [135] فتهدي كل شيء، وألبسك الهبة[4] فلا يروعك شيء، وأسخّر لك النور والظلمات فأجعلها جنداً من جنودك يهديك النور من أمام وتحرسك الظلمات من ورائك.

فلما قيل له ذلك، انطلق يوماً إلى الأمة التي عند مغرب الشمس، فلما بلغهم وجد جمعاً وعدداً لا يحصيهم إلا الله تعالى وقوة وبأساً، وألسنتهم مختلفة الهواء متشتة. فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاثة عساكر فأحاط بهم من كل مكان ثم جمعهم في مكان واحد، ثم أخذ بالنور

---

(1) في الأصل حلية.

(2) في الأصل التي.

(3) أصلها فيغد، وهي فينقد أي يرى ويحكم على كل شيء.

(4) كذا ولعلها الهيبة.

فدعاهم إلى الله وعبادته، فمنهم من آمن ومنهم من صدّ عنه، فقصد الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة، فدخلت في أفواههم وأنفهم وأذنهم، ودخلت في دورهم وبيوتهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب ونخير[1].

فلما رأوا أنهم هلكوا عيّطوا بصوت واحد: الأمان! فدخلها عنوة، فدخلوا في دعوته، فجند منهم جنوداً عظيماً فجعلهم جنداً واحداً، ثم انطلق بهم يقودهم والظلمات تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من خلفهم والنور أمامهم يدلهم، وهو قاصد ناحية أرض اليمن التي يقال لها هاويل، وأنهم قوم تطلع عليهم الشمس وأنهم كانوا في مكان لا يستقر عليهم بناء، وأنهم كانوا في سراف[2] حتى إذا طلعت الشمس خرجوا إلى معاشهم وحروبهم، وقيل إن أرضهم لا تحمل البناء، وكانوا إذا طلعت الشمس عليهم تهوى في الماء فإذا ارتفعت عنهم خرجوا يَتَرَاعوا كما ترعى الغنم.

[136] وقد جاءهم جيش[3] مرّة فقال لهم أهلها: لا تطلع عليكم/ الشمس وأنتم بها، فقالوا: لا نبرح حتى تطلع الشمس؛ قال: فبقوا هنيهة[4] إذا سمعوا كهيئة المحلة فغشي عليهم.

فلما أفقتُ وجدتهم يمسحوني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء إذ هي على الماء كهيئة الزيت، وإذا طرف السماء كطرف الفسطاط، فلما ارتفعت أدْخَلوني سراباً أنا وصاحبي، فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر يصطادون السمك فيطرحونه في الشمس فينضج. قال لهم: ما هذه العظام؟ قالوا له: جيش طلعت عليهم الشمس فأتوا هاهنا فهربوا من ذلك المكان. فافهم الكلام لئلا يضيع عنك فتصير لا عقل لك ولا يكلمونك العقلاء!.

(1) كذا، ويمكن قراءتها (وتحيّر).
(2) كذا (سراف)، ولعلها سراب.
(3) في الأصل (جيشاً).
(4) في الأصل (هنيئة).

كرامات

أزيدك، حيث انطلقت مع شيخي، تأتي قصته، خبره متمم المقصود، كنت ذات يوم بمسجد سمرقنده، وجدت شيخاً عارفاً يحدث عن مطلع الشمس.

قال: كان رجل قد جاوز العين[1]، ثم سأل عن مطلع الشمس فقيل له: إن بينك وبينه مسيرة يوم وليلة. فاستأجرتُ رجل فسرت بقية عشيتي وليلة حتى، فإذا هو ما مرّ به الخبر، قلت: أخبرني عن إيوان كسرى[2] أين أحجاره؟ قال لي: يا بني لما مرّ ببغداد مثل تبع بجنوده، فنام بتلك الموضع قيل له: ابني هاهنا مدينة تكون أصلح الصالحين، فأخذ إيوان كسرى وبنى بها بغداد، فدفنوه بها وفضل خيراً كثيراً.

حديث آخر عن بناء مصر

قلت له: من بني مصر؟ قال: يا بني بناها مشلخ بن ماده، وسبب بنائها، كان يرعى غنماً له فلما أصابها البرد بنى لها عريشاً، ثم سمعتْ به الرعاة فبنوا معه، فصار نحو مائة عريش، فكان يقول: أين تريد يا فلان؟ فيقول قاصد مصر، وعندهم البناء المتفرق في لغاتهم يسمى مصره. وكان وقت بنائها/ حين كان لآدم أربعة آلاف ولد وأربعة وأربعون ولد، أتى عليهم [137] الطوفان، فكانت عامرة لوقته، فأخذها الطوفان.

فلما نجا نوح ومعه أولاده الثلاثة: سام وحام ويافث، وقيل نجا معه سبعون، وغير ذلك. فولد ليافث أندلس، فبناها، فلما ولد للأندلس أولاد فتركهم بموضع وانطلق بموضع أندلس.

(1) كذا (العين)، ولعلها التسعين.
(2) في الأصل (أوان كسرة) وكذلك ما بعدها.

الأندلس وحالتها

قلت: وأين أندلس؟ قال لي: بوسط البحري، قلت له: كم بلادُه؟ قال لي: مسيرة شهر، مسلمين، وربما يتولوا عليها الروم وتكُون روم، فإذا ظهر فيها الإسلام فهي علامة قيام الساعة، والله أعلم.

قلت له: هذا القوة ويتولو على الروم؟ قال لي: فساد رأيهم فيكون عدو لبعضهم بعضاً[1].

قال: بلدة فيها يقال: ملزم، فيها أربعة آلاف من الخيل خارجة عن طاعة الأمير سابقاً وحين جاولي بطنجة أنت قرايتي[2] علم القرآن، حدثني ثقة قومه، وكان عاقلاً، قال: قد اجتمعتْ الروم إليهم، وقالوا لهم: نحن سرنا في وسطهم، اتركونا معكم نعينكم على عدوكم. قالوا: حباً وكرامة. فبقوا فيها ما شاء الله، حتى نظرت الروم إلى تقصير المسلمين وفساد رأيهم، دخلوا بينهم الروم بالقَطْع، فصاروا يقاتلون بعضهم بعضاً ويأتوا إلى الروم ويقول لهم: أعينونا على إخواننا! فاتفق رأيهم على إعانة الروم. نحن دخلنا الجزيرة برضاكم إلا تفريقة[3] بينكم فلحّوا عليهم، فقالوا: على رؤوسكم حتى تشاور حكماً لنا.

قال: فلما كان من الغد، أخذوا الروم في مشورة حكيمهم، قال لهم لا مشورة عليكم حتى تأتوا إليّ جيفة وكلب صيد وكلب حرس وذيب، قالوا: نعم، فأتوا إليه بما أوصاهم، فلما اجتمعوا لديه طرح الجيفة وأرسل كلب

---

(1) مثل هذه الصياغة الأخرى لهذه الجملة: هذه القوة، ويستولي عليها الروم؟ قال لي: فساد رأيهم، فيكونون أعداء لبعضهم بعضاً. والعدواني هنا يصف بعاطفة شعبية وضع الأندلس في نهاية مطافها، مع عين ناقدة وبقسوة.

(2) لم نستطع قراءة ولا فهم هذه الجملة. وأصلها في النص هكذا (وحين حاولي بطنجة أنت قرابتي علم القرآن الخ) وليس عندنا نص آخر نرجع إليه.

(3) الجزيرة في الأصل الجريرة الأتفريقة. لعلها لا تفرقة أو تفريقاً.

الحرس فصار يأكل فيها وحده، ثم أتى إليه كلب الصيد بغيضه وأخذه من ذنبه، ثم صار الكلبان يتعاركان على الجيفة/ والروم [138] ينظروا في قياس الحكيم ما يكون. فلما كان (الكلبان) في المعركة وطال بينهما الشهيق والضرب باليد والفم، أرسل عليهم الذيب، فلما نظروا إلى الذيب تركوا الجيفة ولحقوا في أثر الذيب فقتلوه، فقالوا: يا حكيم ما معنى هذا المثال؟ قال: أنتم استشرتموني في القتال، تعين[1] المسلمين على بعضهم فربما يتركوا بعضهم ويأتوا إليكم، لأنكم بمنزلة الذيب والمسلمين كلبان والذيب التي وصَلَتْهم هي الجيفة، فانظر العجائب والغرائب، ما أعقل هذا اللعين! وما أبلغ هذا اللعين! وما أبلغ مثاله!.

أصحاب الكهف والرقيم

قلت له: أخبرني عن أصحاب الكهف والرقيم؟ قال لي: أصحاب الكهف رجال على الخلاف، قال تعالى: **﴿وما يعلمهم إلا قليل﴾**، قال عبد الله بن مسعود: أنا من القليل الذي له معرفة بهم، فكانوا سبعة وثامنهم كلبهم: مكسدينا، والثاني: تمليخا، والثالث: مرطنوس، والرابع: ملسبوح، والخامس: صاربيوس، والسادس: الفيش يطنونس، والسابع: دنواس، وكلبهم قطمير.

وأما أهل الرقيم فثلاثة رجال أصابهم العدو فدخلوا مغارة، فلما دخلوها سقطت على فم المغارة صخرة فأصابهم الجوع فقالوا لبعضهم بعضاً: هلموا نسأل الله أن يكشف عنا غطاء هذه المغارة، فسأل كل واحد بدعوة، فكشف الله عنهم.

قلت له: بلغني أن الصحابة، رضي الله عنهم، لم يدخل واحد منهم إفريقية أصلاً، قال: يا بني قد كذب من قال لم يدخلها أحد، وكذب من قال

---

(1) أي أن تعينوا للمسلمين.

دخلها أكثر من ثلاثين رجلاً، وكنت أعرف أسماءهم وأعرف قبورهم ومنازلهم[1].

ساكن الفيض وأتكوك والنميلة

قلت له: أخبرني عن ساكن الفيض الزاب[2]، قال لي: رجل كان أبوه من ولد الزنا وأمه أمة قِنَّة، شرابهم الخبيث بما تخالطهم، قال له: قد سموهم الناس بالنميلة، قال: بالحق، سماهم سيدي بدر الدين، بن النعمان، بن عمارة، بن سالم، بن رافع، بن أبي بكر، بن منصور، بن حامد، بن الأعرج، بن عمارة، بن نصر، صاحب رسول الله ﷺ؛

[139] / قلت له: ما السبب في أسمائهم؟ قال لي: كان في قرية اتكوك. قلت له: ما معنى اتكوك؟ قال لي: لوغة عجمية، موضع يخبّون فيه الخزائن، لأنه حدثني من أثق بخبره أن نصارى كانوا يخبّون أموالهم فيه.

رجوع إلى النصارى والأتراك وقرطاجنة

قلت له: أظنه به، إلى أن قال رجل نصراني حدثني بعد اجتماعي معه بجبل مجور قال: كان لأهلنا أربعون خزانة، كل خزنة بها قنطار من الذهب.

قلت له: هل لك أن تخبرني عن واحدة استعينوا بها على زماني؟ قال لي: لو ظهَّرتُ لك واحدة لخرَّجتُ لك جميع الخزائن.

قلت: يا نصراني، ما زالت قلوبكم تحدثكم بالدخول إلى بر الإسلام؟ قال لي: نعم، عندنا وثائق في قصب الفضة أنّا نرجعوا إلى بر العرب، وكل النصارى عندهم ذلك.

---

(1) سبق الحديث عن الصحابة الذين فتحوا إفريقية. أنظره.

(2) كذا، ولعلها بالزاب. ويقع الفيض جنوب زريبة الوادي، في بلاد عمر وبلاد بو حديجة، بين سوف والزيبان. وسكانه اليوم هم أولاد عمر وأولاد بو حديجة.

قلت: وأنت ما تريد[1]هاهنا؟ أظنك لم يعلموا بك التركي، قال لي: لم يعلم بي أحد إلا أنت، أظنك عندك مخبر يخبرك على الأحوال، ولم يكشف أحد على لثامي.

قلت: ما العلامة التي تخرج الروم إلى أرض الإسلام؟ قال لي: كثيرة، ولكن إذا قاتلت الترك بعضها بعضاً فهي أول العلامة، قلت له: أين أرضك أنت؟ قال: في قرطجنة، قلت له: أين قرطجنة؟ قال لي: بإفريقية، بينها وبين تونس إثنى عشر ميلا، وكانت دار مملكة إفريقية[2]، تضرب أمواج البحر حولها.

قلت: ومن بناها؟ قال لي: أناس من بقية قوم عاد، عمروها ألف سنة ثم خُرِّبَتْ سنة، حتى أتاها النمرود من أولاد النمرود الجبار، بناها على البناء الأول، ثم احتاج إلى الماء العذب، فبعث إلى أبيه، وكان على الشام والعراق وعمه على الهند والسند، فأرسلا له المهندسين فهندسوا له فوصّلوا له الماء إلى قرطجنة، وكانوا لما حفروا الماء وجدوا حجراً مكتوباً عليه: هذه المدينة علامةُ خرابِها ظهورُ الملحِ في مائها.

فبينما نحن ذات يوم في غدير ماء وإذا بالملح على الماء، فعندما رأيتُ من علامة دخلتُ إلى الأندلس، فما كان إلا أياماً حتى ظهر/ أصحاب الرجل [140] الذي يُدْعى بمحمّد بن عبد الله صاحب يثرب، فلما سمعوا بهم[3] نزلوا على قرية لبدة، حملوا[4] ما عندهم على كبار الروس، وتفرقوا في الزاب. فهذا حال الإنسان العاجل.

---

(1) أي ماذا تفعل هنا؟ والعدواني يتحدث عن أحد النصارى المتخفي عن المسلمين (العرب والأتراك).
(2) فيما سبق حديث آخر عن أصل قرطجنة.
(3) أي الجيش الإسلامي.
(4) يعني البيزنطيين. ولبدة مدينة معروفة في ليبيا.

ساكن الفيض أيضاً

قلت له: نرجع لك إلى أصل أهل الفيض، قال: فحرث أرضه فأصابها الماء[1]، فحمل جميع البذر وطرحه في موضع الفيض، فبعث السيد خدامه، منهم الأسود بن مهدي، وعمران الأعور، وخليفة، وعبد السلام، وإدريس: لا بد أدركوا[2] البذر أين طُرِح، فأخذوا في طلبه حتى وجدوه في هذا الموضع، فبعثوا إليه أنّا وجدناه في ذلك الموضع، لا ساكن له ولا ناصر، فقال: لا بد، فبقوا عليه حتى طاب الزرع وحصدوه وَدَرسُوه[3] وحملوه إلى السيد المذكور.

فلما أتى وقت الحراثة من العام القابل عمل السيلُ مثل الأول، مضوا في أثره كما وقع، فلما كان في العام الثالث كذلك، فقال: احملوا نساءكم وذراريكم وخذوا بيوت الشعر واسكنوا فيه عسى الله أن يكون به عمارة ما دمتُ[4] على طاعة الله ورسوله واليّ، قالوا: نعم. فأخذوا عليه العهد، وقال لهم: العشيرة وباقي البذر والشعير لكم هنيئاً، فتمّ أمرهم على ذلك، فهم في عمارة ما داموا على الطاعة[5].

أصل ليانة

قلت: أخبرني على اليانه ما معنى اسمها ومن بناها ومن سكنها؟ قال لي: ليان[6] بن كسيل بن لوزم، كلب الرومية، هو الذي لحق في أثر الصحابة

(1) الماء = السيل الذي سيذكره بعد قليل.
(2) في الأصل أدركه، فأخذ، وجده.
(3) في الأصل (وفرسوه).
(4) تقرأ في الأصل: ما دمتم.
(5) منذ الحديث عن قسنطينة إلى هناك (ليانة) كله ساقط من (ف).
(6) في (أ) لبان. وعبارة (كلب الرومية) تشير إلى أن كسيلة كان بارتداده عن الإسلام وهجومه على الصحابة، ينفذ سياسة البيزنطيين والرومية = الروم.

ـ رضي الله عليهم ـ حين دخلوا العرب، وصار كل ما يخلفوه يدفنه، حتى رجعوا وجدوا جميع المياه قد دفنت، فلما وصلوا موضع بومدام[1]، جبل بالمغرب، لحقهم العطش هم وخيولهم.

فكان رجل من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ اسمه عبدالله بن مرج، وكان مُجابَ الدعوة، فأخذ بأُذُن جواده وقال له: إن لم تصبر على الماء لشكوتُ بك إلى قبر رسول الله ـ ﷺ ـ، لأني أردت أن نسقي أصحابه. فنهض وارتعد/ فرائسه، وجدّ في السير، حتى قصر[2] بخير بن قابس بن لابس بن [141] سرية بن راهجة النصراني، فسقط في الماء وشرب هو وجواده، وحمل عليه أربعة سقاء. وجدّ في السير حتى أدرك أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ بموضع يقال له مرج اعماره[3]، ثم سقاهم جميعاً بتلك القِرَب، وكانوا أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ألف راكب.

أصل المغير

ثم ارتحلوا قاصدين المغيّر[4] حتى نزلوا عليه ثم باتوا به، فلما أصبح الله بخير الصباح وجدوا سيوفهم قد لصقها الصداد، قال عقبة: سموا هذا الموضع بالمغيّر.

استشهاد عقبة وأصحابه

ثم ارتحلوا قاصدين اللعين كسيل بن لزم وصاحب جبل البرابر[5]، فلما

---

(1) أسقطت (ف) اسم هذا المكان واسم الصحابي المذكور بعده (عبد الله بن مرج ـ سرح؟) كما سيذكره بعد، وكذلك اسم النصراني ومرج عمارة الخ.

(2) تقرأ (قصي) ويمكن أن تقرأ أيضاً (قصر) حسب الرسم.

(3) مرج عمارة قيل إنه موضع ناحية خنشلة.

(4) هذه القصة ساقطة من (ف). وهو يعني بارتحلوا: الصحابة. والصداد = الصدأ.

(5) أي جبل بني بربار.

وصلوا إلى موضع القيروان الغربي وجد صاحب طولقه وتهوده وبادس والزريبة والبربر وجبل أوراس وأم العز والمجانة واليانة وقصر بادس في خمسة عشر ألف[1]، وقصدوا أصحاب رسول الله - ﷺ -.

فقال عبد الله ابن رواحة: يا عقبة لا بد أن نبنوا قيروان[2] ونكونوا به خشية أن يصيبنا أعداؤنا على حين غفلة منا؟ قالوا حباً وكرامة، فأمر ببنيان القيروان وسكنوا به، فلما فرغوا من البناء وإذا بالأعداء هجموا عليهم، وتقاتلوا قتالاً ذريعاً، فمات عقبة الأمير، وتولى الجيوش عبد الله بن سرح، وتقاتلوا سبعة أيام، حتى أعان الله الإسلام ومات عدو الله كيل بن لزم، ومات معه خلقاً كثيراً.

وقال عقبة عند موته: لا بد من عبدي صولة[3]، لا يبرح من قربي أبداً، وإن ندعو الله أن يجعل له سطوة في الزاب ولا يغلبه غالب إلا الله.

اسمع واعقل بإحسان واحفظ العلوم، من لم يكن عنده شيئاً من علوم الأخبار فقد نقص نصف علمه. هكذا حدثونا الشيوخ[4].

---

(1) في (ف) 25000 خمسة وعشرون ألفاً. وليانة، مع سقوط عبارة (قصر بادس). والمجانة بدل المحانة. والمقصود أهل أو أناس هذه القرى، أي أهل بادس وأهل الزريبة الخ.

(2) تارة القيروان وأخرى القروان فوحدناها، وقصة استشهاد عقبة بن نافع وبقاء كسيلة سنوات بعده معروفة في كتب التاريخ وليست كما ساقها هنا. وقد سبق له ذكر استشهاد عقبة في تهودة ـ انظرها.

(3) المقصود (بصولة) هم أولاد صولة المعروفون اليوم. وعلق فيرو في الهامش بأنهم حكموا مدة طويلة من قسنطينة إلى الزيبان، وبعد تقلبات سياسية طردوا من التل فلجأوا إلى الصحراء حيث بقاياهم إلى وقته هو (نصف القرن 19 م).

(4) اختصرت (ف) القصة كما جاءت في (أ).

أصل بسكرة

قلت له: أخبرني عن بسكرة؟ قال لي: الاسم الحقيقي سَكْره[1] قبل نزول/ بسكر بن كاهل، بن لوى[2]، بن قربص، بن شالح، بن كبيب، بن [142] كزبرة، بن قالي، بن فاهر، بن سرساب، بن لامح، بن كعب، بن سلام، بن عجاج، بن خباب، بن العيص، بن إسحاق، بن إبراهيم[3] على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

فلما مر ذات يوم أعجبه هذا الموضع، فسأل عنه: ما اسمه؟ قالوا[4]: سكر. فقال: لا بد أن نبني بها ديار، فبنى بها وصلح حاله مع هذا الموضع، وبقي بها إلى زمان عملاق الأصفر، وكان عملاق هو أبقى الكهانة[5]. فخطب ابنة بسكر فأعطاها له، فلما نزل عنده قال: اشركني في هذه البقعة، قال له: اذهب، فإني لا نشارك أحداً، فهذا موضعُ عِزّي، وقد أعجبني.

فلما أيِس منه رجع إلى جبل الدكان[6] ونزل به، فلما رجع من عند بسكر قال: لا بد احمل زراعتي الدفلا ليكون أرضه الذي أعجبته ولم يشاركني فيها أرض وباء[7]، فلما وضعها بها نزل بها الوباء فهرب أكثر الناس

---

(1) أضاف إليها فيرو من عنده عبارة توضيحية وهي (أي مدينة سُكَّرة ـ من السكّر أو سَكْره = تعاطي الخمر).

(2) في (ف) بسكرة بن كاهل بن لؤي إلى سيدنا إبراهيم، دون بقية النسب مكتفية بوضع نقاط علامة الحذف.

(3) اختصرت (ف) هذه السلسلة وعوضت الحذف بعدة نقط دون التنبيه عليه.

(4) في الأصل قال.

(5) في (ف) ملاق (بدل عملاق)، سيد الأوراس وأبو الكاهنة، وهذا بخلاف (أ) التي فيها عملاق الأصفر. . . هو أبقى (أو ابن أو أبو) الكهانة (وليس الكاهنة).

(6) جبل الدكان (الدخان) في (ف) أنه يقع بين تبسة والأوراس. وقد أفادنا البعض بأنه بين تبسة والماء الأبيض.

(7) أحمل = أجعل، الدفلا = الدفلى، وباء مكتوبة (وِجاء) بكسر الواو، أي الضعف والهزال.

عليه، فحمل جنوده ونزل عليه. ووقع ما وقع بينهم من القتال، ولم يبلغني عدة من مات منها.

فخرج من بلاد بسكرة رجل يقال له أسيد بن كاهن بن سالح[1]، وكان من عرب النصارى، ولا بد أن الساكن العربي أصحاب محمد بن عبد الله لأنهم مثلي، فاشترى طرفاً من عين أبو سارية ونزل بها إلى مدينة القيروان المغربي[2]. فأتى به إليه، وبقت إلى زماننا تجري عليهم.

أنظر الغرائب ليكون لك حظاً في العلوم. قال: ورجع بسكر إلى موضعه، وبقي بها الوباء.

أصل الخنقة

قلت له: أخبرني عن الخنقة، من بناها؟ قال لي: رجل عدوان[3] جدد بناءها، وكان قبل ذلك بناها العرفيط[4]. فوجد أرضها لا تصلح للزراعة وقال: هذه أرض نخيل، والنخيل صاحبه قليل الماء قليل الحظ، فتركها وانتقل حتى نزل بجبل أوراس. وهو الذي يعرف بجبل بني عمار، أعني العمامرة، وبقي بها في الخنقة حتى يأتي مقادير الله[5] كيف/ هو. [143]

(1) في (ف) أسيد بن كعان بن سالم.
(2) سبق أنه القروان الغربي.
(3) في (ف) المسمى عمار من أولاد عدوان. يفهم من هذا أن العمامرة من عدوان (من العرب).
(4) في (ف) المعنى العفريت (الجن).
(5) هنا زيادة طويلة في (ف) تمتد عبر عدة صفحات فيها الخبر عن سكان جبال العمامرة (الأوراس)، والمدن الثلاث في سفحها وهي: باغاي، وخنشلة، وقساس (قرب شمورة). وكانت مسكونة بالنصارى. ثم تحدث عن بني توجين وأولاد راشد ومواطنهم في الصحراء وحول الأوراس ومن تفرع عنهم، وعن المجاعة التي حلت بالمنطقة وأجبرت سكانها على التشتت، باستثناء أولاد داود. ثم تحدث عن أولاد صولة، وعن عبد الصمد الشابي وقيادته للنمامشة وغيرهم، وحروبه في ناحية =

وادي ريغ واللمامشة

قلت[1] له: أخبرني على أهل واد ريغ، ممن هم؟ قال لي: عبداً للمامشة، هرب حين أخذوهم العدايسي.

قلت: وما معنى اللمامشة ومن أين هم؟ قال: والدهم جالوت، وتفرق الحال حتى نفذ ما سبق في علم الله، آخرهم من نفزاوة إلى جبل الملاهي[2]، ولا زالت القدرة حتى كثرت رجالهم، وكانوا أربعون قبيلة، ولا يزالون يختارون البقاع حتى إلى موضع قسنطينة، فنزلوا بها أمراء، واختلف رأيهم.

فأتى إليهم رجل كبير قد أحنى الكبر ظهره وبيده عصا، فقال لهم: اقبلوا قولي، كل عام يتولى واحد أمر القبائل يكونوا لكم الرضى وتكونوا أمراء. قالوا بأجمعهم: هذا هو الرأي، فتم أمرهم وعملهم على ذلك.

فلا زالوا كل عام يتولى واحد من قبيلة، فلما فرغوا الأربعين، وإذا بالعديس[3] بن نون، بن ماردس، بن مساعد، بن نصر[4]، بن أبي بكر، بن الأعوج، بن ساهم، بن عير، بن كثير، بن الأصهب، بن عمارة، بن

= الأوراس الخ. وبالإضافة إلى ذلك علق فيرو بسطور من عنده عن أصول بعض القبائل والعقائد سائراً في ذلك على هواه الشخصي دون ذكر المصادر. ولذلك فنحن نشك في بعض المعلومات التي أوردها في الصفحات المذكورة، ويبدو أنه كان يتصرف بين الترجمة من العدواني والإضافات الأخرى من عنده، باستثناء ما نسبه لابن خلدون وغيره. (انظر ترجمتنا للصفحات الزائدة عن نسخة فيرو، في آخر النص.

(1) هذا النص يأتي في (ف) بعد الحديث عمن دخل إفريقية من الصحابة. وهناك ثماني صفحات تحدث فيها (ف) عن سكان الأوراس وحوادثه من العدواني. وينهي الصفحات بالسؤال عن أصل اليهود.

(2) يكتبها فيرو الملاه أو الملاح.

(3) في (ف) عدّاس.

(4) (بن نصر) ساقطة من (ف).

مصعب، بن لاوي، بن غالب، بن طاهر، بن خليفة، بن عثمان، بن عمر، بن منصور، بن رافع، بن عثمان، بن عفان[1] ـ رضي الله عنه ـ نزل بهم وقال: أنا واحد منكم، وقال: فتزوج منهم بنتاً[2]،وصاروا واحد من قبيلة العواصي[3].

حوادث قسنطينة وتدخل أتراك الجزائر

فاحتاج إليه القبائل، وقالوا هذا رجل غريب نبعثوا إلى دار الجزائر ويحكم بيننا، والله يعلم. فنحن قد رضينا بما صنع[4].

قال: فلما بلغ هذا الجزائرَ حدَّث صاحبَها بالواقع، فقال: اشهد عليّ إني قد عزلتهم عن الولاية أبداً، لأن الفساد له معادن معروفة. هلمَّ أنتم نوليك على قسنطينة وتعزل صاحبها، لأن الولاية واحدة، وهذا جم كثير، فتولى العدايس وألبسه الجزيري[5] الحرمة وفوض له أموره، وتم العمل.

فلما وصل إلى قسنطينة أثبت أهل الطريق[6]، فلما وصلوا إليه قال لهم: عَزَلَكم جميعاً/ ، وقد ولاّني على رقابكم، ولا بد. قالوا جميعاً: [144]

(1) ابتداء من اسم (الأعوج) حذفته (ف) ووضعت نقطاً، إلى اسم (عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه).

(2) في (ف) بتا من اللمامشة.

(3) في (ف) العواسي، وأصلها في (أ) العاصي.

(4) في (ف) تعليق، وهو أن كلام العدواني قد يؤكده ما جاء في كتاب (الغزوات) من أن خير الدين بربروس عندما كان في الجزائر تقرب من دريد والنمامشة وتحالف معهم بعد أن استولى على تونس. ولاحظ فيرو، كعادته، أن القرصان التركي (يعني خير الدين) قد استرضى العرب بالهدايا الثمينة إشباعاً لنهمهم وحبهم للمال، لكي يقبضوا على الحسن الحفصي.

(5) في الأصل الجزيرة، وهي الجزيري = الجزائري أي الحاكم.

(6) في (ف) جمع أعيان البلاد.

معاذ الله أن نولوك على رقابنا، قال لهم: هذا أمر قدره الله، ارضوا يا مساكين بقسمة الله تعالى، فأبوا.

فلما كان بعد أيام تحدثوا على قتله، فقتله سعد الرشاش[1] ومعافة. وانتقلوا من البلاد، ثم نزلوا على الجبال وهربوا، فسمع بهم الجزائري ونفذ جيشه إليهم، فوجدهم هربوا باقيهم إلى موضع يقال له سبخة قارك ومحمل الكبير[2]، فأدركهم هناك فتلقوه بالقتال، فمات من الجزائر مائة تركي وستون عربي، ومات من العواصي ثلاثة وخمسون رجلاً وستون فرساً، وافترقوا.

ثم كان من الغد، تلاقوا، وذلك من قبل طلوع الشمس إلى صلاة العصر، وقد مات من الجزائر مائة وسبعون تركي وثلاثمائة عربي[3]، ومن العواصي ثلاثمائة رجلاً ومائة وخمسون فرساً[4]. ثم كان من الغد، تقاتلوا قتالاً ذريعاً وذلك من قبل طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ومات من الترك ثلاثمائة ومن عرب الجزائري سبعون، ومن العواصي خمسمائة رجلاً وسبع من الخيل[5]، وانفصلوا.

ثم كان من الغد، أخذ كل واحد ناحيته وتلاقوا، وقد مات من الجزيري مائتين تركي وخمسة وستون عربي، ومن العواصي سبعمائة رجلاً ومائة فرس، فأخذ كل الفريقين التعب والنصب. وقد فشا فيهم الجراح، فكان في الجزيري ألفين جريح، وفي العواصي تسعمائة جريح، واثنا عشر جريح. اعقل الكلام ولا تفلته ينقص حظك عند العلماء، تأمل الكلام.

---

(1) في (ف) سعد الرشاشي، ولم تذكر هذه النسخة اسم (معافة) وفي بعض النسخ سعد الراشدي.

(2) في (ف) موضع يقال له السبيخة الواقعة في سفح جبل المحمل. (وفي مكان آخر متقدم من النص أن العائلات الساكنة في جبل المحمل وسبيخة قارة ووادي جدي إلى جبال بني بربار، هم من سلالة جالوت، وأن سبيخة قارة تقع جنوب تبسة).

(3) توضح (ف) أن كلمة (عربي) عنا تعني الجيش الاحتياطي المرافق للأتراك.

(4) في (ف) خمسون فارساً فقط (بدل مائة وخمسين).

(5) عبارة (سبع من الخيل) ساقطة من (ف).

العواسي والعداسية والأتراك

قلت له: لماذا تقول العواصي ونحن نتكلم باللمامشة؟ قال لي: أول كلام يسموا بالعواصي، فلما وقعت بهم هذه الواقعة سُمّوا[1] بها، قال: [145] فانصرف الجزيري إلى الجزائر، فلما كان في العام القابل سأل عن حال/ العواصي[2]، فقيل له: هاهم مجتمعين، وأتوا إليك بالخيل والرجالة، فنفذ الجزيري[3] جيشه وخرّجه نحو أربعون ألفاً، وساق جنوده حتى وصل موضعاً يقال له جبل الفكرون[4]، فتلاقوا به، وأطلقت الرايات وتلاصقت جنود العواصي، وذلك من جبل خمير، إلى أرض الحمرة، إلى أحمر خدّه، إلى جبل الملح، إلى المنيل، إلى مغزان[5]، إلى سيدي خالد بن سنان النبي ـ عليه السلام ـ، وكان جملتهم مائة ألف وثلاثون ألف، تسعون ألف خيل والباقي رجّاله.

قال: ولا زال القتال بينهم من وقت الظهيرة، النهار كله والليل كله، إلى طلوع الفجر، وانفصلوا وتركوا الأموات مطروحين حتى إلى الغد. فلما طلع الفجر ظهرت الرايات وتلاقت الخيل بالخيل والرجال بالرجال إلى وقت

(1) حسب هذا التوضيح فإن (ف) ذكرت أن العواسي مشتق من (عيسى) وأن كلمة اللمامشة أطلقت عليهم منذ القتال السابق مع الأتراك. وعلق (فيرو) على ذلك بقوله أن العواسي هم سكان عين البيضاء، وكان الحاج أحمد بأي قسنطينة الأخير، قد تولى قيادة العواسي قبل أن يكون بايا.

(2) أي سأل باشا الجزائر عن العواسي.

(3) يطلق عليه (فيرو) الباشا بدل الجزيري (الجزائري). نفذ = أنفذ.

(4) يلاحظ فيرو في تعليق له أن جبل فكرون وعين فكرون كلاهما معروف بدقة حيث يقعان في الطريق من قسنطينة إلى عين البيضاء، بين سيقوس ومحطة مولى بعير (بير).

(5) في (ف) ترجم المنيل بأولاد نائل، ومغزان بأولاد مقران. ولعلها في الأصل المغران، وسيدي خالد هو الواقع الآن بقرب أولاد جلال. وفيه القبر الشهير بهذا الاسم.

العشاء، وانفصلوا وأموات الجميع مطروحين في الأرض، وباتت كل فرقة على حدتها. فلما كان طلوع الفجر ركبت الخيل ولحقت بالخيل، ولا زالوا إلى غروب الشمس، وقد انفصلوا فقام تركي يقال له (كوخان أيى الفريقين)[1]، وقال: لا قتال، قد احملوا موتاكم واخرجوا لحملهم من غير عدة، قالوا: نعم.

وكان الجزيري أخذه الغيظ فأمر بأربعة عشر ألف، وقال لهم: في ظلام هذا الليل اكمنوا من ورائهم، فإذا كانوا ولنا[2] نحملوا الموتى وينظرونا من غير عدة، فتحصل لهم الطمأنينة، فنأخذهم على حين غفلة منهم، فتشاور حالهم وبات أمرهم على ذلك.

فأخذ كل واحد ميّتَه. فَوُجِد من الترك سبعمائة تركي وألف عربي، ومن العواصي ثلاثة آلاف. فلما كانوا مشتغلين بدفن الأموات والناس على غير أهبة، دهمهم الكمين، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقد تفرق جمعهم، واحد نزل بالسبيخة والمحمل[3] والآخرين نزلوا رؤوس الجبال، فافهم.

ورجع الجزيري ببقية عسكره ونزل/ الجزائر، فصار يسأل عن أعدائه [146] ويقول: خبروني تَلَمُّوشِي لكي نمضي إليهم؟ هذا خبر صحيح، ما كان حديثاً يفترى، احفظ الأخبار تكون عاقلاً أديباً.

قلت له: ما حكم[4] العدايسي؟ قال لي: تولوا في قسنطينة أربعون أميراً، ثم فسدوا في الرأي، نزلوا عليهم الترك فأخرجوهم من الإمارة، وبقت إلى الترك كما مر الخبر.

---

(1) في (ف) كوخان بو الفرقين. وفي (أ) تقرأ أي الفريقين، ولعلها (أبي).

(2) كذا، ولعلها (أولنا) أي أمامنا.

(3) يعني بجبل المحمل (الأوراس) حسب (ف).

(4) أي حكومة.

أصل أوماش

قلت له: حدثنا على أماش. قال لي: هذه القرية بالزاب، هذا أوماش رجل يهودي نازل بقرية طولقة، وكان عالماً بأحوال قومه ويحذرهم عن الفساد ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فلم ينتهوا فهاجروه قومه، فخرج هارباً، فبنى صمعة وصار يتعبد بها، ثم لحقته زوجته، فولد له فيها أولاداً، وبقي وحده. أظنه لم يساكنه غير أولاده.

أصل فرفار

قلت له: قرية فرفار، ما معنى اسمها؟ قال لي: كانت بها عين ماء يفور، وقد بناها عمود بن الأكثر بن صابر بن معمر[1]، وقد أسلم هو وزوجته، فسكنوا بها وأظنها قليلة خير، لأن أهلها أصحاب غدر.

أصل جلال

قلت له: أخبرني عن مدينة جلال. قال لي: بناها جلال بن هاوية[2] بن سارية الأعرج، حين طردوه قومه[3] وحسدوه، فافهم تفد.

أصل الأغواط

قلت له: أخبرني عن الأغواط بناحية المغرب؟ قال لي: كان عمارة بن منصور بناها على عهد بن عافية الظالم، حتى خرج في قتال الشرفة[4] ويفصح

---

(1) في (ف) حمود بن سالم بن معمر.

(2) في (ف) معاوية بدل هاوية، وهو الأقرب.

(3) في (ف) أن قومه طردوه من توزر بعد أن خضعوا لبلقاسم بن الهادف.

(4) أحالت (ف) على ما سبق عن قصة ابن عافية. واختصرت الخبر عن الأغواط فقط، واكتفت بذكر عمارة بن منصور ونزول الشرفة بالأغواط. وبالرجوع إلى ما سبق في =

عن قتلهم وعن نسلهم، حتى قيل له إن يتيمان عند عبد العزيز بن مَحمد بن منصور، فنزل عليه اللعين بن عافية، أمه أَمَةٌ تزوجها سيده حين أصابته عقرب بذكره، فحملت به وولدت هذا اللعين.

رجوع إلى ابن عافية والأشراف

وأول أوانه وظهور أحواله، سَحَّار حتى اتبعه الناس وشاع خبره بالظلم، وكانت الإمارة للشرفاء، فتولى من تلقاء نفسه، وصار يقتل الشرفة والشريفة حيث ما وجدهم حتى سمع/ بخبر هذان اليتيمان عند عبد العزيز بالزاب [147] بقرية بن طيوس، أظن، وقد قلَّ رجاله اليوم، فنزل عليه، وكان يتبع اللعين ثمانون ألفاً من الخيل. فقال: اتوني بالذي عنده أولاد الشرفة، فأتاه عبد العزيز، فقال له: اعطيني اليتيمين اللذان عندك، فقال لزوجته: اقبلي مني نخفُوا أولاد النبي ونعطوا أولادنا ليكونوا لنا ذخيرة غداً يوم القيامة، فوافقته زوجته فأعطاه ابناه وترك اليتيمين.

اعقل الكلام ولا تفلته يا مسكين، كلام العارفين يا صفوان، لئلا تتهم بالسرقة، وربما تنسى منه حرفاً فتكون كاذباً وتذهب منك سيمة الواصلين، كما حكي.

كرامات: من سمرقند إلى الشلف

كنت في حجة الثلاثين[1] اجتمعت مع الشيخ البكري في سمرقندة، ثم قال لي الشيخ: انطلق إلى شلف فتجد فيها شيخاً عارفاً هو وحده يسألك

= (ف) من أول النص تقريباً فانظره. وفي (ف) فإنه بعد الأغواط مباشرة سأل صفوان شيخه عن حوادث سوف، أي أصل أولاد مسعود بتاغزوت، وبذلك ألفت (ف) كرامات العدواني الآتي ذكرها. وقد سبق الحديث عن ابن عافية ومطاردته للأشراف (الشرفة).

(1) أي الحجة الثلاثين.

عليّ، ولا تكلمه فهو يفهمك ويعلم ما جئت به، وإذا حدثك فقل: لا أدري، ويعطيك كتاباً فاقبضه، والذي يأمرك به قل: نعم.

قلت له: ما صفته هذا؟ فقال لي: لا تسأل، أَصِلْ[1] شلف، هو يأتيك. وإذا ادّعَاك للطعام فكُلْ واشربْ.

ثم قلت له: أين شلف؟ قال لي: على البحر الغربي، قلت له: كم مسيرِ بيننا وبينه؟ قال لي: أربعة أشهر للراكب المسرع، قلت له: وأنا عبد الله، كم وصولي إليه؟ قال لي: يوماً يوصّلك لسُوفِك ونصف يوم من هناك[2].

قال، ثم انطلقت من سمرقندة بعد حلقة الشيخ، وسرت، فأخذتني نعاسة، فأفقت إلا وأنا بمنزل الزقام عماره بن محمد، فدخلت عليه وسلم عليّ وقال لي: كيف حال الشيخ؟ قلت: بخير، هو بعثني إليك[3]، فدخل خلوته وأعطاني رمانة/ فأكلتها، وشربت عند عزاز، وأعطتني بنت مياد [148] زوجته، خبزة[4]، فقلت: ما هذا إلا ثقل لا يأمرني الشيخ بحمل الزاد، فطرحته، وسرت فما شعرت إلا وأنا بواد ريغ عند سيدي خليل الصغير، فسلم عليّ وسألني عن الشيخ، فقلت: بخير، قال لي: اقعد كُلْ شيئاً من الطعام، قلت له: أكلت عند الزقام بسوف[5]، ثم دعا لي بالبركة.

وسرت على رجلي وعكاز الشيخ بيدي، فلحقت حلقة العصر بتلمسان، وسرت صلّيت المغرب بمراكش، وبت عند الشيخ قاسي بن عسيرة، فقدّم إليّ طعاماً ومرقاً، فأكلت منه قدر الكفاية، ثم حلقت في مسجده، ومضيت قبل طلوع الشمس وأنا بشلف.

---

(1) أصل = أنزلْ بالشلف.

(2) أي يوم من سمرقند إلى سوف ونصف يوم من سوف إلى الشلف.

(3) في الأصل: قلت بخير، قلت من هو بعثني الخ.

(4) في الأصل (خبرة).

(5) سيأتي حديث آخر عن الزقام في سوف.

قلت له: ومن دلّك على الطريق؟ قال لي: عكاز الشيخ، يا عادم الاعتقاد، اعتقدْ في الشيخ يكفيك ما تريد[1]، وأنت الذي حولي لقد فشيت لك أمري وسرَّ الشيخ، وأحذرك الحذر من اغباب[2] النفس الداهية المعيبة، لأني رأيت فيك قرب الوصول ولم تصل، احفظ كلام الشيوخ تصل ما وصلوا إليه الشيوخ، لأني أنا العبد الضعيف الذي تراه خذيت[3] على الشيخ البكري، ولي اليوم اثنان وثلاثون (32) سنة لم نسمع منه مقالة التي تدل على وصولي إلاَّ في هذه السفرة التي كنت أحدثك عنها.

ومضيت إلى شلف[4]، سمعت منه قال لي: لقد بلغت مبلغ الرجال وما زلت تخدم في الشيخ ولم تر منه الذكر ولم يرجعك إلى اسم الجلالة. قلت: سمعاً وطاعة للشيخ ولِمَا أمرني به، فأعطاني جواباً فجعل سفرجله في كاغط وشد عليها بكتّانة بيضاء وسرّها/ له، فرجعت إلى الشيخ في ثلاثة أيام من [149] سمرقنده أخدم وأحذر من إفشاء الكلام. وأصدقْ في المحبة، وأجمعْ اعتقادك، ولا تتزحزح، فإن الصدق مما يزيد في صحبة الشيخ، وصحبة الشيخ تزيد في الذكر، والذكر يوصلك إلى الطاعة، والطاعة هي عين الوصول، اصبر! اصبر! اصبر!.

ووصلنا، الله أعلم، ولم نصوم إلا رمضان، والشيخ يقول لي: صحبتي تكفيك عن الصيام والقيام، فإذا أكثرت من الذكر بنية واعتقاد يمتزج بدمك ولحمك، فإذا كنت ذلك، قرب عشر ما بلغته الرجال.

---

(1) أي يحقق لك ما ترغب فيه.

(2) كذا، ولعلها تعني اتباع، والمعنى الذي ساقه عكس المقصود لأن الإغباب هو العطش.

(3) خذيت = أخذت

(4) لاحظ أن الشلف هنا هو اسم لرجل صالح، بينما ذكر في أول القصة أن الشلف اسم لمكان وبه شيخ عارف من اتباع الشيخ البكري.

الإمام الغزالي واليهود والعلماء

كما حكي عن الشيخ أبا حامد الغزالي، كان جالساً يوماً أتته جماعة من اليهود، أي علمائهم، قالوا له: يا شيخ، سمعنا حديثاً من نبيكم قائلاً: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، بَالْحَقّ صدر منه هذا ونبيكم صادقاً ما جربنا عليه كذباً؟

قال لهم: نعم، قالها رسول الله ـ ﷺ ـ، قالوا له: إن أنبياء بني إسرائيل يبرىء الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.

قال لهم: ونحن كذلك، قالوا: إياك والمقبرة. قال فانطلق أبو حامد ومعه اليهود، فقال: يا يهود اختاروا قبر أيقض[1] صاحبه، قالوا هذا ما نعرفوا له أصلاً، ثم أتى إليه ووكزه برجله وقال له: قُمْ يا ميت واحيا بإذْني! فقام الميت وكلمه، واليهود يسمع، ثم نكسوا رؤوسهم وغُلِبوا، فأسلموا ثلاثة وكفر الباقين.

ثم انتقل الخبر إلى علماء المسلمين أن أبا حامد يقول للميت قم بإذني حياً، واعترضوا عليه، حتى بلغه الخبر ثم أتى إليهم، وقال لهم: سمعت عنكم كلاماً يا علماء السنة، قالوا: صدر منك/ أنت أولاً، قال لهم: [150] أتحفظوا عن رسول الله ـ ﷺ ـ حديثاً: لا زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه التي يسمع وبصره الذي يبصر ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، فصار الذكر من دمي ولحمي، فصرت أذكر الأشياء بلسان الله[2].

---

(1) كذا، وهي: اختاروا قبراً أوقِظُ صاحبه.

(2) لا شك أن المقالة المنسوبة إلى أبي حامد الغزالي تدخل في مبالغات الصوفية التي تكاد أن تكون كفراً. والعدواني في هذا الجزء من كتابه يخضع أساساً لمدرسة التصوف المتطرفة التي شاعت منذ القرن التاسع. وقد تحول في مواعظه وكراماته وحكاياته إلى داعية لهذا النوع من التصوف، كما لاحظت عند نهاية خبر من هذا =

فعليك يا عاقل أن تخدم الشيوخ وتتم الاعتقاد معهم، وسر الله في صدق النية لقوله ﷺ: نية المؤمن خير عمله، كما ذكرت لك أولاً: إني قد أتيت زوجة[1] الشيخ فأمرت لي بالطعام، فأكلت وشربت،ثم أتت إلي بماء فتوضيت، ثم قالت لي: ادخل الخلوة، فدخلتها. فلما كان لي سبعة أيام وأنا لم أذق شيئاً من الطعام شبعان البطن ولم اشته شيئاً.

فلما كان في إثنى عشر يوماً أتاني الشيخ البكري فقال لي: هل رأيت شيئاً؟ قلت: ما رأيت إلا أن السماء تحت رجلي وأنا فوقها، ثم قال لي: ادخل حتى تبلغ مبلغ الرجال،فعطيت[2] في الخلوة سبعة أيام فنظرت كأني في الهواء والأسماء[3] فوقي ولا أرض تحتي، وإذا بقائل يقول: ما بلغ هذا معشار ما بلغت الرجال. ثم أتى الشيخ إليّ وقال لي: ما رأيت؟ قلت له: رأيت كذا وكذا، فأخرجني من الخلوة، وبقيت معه ثلاثة أيام، فأتى الشيخ إلي وقال لي: ما رأيت؟ قلت له: رأيت كأني فوق سبع سموات، وأنا عبد الله في بحر غامق، وكأني توضيت وأردت أن نصلي فلم أجد موضعاً، وصرت كأن الجبال في بطني والأرض لم تسعني كأنها قدر الطبق ما كفتني، فقال لي الشيخ: لأن الآن صرت في باب الولاية ولم تدخلها. ولكن عليك بسيدي/ مصطفى البغدادي[4]. [151]

قلت له: هل نجد له رفيقاً يوصلني؟ فضحك، وقال لي: صرت اليوم

= النوع. وكأنه كان يأتي بتلك الأخبار لذاتها، أي لبث الأفكار الصوفية المتطرفة والغريبة تبعاً لضعف العصر السياسي والاقتصادي.

(1) سبق أنها بِنْتُ مياد زوجة الشيخ عزاز.

(2) أي قضيت في الخلوة سبعة أيام.

(3) كذا (الأسماء) والمعنى (ولا سماء).

(4) في الأصل: البغداد.

يُذَلُّ بك ولا تُذَلُّ بغيرك، اخرج يا مسكين، فإنك واقفاً بباب الولاية، والوالي تأتيه الأشياء ولا يأتيها. قال: فخرجت من باب المدينة وإذا بباب بغداد قريباً منه فدخلته، وإذا بسيدي مصطفى واقفاً على الباب فقبضني من يدي، ودخلت معه داره. فقال لي: اصلي أنت؟ قلت: نعم. فأدخلني سراب كزي الجُب ولم يكن ماء، فدخلنا فإذا فيه شعاع كنور الشمس.

رحلة روحية إلى بورنو

فقال لي: أتمضي معي؟ قلت: أين؟ قال لي: إن لنا أخاً ببرنو بلاد السودان غائباً، وقد ولدت زوجته ولداً ذكراً ولم يكن له شيء من الطعام والإدام، فقلت له: حباً وكرامة، فما فتحت عيني إلا أنا والشيخ واقفاً عند باب الأخ ببرنو، فدخلنا فسلمتْ علينا زوجتُه وردّينا عليها السلام. ثم قالت لي: ما أبعد بلادك يا شيخ! ولكن سترجع إلى وطنك هنيئاً. فبقينا معها يوماً وليلة، ثم رجعنا إلى بغداد، من باب برنو إلى باب بغداد، من غير تعب ولا زاد. فبقيت عنده شهراً كاملاً.

«الملك لله وللصالحين»

ثم قال لي الشيخ: انطلق إلى وطنك، قلت له: يا سيدي وطني لا يقيم بأحوال الرجال، قال: اعفو عن الناس يتركوك الناس، ازهد ما في يد الناس يحبوك الناس. فإني نظرت إلى وطنك فلم أجد قائماً يقوموا بأحواله، فأنت الوالي عليه وأنت القائم بأحواله، فإن الملك لله ثم أورثه للصالحين، فأنت المالك لوطنك والقائم بأحواله[1]. قلت: حباً وكرامة. فانطلقت وإذا بالبحر

(1) كلام هام هذا الذي جاء على لسان العدواني: كون وطنه لا يقوم بأحوال الرجال، وهو يعني هنا رجال الزهد والصلاح فيما يبدو، وكون الشيخ (البكري؟) انتهى إلى أن وطن العدواني ليس فيه قائم بالصلاح والورع فحمّل العدواني هذه المسؤولية. ومن الممكن أن نحمّل العبارة معنى آخر وهو أن وطن العدواني كان خالياً أيضاً من =

قد تعرض لي، قلت له: عزارضا[1] قريباً. وغمضت وفتحتها، فإذا أنا بأرض براح.

أصل أولاد سعود بتاغزوت

فلم أزل ساعة من النهار حتى نزلت ببلاد تاغزوت/ فلقيت بها رجل [152] معروف بالبركة، قلت له: أكلُّ النـاسِ أولادُه؟ قال قلت له: أخبرني عن الأولاد الذين سمّوهم أولاد اسعود، وهم من طرود، لماذا سموهم بذلك؟ قال لي: أحدثك بتمام القصة أم آتيك بشيء منها؟ قلت له: لا بد من تمامها.

قال لي: يا بني[2]، ذات يوم جالس مع أهل الخير، مع مسعود بن محبوب، وعامر بن زعتر، وبالضياف الطرودي، رئيس[3] (. . .) فإذا برجل يقال له عوف بن سارية بن بكير. كان راعياً على أحمد الشابي[4]. غفّله وهرب له بعشرين[5] ناقة، وأتى بهم إلى سوف، وكانت يا ولدي بلاد منعة دليلها الذئاب.

فنزل (أي عوف) بساحتهم، وبقي بها يرعي بابله حتى كان بعد عشرة أيام، أتت إلى بالضياف ورقةٌ من الشابي إلى أهل سوف: (أن) راعي ابلي نزل بناحيتكم وأخذ لي عشرون ناقة، ولا بد أن تَرُدَّ لنا ما ضاع من ابلي، والسلام من أحمد الشابي، رئيس البادية.

فلما سمعوا، يا ابني، بمراسلة الشابي أتى عوف إلى أولاد حامد وأعطاهم ناقتين، وأعطى إلى أولاد زايد ناقتين، وأعطى إلى بني

= القائمين بالعدل والسياسة.

(1) كذا، ولم نعرف معناها.

(2) هنا يعود فيلتقي النص في (أ) مع نسخة (ف).

(3) هنا كلمة حذفناها للسبب الذي ذكرناه سابقاً. وقد أوردتها (ف).

(4) في (ف) أحمد بن الشابي. وهو الذي يرد أحياناً (حميدة).

(5) في (ف) خمسة وعشرون ناقة. غفله = غافله.

زيد[1] ناقتين، فاتفق رأي الجميع على عدم الرد.

ثم كان الذي لم يعطوه من النياق، قال: هذا ولد علام[2] النبي ﷺ، نردوا له، وإلاّ يخرج من بلادنا، ماله عندنا منظر، ثم قالوا الذين أكلوا: لا نردّ. وقد اختلف رأيهم حتى كادوا أن يتقاتلوا.

ثم أتاهم عاقل وقال: يا معشر الذهاب[3]، ويا إخوان البقر والنعام! ذهَّب الله رأيكم وفسَّد حالكم، اجْتمِعوا لي استشر[4] برأيي عليكم، قالوا: السمع والطاعة، فرجعوا إليه وسألوه عن رأيه، فقال لهم: هذا رجل شريف، قد ظهر لنا خيره وحاله، امضوا إليه واستشاروه بالرد/ وعدمه. [153]

فأتى بَالضّياف بن عمر الزايدي[5]، وقدم إلى الشيخ اسعود وقال له: يا شيخ البركة، هذا الشابي قد أرسل إلينا رسولاً عما ساق من إبله، وافترقنا نصفين، بعضنا قصد رد الإبل وبعضنا لم يقصد الرد، فما عندك من الرأي يرحمك الله؟ قال له: أتقبل قولي ونصيحتي؟ قال له بالضياف: لا بد من قبولنا لرأيك يا شيخ البركة، قال: ابعث إلى أولاد حامد وإلى بني عمك والي بني زبد[6]، فيأتوا إلي وأشرط عليهم شرطاً، وبعده أشير عليكم برأيٍ، إن شاء الله يكون عليكم صلاح.

قال، فبعث إلى زبد[7] بن إبراهيم بن موسى الحامدي، وإلى خليفة بن منصور الحامدي، فأتوا إليه وهم سكان اللّجة، وبعثوا إلى الزبدة: ابعثوا لي من تقدموه على رقابكم، وإلى حمد بن واده[8]. فأتوا إليه كلهم وقد قدموا

---

(1) في (ف) بني زيد. وحامد ترد عادة (حمد).

(2) يعني به الشابي.

(3) أي الذين ذهب رأيهم.

(4) أي أشير عليكم برأيي.

(5) أضفنا ياء النسبة لأنه سيرد بعد قليل على أنه من أولاد زايد.

(6) في (ف) زيد.

(7) أي أولاد زبد.

(8) هذا الاسم ساقط من (ف).

الزبدة عون بن أبـي بكر الزبيدي، وهـم سكان البادية[1] لأنهم لم يتزلوا أرضاً، قائلون كل بقعة لنا فيها نصـيباً وفصيلاً، وإن النخيل والبنيان معدن الذل.

مبايعة الشيخ السعود

فأتوا إلى اسعود فوجدوه نازلاً بقبته بقرب قرية جلهمة[2]، موضع تاغزوت اليوم، فاجتمعوا له وكلموه باشارة الرأي، قال لهم: المؤمن لا يذل وله ركن شديد، لا تردُّ هذه الإبل وكلوها بأجمعكم، وأنا سيّدكم وأنتـم أولاد[3]، كما قال طرد لكافة القبائل، ولا تسموا أحداً إلاّ باسم أولاد أسعـود. فشـاع الخبـر فـي كـافـة القبـائـل وسـارت الـركبـان بهـذا الاسم.

فلما تم مبايعتهم توضأ وتوجه إلى القبلة ثم قال: اللهم أنصر أولاد اسعود/ وكثّر جيشهم، وامنعهم من عدوهم ولا ينال مكروه، ومن قصدهم [154] بضر أضَرّه الله إلى يوم القيامة، اللهم اجعلهم نكاية للعدو ما داموا تابعين لرأيـي ويسمّون باسمي!

فقبلوا كافة القبائل وبايعوه على ذلك.

وأما قايد[4] بعثوا له فلم يأتيهم، وقال: أنا وحمد[5] قد سكنا أرض الذئاب، ما لنا في دعوة الشابـي حاجة، هذا ولد صاحب علام النبـي - ﷺ -.

---

(1) في (ف) سكان السهول.
(2) حذفت (ف) قرية جلهمة.
(3) كذا، ويعني أولادي. انظر قصة طرد في بداية الكتاب.
(4) في (ف) فرقة قايد.
(5) أي أولاد قايد وأولاد حمد.

حرب الشابي والشيخ أسعود

فلما كان بعد عشرة أيام أتى المسعود (بن لقمريه من جبل بانوس قريباً من جبل مجور)[1] إلى أولاد اسعود، وقال لهم: إن الشابي قد نفّذ جيشاً له فيه أربعمائة من الخيل وألف رجل، يقصد أخذ مال أولاد اسعود وأخذ رأس اسعود الذي جمع الجموع لقتالي، ولم يترك لنا في البلاد بقعة.

فلما سمع بخبره اسعود وأولاده حشد جموعه قائلاً لهم: نمضوا إلى الشابي بعزٍ لدياره، فإذا كنا كذلك يراه منا غلبة، قالوا: هذا هو الرأي. ثم بعث إلى أولاد حامد، وإلى أولاد الزبدة[2]، وإلى أولاد واده، وإلى أولاد قايد، وإلى حمد: فإن الناس يريدون أن يذللوا بلادنا، فإن الذّل هوان. فأبى أولاد قايد، ومضوا أولاد حمد عن القدوم معهم.

فحملوا (. . .) جيوشهم فكانوا أربعمائة من الخيل وألفين رجلاً، وساروا قاصدين إلى الشابي، فوجدوه بموضع يقال له قرحان بقرب الجبل، فاجتمع جيوش اسعود ونصبوا أخبيتهم، ونصب الشابي ومن معه أخبيتهم بقربهم.

صلح أولاد اسعود والشابية

فأول من بارز من أولاد اسعود كنبوت، فخرج له رجل من أناس الشابي يقال له:/ سكر بن عوف، فمات كنبوت بذلك الموضع، وهجمت [155] الرجال على الرجال والخيل على الخيل إلى أن ادخلوا جيوشُ اسعود جيوشَ الشابي الجبل.

فنادى الشابي: يا أولاد اسعود: العفو! العفو! ولكن أريد أن أسألكم

(1) نسخة (ف) حذفت الجملة التي ما بين القوسين.

(2) لم تذكر (ف) أولاد حامد وأولاد الزبدة.

عن أمر، قالوا: وما هو الأمر؟ قال: ارجعوا عنا فإنكم منصورون بدعوة رجل صالح، ولا زلتم منصورون. فافتقد الشابي، وقد مات من جيشه مائة وسبعون[1] وأربعون فرساً وباقي العدد رجال.

وكان وقت القتال (إلى ساحة القتال)[2]، نادى سكر: يا من اسمه سكر يأتي إلي، فأتوا إليه كل من اسمه سكر، فمات منهم سبع في دم واحد[3]، فدليل ذلك[4] موضع في الفيافي يسمى السكاكير[5]، ومات من أولاد اسعود كنبوت، وأبو درع، وعبد الله بن قاهر، والأبيخر خليفة بن أحمد الطرودي، وعلي بن خليفة الزايدي، والزريب بن نصر الحامد[6]، ومثلهم، ولو احتجت إلى أسمائهم لأتيتك بهم اسماً بعد اسم.

ثم رجعوا[7] أولاد اسعود إلى قرية تاغزوت فرحين مسرورين[8]، فرجعت كل فرقة إلى أهلها، فوجدوا عشرة رجال نازلين على البلاد، ولم يتَّصلُ بأحد من طرود. فقال لهم اسعود: سموهم عرش وحدهم واعطوهم بناتكم لكي يتنسبوا، ويصيرون طرود منكم، ويصدق عليهم اسم أولاد اسعود، يكفيك خبر هؤلاء.

---

(1) في (ف) 170فارساً، و 40 فرساً.

(2) زيادة من (ف) والخلاف واضح بين النسخ.

(3) أي في موضع واحد وقاتلهم هو كنبوت.

(4) أي ودليل ذلك الموضع المسمى (السكاكر).

(5) هو (السكاكر) في (ف). وفي (أ) تقرأ (السكه ـ كير).

(6) لم تذكر نسخة (ف) هذه الأسماء واكتفت بعبارة (وفقد أولاد أسعود بعض الرجال).

(7) في (ف) رجعوا بعد الصلح مسرورين. وتوقفت عند هذا الحد ـ أي دون الحديث عن الرجال العشرة ومصيرهم وعلاقتهم بأولاد أسعود.

(8) هنا انتهى النص في نسخة (ف) بهذه العبارة (نهاية ما استخرجناه من كتاب الشيخ العدواني السلامي، غفر الله لنا وله، نسخه إبراهيم بن محمد التاغزوتي، حفظه الله). ونلاحظ أن هذه النسخة غير مؤرخة.

كرامات أخرى بين اللجة ومدن المشرق

قلت له: أخبرني عن مدائن قوم لوط أين هم وكم عددهم وفي أي موضع هم؟ قال لي: يا بني لا علم لي بهم: ولكن كنت ذات يوم نائماً ببلادنا اللجة، بعدما تحدثنا مع الشيخ سيدي أحمد بوعزيز[1] على علم الآخرة/ [156] وكيف يلقى الإنسان في قبره، وكيف يأتي الملكان أصحاب السؤال، ثم نمنا على فراش شيخ البركة السيد المذكور، فنعست هنيهة، وإذا بالشيخ البكري ـ رضي الله عنه ـ بربوة عالية وهو ينادي: يا محمد العدواني، هلم إلينا! فقمت مرعوباً، وحدثت شيخ البركة برؤيتي، فقال لي: ازرب[2] إلى الشيخ فإنه احتاج إليك، فأتيت إلى منزلي وتوضأت وصليت ما فرض الله علي، وقلت لزوجتي: أتينا بزيارة[3] الشيخ، ولم يكن عندنا شيء، قالت لي: والله ما عندي شيئاً إلاّ مقياس[4] يدي، فقلت لها: فيه كفاية، فإن الله تعالى قال: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾**، وأن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أتى إلى النبي ـ ﷺ ـ ولم يجد ما يزور به، فأتى بحفنة شعير وانطلق له بها.

قال لي[5]: أخذت مقياس أبنوز وانطلقت نحو الشيخ، فاجتمعت مع إخوانٍ لي في اطرابلس وقت حلول النافلة، وسرنا وصلينا الظهر بمصر القاهرة، وصلينا العصر مع الشيخ البكري بقرية من قرى الشام تسمى بدمشق، فاجتمعت معه فوجدته يحدث في الناس ويقول: كنت زرت أبا عبيدة عامر ابن الجراح، لأني لم نشعر بأحد قتل أباه على نصرة الإسلام إلا هو، فاستأذنته في زيارة أبا عبيدة فأذن لي، وكان لي أخٌ من

---

(1) سبق الحديث عن هذا الرجل، وقد كتبه بن عبد العزيز أحياناً.
(2) أي أسرع.
(3) الزيارة = حق الزيارة، الصدقة، ما يقدمه التابع لشيخه الصوفي عند زيارته له.
(4) سوار.
(5) أي الراوي أو صفوان. وكلمة (إخوان) بعدها أصلها (إخواناً).

الشيخ[1] اسمه حكّاني بن عمر بن أحمد بن عبد الرحمن الفاسي.

وانطلقنا فلما بلغنا موضعاً لقينا فيه بداوي عربان[2]، فمشينا معهم، يوماً وبتنا، فلما أصبح الله بخير الصباح، وكانوا الناس شدّوا رحالهم شداً، ولم نجد من يمشي على رجليه/ ، وانطلقوا حتى نزلنا [157] بأرض سوداء مظلمة، وسرنا منحدرين، على رؤوسنا[3]، فإذا بالناس يومئذٍ قد أخذوا عصياً بأيديهم، وصاروا يضربون كبد الإبل وهم فارين (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة)، وكاد الناس لا يلحقون أذناب الإبل من كثرة ضرب الناس إليها، وأنا وصاحبي متعجبين من فعلهم، إلى الليل وهم في هذا السعي والزرب[4].

فلما بتنا اجتمعت أنا وصاحبي، وصرنا نأكل الطعام وإذا بالناس وقع منهم الصياح والدعاء والتضرع وقراءة القرآن، وكان دُعَايهُم يومئذٍ: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، وآخرين يقولون: سبحانك إني كنت من الظالمين. وصار العربان كلهم على هذه الحالة.

ثم انطلقت أطوف بالناس فلم أجد خيمة مبنية، ولا وَقَدُوا ناراً، ولا أكلوا طعاماً، ولا شربوا ماء، وهم في حالة التضرع والدعاء والقراءة. فقلت في نفسي: يا عجباً ما لي هؤلاء[5] على هذه الحالة، لا أكلاً ولا تَكَلُّماً ولا رجلاً مع زوجته؟ فقلت: اللهم لقني[6] مع رجل عاقل أسأله عن فعل هؤلاء.

---

(1) (الشيخ) هنا قد يكون أحمد بن عبد العزيز وقد يكون البكري. وكلمة (أخ) أصلها (أخاً).

(2) أي أعراب البادية.

(3) أي ببطء. وقد استعملها من قبل بمعنى الانتظار.

(4) الزرب = السرعة والعجلة.

(5) كذا مفرقة، وهي ما لهؤلاء...

(6) كذا، وهي لاقني. وكلمة (عاقل) أصلها (عاقلاً).

وفاة أحمد بن عبد العزيز اللجي

فمضيت هنيهة وإذا بشيخ جالساً يقرأ القرآن في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾[1]. فقمت عليه وسلّمت عليه فردّ عليّ السلام، وقال لي: مرحباً بالسوفي[2] اللجي، قال لي: كيف تركت أبو عزيز؟ قلت له: تركته قد دخله الهرم، وصار ابن مائة وتسعة عشر سنة، قال لي: عظم الله أجرك فيه، اليوم مات، قلت: سبحان الله! بيني وبينه ثلاثة أيام، تركته على أحسن حالة وأعدل طبيعة، قال لي:/ مرّ الآن علي رجلاً من أصحاب الروضة، عظم لي الأجر فيه، فرحمه الله. [158]

فلما سمعت منه هذه المقالة قلت: الله أعلم هذا من الطائرين، وهذا رجل صالح قد عَرَفَني أولاً، وأخبرني بخبر هذا الرجل قد توفي، فلا بد أن أسأله عن وفاة سيدي أحمد، ومن غسله، ومن أدخله قبره، ومن صلّى عليه، ومن حمل نعشه.

الزقام وصلحاء آخرون

فقلت له: سبحان الله! من غسّل سيدي أحمد بوعزيز؟ قال لي: غسله الزقام الوالي[3] الصالح، صاحب الإشارة، وأدخله قبره أبو زيد خالد بن سالم الوالي الصالح، وصلى عليه علي بن بكر بن مولاي حمد الشريف الوالي الصالح، رحمنا الله به، وحمل نعشه المقداد بن حامد بن عامره بن المبروك الوالي الصالح، والثاني خليفة السلامي الوالي الصالح، والثالث أحمد بن معمر بن عرفجت بن سارية الوالي الصالح، ورابعهم بلقاسم بن علي بن محمد بن سالم الكنزاري الوالي الصالح.

(1) الآية 108.
(2) في الأصل (السوف).
(3) أي الولي، وكذلك فيما بعدها.

فقلت له: والله كنت أعرف هؤلاء من بلادنا نفراً نفراً ولا أعرف لهم صلاحاً، بل كانوا عامة من عامة القوم، ولكن أكثرهم تبعاً للشيخ (هو) الزقام[1]، وهو يومئذٍ والي صالح عارفاً بأحوال نفسه، ملازم الصيام والقيام، كل يوم يصلي أربعة ركعات في ظلام الليل بختمة القرآن العظيم، يختمه كل ليلة. فهذا حاله، ويقول عند فراغه: يا حاضرين التائبين، وأنا في عدد الغياب.

قلت له: يا شيخ، عرفتك والي صالح، وأخبرتني عن حاملين النعش وغيرهم، وإنّي لا أعرف لهم صلاح. قال لي: وهم كذلك لا يعرفون أنفسهم، قلت له: ما لي أراكم/ في هذه الحالة ساكتين، لا أكلاً لكم ولا [159] شراباً ولا وقد نار، ورأيتكم تضربون كَبِدَ الإبل، وتسرعون في مشيكم، وفيكم كثيرين التضرع والدعاء وقراءة القرآن؟.

مدائن لوط

قال لي: يا شيخ البركة، ما بلغك عن هذه الأرض وما هي؟ قلت له: بحرمة الشيخ، ما لي بها معرفة، قال لي: هذه الأرض غضب الله عليها، هذا موضع مدائن لوط. كانت أربعة مدن، كل مدينة مَدّ البصر، قد فعلوا ما ذكره الله في كتابه العزيز حيث قال: اخْرِجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون، فأتاهم جبرائيل ـ عليه السلام ـ وحملهم على جناحيه، وهم نائمون، لم يستيقظ لهم نائم ولا خرقت لهم آنية، فحملهم حتى سمعوا أهل السماء صياح أدياكهم، ثم أبدلهم فجعل عاليها سافلها. ولا توقد ناراً في هذا الموضع.

قلت له: رأيتكم لا تأكلون ولا تشربون ولا تحدثوا نساءكم على

---

(1) بمعنى أن الشيخ الزقام هو أكثرهم ولاءً للشيخ أحمد بوعزيز (أو الشيخ البكري). في ظاهر الأمر. وقد زدنا كلمة (هو) للتوضيح.

الفراش ولا تقبّلوا صبياً، قال له[1]: يا شيخ البركة، فهذا الموضع لو أُطْعِمنا العسل لوجدناه صَبِراً[2]، ولا شربنا ماءً عذباً، ولو النيل، لوجدناه كماء البحر من مالح، ولا قُبِّل صبياً إلاّ مرض، ولا قربنا نساءنا إلا طلقتْ[3] أو عقمت.

قلت له: ولماذا المطر تنزل عليكم ولم تنصبوا الأخبية؟ والثلج يرمي قطعه والبرد شديد؟ قال لي: يا شيخ البركة لو نصبنا الأخبية لَجُعِل عاليها سافلها، وأما النار فإن هذه الأرض لم تنبت شجرة ولا عشباً ولا بَقْلاً ولا شيئاً مما كان يختلف[4] الناس.

طريقة إيقاد النار

[160] قلت له: احملوا الحطب عن بُعْد هذه الأرض، قال لي: يا شيخ/ ولو حملنا من شجرة الخمس ما يوقد ناراً بها أصلاً، ولكن يحملون الناس من موضع قبر موسى بن عمران، حجارةً فيتوقد منه النار[5].

قلت: وأي صناعة تؤجج بها النار في الابتداء؟ قال لي: نأخذ حجرتين ونحكّهما عن بعضهما بعضاً حتى يخرج منهما دقيقاً، فنجعلوه على السرايا يُدْعَى[6] نار السرايا، فتوقد به النار، وتأخذ المرأة حجرةً وتضعها بوسط النار، فيأخذ فيها الدخان، فهو علامة الوقود، وتحمل المرأة إلى بيتها ثم تطيّب به طعامها.

---

(1) كذا، وهي قال لي.
(2) صبراً = مراً.
(3) في الأصل تقرأ (طلقته).
(4) كذا وجدناها. ومعناها غير واضح.
(5) أي أن الناس يحملون معهم حجارة من الموضع المذكور. وهذه الحجارة هي التي تستعمل لإيقاد النار.
(6) في الأصل (يدع).

قلت له: وما هذا الدعاء؟ قال لي: خوفاً أن ينزل علينا عذاباً أو يرسل علينا حجارة من سجيل فتأخذنا.

قلت له: وما ظهر لك من أمر من لم يدع؟ قال لي: يا شيخ ولو مرّ رجلاً واحداً بهذه البقعة ولم يَدْعُ لنزل عليه العذاب.

قلت: وأين أهلها الذي أنزل عليهم؟ قال لي: هَاهُ أساس البنيان وشرارفها[1] من أسفل.

قلت له: أتدفنون من مات منكم وأنتم نازلين بهذا الموضع؟ قال لي: لا ندفن بها، ولو بقينا عشرة أيام. قلت له: ولو دفنتوه؟ قال لي: تخرجه الأرض وترميه ثم نجده غداً على شفة[2] قبره.

قلت له: ولماذا تمضون إلى قبر موسى وتحملُ الحجارة وتوقد بها ناركم؟ أوقدوا[3] بَعَر إبلكم! قال لي: يا شيخ، فحيثما خرج البعر من بطن الناقة تبتلعه الأرض ولا نجد شيئاً.

اقْتَدِ بمن جرّب الأمور وقسْ الأحوال، اعقل القصة يا صفوان تكن حاذقاً لبيباً، ولكن عليك برياضة الشيوخ/ واتباع قانونهم. [161]

قلت له: في أي موضع هذه المدن؟ قال لي: بين الشام والعراق، قلت: وما أسماؤهم؟ قال لي: واحدة يقال لها كفر حكيم، والثانية يقال لها كفر بربك، والثالثة يقال لها ملعونة الجد، والرابعة يقال لها كافرة.

قبر موسى

ثم رحلنا يا صفوان مع الشيخ العارف، ونزلنا قبر موسى بن عمران، يزوره الناس ويسلموا عليه، ثم هممت بزيارة قبر موسى ـ عليه السلام ـ،

---

(1) الشرارف = أعلى البنيان.
(2) شفة = شَفَا، حافة.
(3) في الأصل: أوقِدُ (بنيابة الضم على الواو والألف).

فنهاني الشيخ، وقال لي: لا بد أن لا تزور لأنك لم تشاور شيخك على زيارته.

قال، قلت له: قد تعلق قلبي بالزيارة، ثم قال لي: لا بد أن تنوي هنا له، ففعلت ودخلت القبة وسلمت عليه ودعوت الله أن يحسن صحبتي مع شيخي.

قرية الشية وأنطاكية

ثم بتنا ونزلنا قرية يقال لها الشية، فوجدنا فيها قبر مُعَاذ ابن جبل ـ رضي الله عنه ـ، فانصرفوا إلى العراق، وانطلقت أنا وصاحبي حكاز[1] قاصدين زيارة أبا عبيدة عامر ابن الجراح صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ، حتى وصلنا قبور أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ الذين ماتوا بالطاعون.

قلت: وهل يزول الطاعون من دعاء من دَعَى؟ قال: لا بد، فحيث ما نزل الطاعون يقال هذا الدعاء ثلاثاً صباحاً وثلاثاً مساءً: يا لطيف لم يزل، ألطف بنا بما نزل، أنت اللطيف لم تزل[2].

فزرنا القبور، يا صفوان، حتى نزلنا قرية أنطاكية، مدينة كانت في الزمان القديم مدينة قاهرة[3]، لها من المنار أربعون منارة، ومن المساجد أربعمائة مسجد، ومن الجمعة مائة/ جمعة، ونزلنا فيها أنا ورفيقي في [162] المدينة، فوجدنا قبور أهل الله، فزرناهم، ونزلنا قبر أبا عبيدة، وبتنا عنده ليلة، فوفقت[4] ليلة جمعة، ودعونا الله تعالى.

---

(1) كذا كتبه هنا، وقد سبق أنه (حكاني).

(2) هذا الدعاء ما يزال شائعاً في سوف إلى اليوم عند نزول الكوارث.

(3) أي عظيمة، وتنطق بالقاف المعقودة.

(4) كذا، أي وافقت.

شجرة القماري

ورحلنا حتى وصلنا الشيخ البكري، فسلمنا عليه وردَّ علي السلام. قلت له: أخبرني عن شجرة القماري أين هي؟ قال لي: يا بني لا نعرفها، ولكن بعثني الشيخ يوماً لحاجة إلى واد الزاهرة، فلما وصلت قرية لقيت رجلاً اسمه محمد بن عمر بن سالم الفيافي، فسلم علينا ثم قال لي: أين تريد؟ قلت له: لحاجة الشيخ. قال لي: بأي طريق قاصد؟ قلت: على بروكة سلمان، ثم على عين التمار، ثم على معبود شهاب، ثم مخارق، ثم على باب السربال.

قال لي: يا بني هذا طريق صعب تركت به العدو، مؤمن ومسلم عبيد، يقاتلوا بعضهم بعضاً هلمّ إلى طريق آخر تجد فيه السلوك، ولم تلاق به عدوا أبداً، قلت له: من أين نمضي؟ قال لي: على قبر النجاشي مما يلي الهفو، ثم على شاطىء البحر، ثم على شجرة القماري[1].

قلت له: جزاك الله عنا خيراً يا مبارك المشورة، ثم انطلقت، يا صفوان، وسرت غير بعيد، فأتى إلي وقال لي: هذا ليس بنصح للمسلمين، أدللتك على طريق لا تعرفه، لكنه أنا أسير بك. قال: ثم سرنا الثلاثة[2] حتى وصلنا لجة بحر غامق لونه كالليل المظلم وحوله نحو ألف راجل ينتظرون

---

(1) يفهم من هذا أن شجرة القماري اسم لمكان، وسيذكره على أنه جبل القماري، ولعله يشير بقبر النجاشي إلى الحبشة وإلى (الهفو) بشاطىء البحر الأحمر المقابل. وواضح أن الرحلة كلها كانت، فيما يبدو، نحو الهند. والحجرة التي سيتكلم عليها هي الماس (الديمونة). وتوجد في الهند بلدة باسم (قمار) ينسب إليها (عود القماري) وهو من الطيب. والظاهر أن قصة عيدان الحطب اليابس والأخضر إلخ. تشير إلى ذلك.

(2) أي الشيخ العدواني وصديقه الحكاني (والثالث؟).

بالمرآت[1] الهندي، فقال لي الدليل: لا بد اتعجب عن هؤلاء الرجال وانظر حالهم كيف هم. فسرنا إليهم حتى بلغنا إليهم، وإذا بهم ينظرون إلى أربعون مركباً يخوضون/ في وسط البحر، عشرون يدفعون وعشرون يرجعون، وهكذا. وسرنا أسأل عن هذا الفعل فلم يفقه لنا قولاً[2]. [163]

فبقينا متحيرين في أمرهم، وإذا برجل قدم إلينا وكلمنا بلسان عربياً طليق، وسلم علينا فردينا عليه السلام، قال لنا: أظنكم تنظرون ولا تعرفون الحكمة، قلت له: وهو كذلك، قال لنا: يا شيوخ الطريقة، هؤلاء المراكب يصطادون في شجرة القماري، قلت له: ما لي أرى بعض المراكب تنصرف وبعضها ترجع؟

قال لي: فإن حول الجبل التي بها شجرة القماري ثعبان، عرضه عشرون ذراعاً وذنبه متصلاً برأسه، لا يدنو واحداً ولا يصل جبل القماري إلاّ أكله ويقذفه في البحر، فيصيّر لحمه قطعاً، فيأتوه الأعاجم ويصطادونه ويصير حجاراً من حرارة بطنه فيلتقطوه ويحملوه إلى أهل الصنائع فيبيعوه سِلِمَاني[3]، فصارت المراكب يأخذون البنادق ويرمونه، فيذهب في قاع البحر، فإذا صار في قاع البحر فيأخذ الأعواد اليابسة.

قلت له: ولماذا لا يأخذ الأخضر؟ فقال لي: لا يستطيع الصعود إلى القماري خوفاً من الثعبان الذي تقدم ذكره، ولو وجدوا الأخضر لوزنوه بالذهب، فإذا رجعت هذه تأتي دافعة العشرون الآخرون وتقبض الأعواد، وهذا حاله.

فانطلقنا حتى وصلنا واد الزهر[4]، فإذا هو سبعة أودية لها من الخيرز[5]

---

(1) أي ينظرون بالمنظار المكبر؟
(2) كذا، ومعناها: صرنا نسأل عن هذا الفعل فلم يفهموا (يفقهوا) ما نقول.
(3) تقرأ بكسر السين واللام، وهو حجر معروف.
(4) اختلفت كتابة هذا الوادي والجبل الزاهر، الزهراء، والزهر، الخ.
(5) كذا، ولعلها الفيروز أو الخرز.

ما لا يوصفه أحد، ثم بتنا فيه ليلة، ونحن جياع الأكباد، صعب علينا دخول البيوت، لأنهم يربّون فراع[1] الفيل بها، يحرس أحسن من الكلب.

ثم من الصباح انطلقنا حتى وصلنا/ واد الوزير. قال الدليل: أين تريدون [164] وأي حاجة؟ ربما تجدوه بقرب ما أنت قاصده.

حجرة الدّيمُونة

قلت له: بحاجة زوجة الشيخ، قال لي: وما هي يا صادق المحبة، قلت له: أمرتني أن نأتيها بحجرة الديمونة، قال لي: يا غافل! هاه تركتها من ورائك، ارجع!

فرجعنا بموضع يقال له جبل الشب، وإذا برجال فيه يقطعون منه الحجارة، فسألنا عن فعلهم. فقالوا نفصحوا[2] على حجرة الديمونة في هذا الجبل. قلت لهم: وما تصنعون بها؟ قالوا[3] لنا: هي عندنا بمنزلة الطين نبنوا بها المساكن من احتاج إليه، قلت لهم: والله هو عندنا يباع بأغلى ثمن.

فصار يضحك[4] علي ويحدث إخوانه بمقالتي، ثم قال لي: أين أرضكم؟ قلت: عند جوف بيت الله الحرام، كعبة ربنا التي تأتيها الحجاج. قال لي رجل كبير السن، وهو معهم: أين من واد الزهر؟ قلت له: بعيد عنا، قال لي: من أين القدس؟ قلت له: مسيرة شهر، قال لي: وكيف يحج لها؟ قلت له: جعلها الله تعالى فرضاً علينا، قال لي: ما أنتم إلا بهاليل[5]، فلما سمعت منه هذه المقالة.

(1) كذا، ولعلها فراخ؟
(2) نفصح = نبحث.
(3) في الأصل قال لنا.
(4) أي الدليل.
(5) في الأصل: إلا بهاليل. وبهاليل جمع بهلول تعني حمقى أو دراويش، ولعله يشير بذلك إلى أن الرد كان لأحد المسيحين.

قلت: هذا كافر بالله. فتركته، وسرت أفصح على المقصود، فنظر لي وقال لي: ما تصنع يا شيخ، وبلغاتهم يكباب[1]؟ قلت له: ربما أجد حجراً أخذها، قال لي: أنتم من أرضكم قاصدين هذه الحجارة؟ قلت له: نعم، قال لي: انطلق إلى عريشي واحمل ما تشتهي من الأحجار. فانطلقت فوجدت أحجاراً كبيراً، قلت له: إلا الكبير، قال لي: احمل ما أنت قاصده. قال: فحملت ثلاثة أحجار، كل حجر رطل، فجعلتهم في مكتوبي، وانطلقت راجعاً إلى الشيخ بعد ثلاثة أيام، وأتيت/ إلى سيدي وشيخي. قال لي: كم [165] لك في الطريق من يوم؟ قلت له: ثلاثة أيام من جبل الشب، فضحك الشيخ وقال: ابطيت، قلت: ببركة الشيخ، قال لي حامل الكنوز التي بنور الصدور.

أحمد بوعزيز رفيق العدواني

قلت له: هل بلغك خبر صحيح من سيدي أحمد بوعزيز؟ قال لي: حملوه إلى جحره، وصليت عليه في خلوتي مع إخواني. فلما سمعت ذلك صرت أتأسف على رفيقي. ثم قلت للشيخ: أريد الانصراف إلى وطني، ثم قال لي: أين الأحجار التي أتيت وخذلتك وطولت عليك ما زالت بيدك؟ قلت له: نسيتها. ثم قال لي: ارمي عنك المصائب واتركها لكلابها، قلت له: بَالْحَق، فرميتها لسيدتي، ولم تجعل علي حجاباً، فجزاه الله عنا خيراً.

أبو الحسن الشاذلي

ثم قال لي: يا بني ما بلغك أن سيدي أبا الحسن الشاذلي حين كان يمر على بني عايل، فرقة من مرداس، بقرب المحروسة تونس، وكان لهم كلاب كثير ولم ينبح عليه كلب من كلابهم، وكانت عادته يقرىء في مسجد الإمام زيتونة ثم يرجع إلى معبوده بمغارة جبل هناك. يقال له جبل العباد، وكانت

(1) أي بلغة هؤلاء القوم، لكن من هم؟ وماذا تعني يكباب؟

تأتيه صبية[1]، حين يحلّ فطوره، حتى تصل إليه، ثم تتسع أرجلها حتى يشرب من لبنها. وهكذا.

فلما كان يوماً مر على موضع بوسط المدينة وجد خمسة دراهم ملقاة في الأرض فحملهم وقال في نفسه: ربما نجد فقيراً أو يتيماً نمكنهم له فرفعهم، وانصرف على عادته راجعاً إلى مغارته. فلما وصل، يا بني، بقرب بني عايل هجمت عليه الكلاب حتى كاد أن تأكله، وانطلق، فلما أتى إلى مغارته بالجبل. وصار يعبد حتى حان وقت الفطر، فرجا بالصبية[2] أن تأتيه فتخلفت عن وقتها. فلما كان وقت ذهابه إلى المسجد/ خرج إليه على طريقه [166] المعتاد، فتعرضوا له الكلاب ودنوا منه، فقام إليها فهربوا منه، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا وانا[3] ذنباً أذنبته، فبات على صومه، اليوم الثالث وهو صائم على أكله، فبعد ثلاثة أيام فحص في ثوبه فوجد الدراهم في صرة، فقال: هذا الذي أصابني كله منها، فرماها في الأرض. وقال: أنتِ التي دُهيتُ بكِ، أعوذ بالله منكِ يا حطام الدنيا! ويل لمن تعلق قلبه بك، وصار ينام وقلبه مشغول بكِ.

قلت له: اخبرني عن عز الدراهم والدنانير على سائر الأحجار، قال لي: يا بني، لما أهبط الله آدم ـ عليه السلام ـ من الجنة إلى الأرض حرّر[4] عليه كل شيء إلا الذهب والفضة، قالا[5]: لا نحزنا على من عصا الله، فلا حزن عليه، فناداهما الله: فبعزتي لأعظّمكما إلى يوم القيامة، وأجعلكما عزا في الدنيا وشرفاً في الآخرة.

---

(1) كذا صبية، ولعلها ظبية، غزالة.
(2) أي انتظر أن تأتيه الظبية كعادتها. رجا = انتظر.
(3) كذا ولعلها أي ذنب.
(4) كذا ولعلها حلل.
(5) أي الذهب والفضة.

عودة العدواني إلى وطنه

يا بني اتركها[1] عنك، وارجع إلى وطنك سالماً بسلامي إليك، ربما لا تجدني. قلت له: وأنا لا أبقى بعدك ولا يطيب لي عيشاً بعدك. أردت أن لا نفارقك حتى تفارق الدنيا. قال لي: ارجع إلى وطنك، ويوم الخميس ارجع إلينا.

قلت له: اليوم ما هو؟ قال لي: الثلاثاء، قلت له: فيه انطلق من الشام إلى سوف، وفيه أجلس مع أهلي، وفيه أرجع إليك؟ قال: فغضب الشيخ لمقالتي، ثم أخذ طرف نومه[2] ورماني، ففقت، وإذا أنا بوسط أهلي. فجلستهم، وانطلقت صباح الخميس، فوجدت الشيخ يتوضأ، وقد بعث إلى [167] تلامذه، وهم/ يأتونه[3].

على[4] مسائل وفوائد شتى، كتاب الشيخ الولي الصالح، والقطب الناجح، الحاج الأبر، الناسك المعتمر، سيدي محمد ـ بفتح أوله ـ بن مُحمد ـ بضم أوله ـ بن عمر العدواني الرحماني ـ فرقة ـ السوفي اللّجي مسكناً، دفين الزقم. أعاد الله علينا من بركاته آمين هـ.

بحمد الله وحسن عونه تم هذا الكتاب النفيس، المشتمل على تفصيل بيان الأنساب القاطنين بسوف وغيره، المسمى بكتاب الشيخ الولي الصالح، والقطب الناجح، الحاج الأبر، الناسك المعتمر، الشيخ سيدي محمد ـ بفتح أوله ـ ابن مُحمد ـ بضم أوله ـ بن عُمر ـ بضم أوله ـ بن عبد الله العدواني

---

(1) كذا، وهي اتركهما = الذهب والفضة. ففقت = أفقت. فجلستهم = جالستهم.

(2) أي الثوب الذي يستعمله للنوم (المنامة).

(3) بهذه الكلمة انتهت النسخة (أ). وما بعد هذه الكلمة غير تابع لها، ورقم الصفحة الأخيرة هو 177، فإذا صح هذا الترقيم، فإ عدد الصفحات الناقصة حوالي عشر صفحات. وصفحة 177 عبارة عن جمل عن الكتاب وصاحبه، كما سترى.

(4) هكذا تبدأ صفحة 177 من نسخة (أ)، وهذا دليل على ارتباط الكلام بما قبله، ولكنه مفقود والفقرات الثلاث على هذه الصفحة مكتوبة بخطوط مختلفة مما يدل على أن كاتبها أكثر من واحد.

الرحماني فرقة، السوفي اللجّي مسكناً، دفين الزقم. أعاد الله علينا من بركاته وأسراره، آمين.

مات رحمه الله، وخلف مسجداً عرّف باسمه، وهو في عداد المزارات ومظان البركة.

العمامرة وبنو توجين وغيرهم

وكان سكان جبال العمامرة، من البربر[1]. وفي أسفل هذه الجبال ثلاث مدن هي باغاي، وخنشلة وجساس[2]. وكانت تسكنها النصارى. وكل واحدة منها كانت تحوط بها الحدائق الواسعة والمسقية بمياه منحدرة إليها من جبل المحمل، كما تحوط بها قصور قريبة من بعضها البعض.

وقد تقدم بنو توجين وأولاد راشد نحو المغرب (الغرب) فالأولون اتجهوا نحو الصحراء والأخيرون توغلوا في جبال الأوراس واستقروا بها، إذ حاربوا طويلاً ضد البربر والروم.

ولكن جزءاً من بني توجين لم يستطع العيش في الصحراء، فجاء واستقر في جبل تافرنت[3] إلى جانب الوطن الذي استقر فيه أولاد راشد. ولكن الفقر أجبرهم على التفرق. ولم يبق في تافرنت إلا رجلان من بني توجين هما مخلوف بن نصر والأخضر. وكانت فلاحتهم بوادي الحامة وأخيراً ذهب الأخضر بدوره إلى جبل متليلي حيث استقر. ويدعى نسله أولاد الأخضر ـ الحلفاوية. أما مخلوف فقد استقر في وادي الحامة مع ابنيه وهما:

---

(1) الصفحات التالية ترجمناها عن ترجمة فيرو لتاريخ العدواني لعدم وجودها في النسخة (أ).

(2) آثار جساس تقع بالقرب من شمورة. أما مكان باغاي وخنشلة فمعروف بدقة.

(3) جبل صغير في بلدية تامزة (الحامة) مقر قبيلة أولاد يعقوب التابعين لعرش العمامرة (المترجم).

بودرهم والنصرة[1].

وكان رئيس أولاد راشد يسمى بوحضرة Hadra. وقد أصبح الصديق ثم القريب (الصهر) لأحد أعيان الروم واسمه (جوخران) الذي كان يسكن جبلاً في مكان يسمى طاسية. وقد تقاسم الحليفان البلاد، فأما بوحضرة فقد احتفظ بالسهل لنفسه، وإما الجبل فقد تركه للزعيم الرومي. وكان للأول منهما (بوحضرة) ولدان هما عرشوش وسليمان. وكان للثاني (جوخران) ولدان أيضاً هما عماج (Assemedj) والمعمر (El-Mâmer)[2].

ولما مات جوخران خلفه ابنه الأكبر، ولكن هذا أغضب السكان بظلمه. ففي كل موسم حصاد كان يفرض على كل واحد من رعاياه أن يقدم من محصوله أكداساً من سنابل القمح والشعير. وحالما يحين موعد هذه الغرامة كان عماج يذهب إلى أعلى الجبل ويرشق رمحاً طويلاً ليرفرف عليه علم أبيض، وبعد ذلك يعلن بأعلى صوته قائلاً: انظروا، انظروا إلى العلامة، وكان على كل واحد أن يحمل المطلوب إلى المكان المسمى مساحة عماج.

ولما تعب أهل الجبل من مطالبه عزموا على قتله. وكلف المسمى زردوم بتنفيذ هذه المؤامرة التي اتفق عليها إخوانه، وذهب إلى عماج وطعنه عندما كان يصيح على الناس بالطريقة المعتادة ليجلب الناس إليه الضريبة. كما قتل زردوم أنصارَ عماج أيضاً. وأصبح زردوم هو رئيس الجبل لبضع سنين. ولكن المعمر وهو أخ عماج، نجح بمساعدة سليمان بن بوحضرة،

---

(1) يوجد إلى اليوم في قبيلة العمامرة فرقة أولاد بودرهم وفرقة أولاد النصرة. وبودرهم هو الجد لفرق أولاد عبد الرحمن، وأولاد محاشة، وأولاد خالد. وهذه الفرق الثلاث تحمل الآن الاسم الجماعي وهو أولاد خليفة. أما النصرة بن مخلوف فهو الجد لأولاد بو غدير، وأولاد غضبان، وأولاد السكّة، وأولاد أريس. وكل هذه الفرق تنحدر إذن من بني توجين.

(2) إلى الآن يوجد عند الأرباع فرقة تسمى الجوخارنة، وأولاد معمر.

في قلب نظام زردوم وأجبره على طلب اللجوء في جبال بني أوجانة[1].

الذواودة وسلاوة وغيرهم

وبعد بضع سنوات حلت بسكان الأوراس مجاعة كبيرة أجبرتهم على التفرق، فغادرت عائلات سلاوة، وأولاد دهان، وأولاد خيار، وأولاد مرداس، والخباتنة، الجبال وتوجهت للاستقرار في السهول، ولم يبق إلا أولاد داود[2] في مكانهم الأصلي.

ولما فقد أحفاد جوخران الرومي سلطتهم بالجبل، جاء رجل من الدواودة (الذواودة) من أولاد صولة اسمه السرحاني، جاء مع أتباعه واستولى على جبل المحمل، وحاول فرض ضريبة على سكان الجبل، ولكن السكان رفضوا وتحاربوا طويلاً. وقد نظم أحد أعيان العمامرة، اسمه عيسى بوعافية، دفاعاً قوياً. وكان أولاد صولة معسكرين على مكان يسمى كدية الميعاد، قرب عين خنشلة. وقام عيسى بتحويل مياه وادي فرنجال Frengal وأغرق سهل تفيخفاخت من وراء الأعداء. ولما أكمل عيسى هذه العملية الأولى ظهر على رأس أتباعه أمام العرب. وبمجرد أن رأى السرحاني طلب منه:

ماذا جئت تفعل هنا؟.

فقال السرحاني: جئت لأفرض عليكم إعطاء الضريبة.

فرد عليه عيسى: أنني أقود رجالاً وفي يدي سيف. تقدم وسأعطيك كل ما تطلب!.

---

(1) جبال بني أوجانة جزء من جبل شليا (الأوراس)، وعرض بني أوجانة يضم اليوم عدة بلديات. (المترجم).

(2) يطلق عليهم أيضاً (عرش التوابة)، وهم متوزعون اليوم على عدة بلديات منها أريس وفم الطوب. ومنهم الشهيد مصطفى بن بولعيد. (المترجم).

ثم تقدم عيسى نحو السرحاني وقسمه شطرين في نفس المكان.

وقد هرب أولاد صولة في حالة من الفوضى، وغرق عدد كبير منهم عند عيون سهل تفيخفاخت. واستفاد عيسى من هذا الانتصار الأول وهاجم جماعة السرحاني الذين بقوا بجبل المحمل. وبعد أن قتل منهم الكثير أجبر الباقين منهم على الابتعاد نحو الصحراء.

الشابية والعمامرة

بقي عيسى على رأس البلاد وكان محبوباً لإدارته الجيدة. وبعد وفاته نجح عبد الصمد الشابي، الذي كان يتزعم قبائل اللمامشة، والهمامة، وأولاد زايد، وغيرهم، نجح في السيطرة على سكان الأوراس. وقام الشابي بفلاحة سهول باغاي لحسابه.

وبعد مغادرة عبد الصمد الشابي للمنطقة لكي يتوجه إلى قبائل الشرق (تونس)، ترك السلطة لابن عمه، حميدة. ولكن سكان الأوراس ثاروا عليه، وأجبروه على اللجوء إلى أعلى قمة في الجبل. وكان اسم زوجته مركودة (مرقودة؟) فقتلت عند انزلاقها عن إحدى الصخور. وقد نجح حميدة في الفرار وانضم إلى ابن عمه.

وبعد خروج حميدة الشابي، نجح المدعو مراد، وهو داودي (ذوادي؟) من قرفة[1]، في مدّ نفوذه إلى الأوراس.

أولاد سعيد، أولاد بوكحيل، إلى آخره

وبعد أن فقد أحفاد الرومي جوخران نفوذهم في الأوراس، كما ذكرنا سابقاً، وبعد أن خرجت عائلات أوراسية إلى السهل، نزل المنطقة أناس من

(1) قرفة، فرع من القبيلة العربية الأثبج التي استوطنت الأوراس.

الشرق، يسمون أولاد سعيد[1]، وأولاد فاضل، واستوطنوا روميلة. ولكن سوء التفاهم وقع بينهم، ولما كان أولاد فاضل أضعف من منافسيهم، فقد انسحبوا إلى بوعمران بالقرب من شْمُرَّة.

ثم حل بالأوراس أناس آخرون أصلهم من الساقية الحمراء (المغرب)، وهم أولاد موسى بن قاسم، وأولاد الطيب، وأولاد بوكحيل، وأولاد انداج[2]، وأولاد سي زرارة. ويوجد قبر سي زرارة عند جبل بورفايعة[3] حيث يقطن بنو أوجانة.

أولاد زرارة

وكان المرابط (سي زرارة) قد تزوج من امرأة من بني أوجانة، فولدت له ثلاثة أولاد هم: التومي، وبلقاسم، وعمر. ومن بين الأمور غير العادية (كرامات؟) التي تحققت على يدي هذا المرابط، أنه يحكي أن امرأته قد جاءها المخاض فولدت بيضة وشيئاً يشبه المثانة Vessie. فدفن زرارة هذين الناتجين غير الطبيعيين في المكان المسمى رأس تافوت[4]. وبعد مضي وقت، مرّ سي زرارة على هذا المكان فلاحظ أن الأرض قد ارتفعت عند الحفرة التي حفرها، فحكم أن البيضة قد فقست رخمة (نوع من النسور) وأن المثانة قد أصبحت ثعباناً. وقد حمل النوعين ورعاهما في خيمته.

---

(1) سبق الحديث عن أولاد سعيد، وهم قبيلة عربية كبيرة تمتد إلى نواحي القيروان وقابس (المترجم).

(2) كذا، ولعلها النجاح، أي أولاد النجاح، أنظر الملحق، (المترجم).

(3) ينطقه سكان الناحية (بورفيع) وهو جبل يطل على وادي الطاقة ولا يبعد عن فم الطوب بأكثر من عشرة ك م. (المترجم).

(4) تافوت توجد اليوم بسهل الرميلة. وكانت بها آثار قديمة، ولكنها الآن مقبرة عامة (المترجم).

أسطورة النسر والثعبان

وفي هذا العهد كان أولاد صولة قد تقدموا وطردوا بني أوجانة من الوادي الأبيض الذي كانوا عندئذٍ يحتلونه وقام هؤلاء بدورهم بطرد السلاوة من شليا[1] وأجبروهم على التخلي عن أرضهم. وفي وسط هذه الحركة من الهجرة الإجبارية، استقر أولاد سي زرارة في تاغيتس.

ومن ناحية أخرى فإن الثعبان الذي سماه والده فليلوش قد أصبح عظيماً وطويلاً. وكان يتبع في كل يوم قطعان الماشية في المراعي، وكان حضوره يمنع اللصوص من الاقتراب. أما النسر من جهته فقد كان يطير في الجو فوق الحيوانات ويعلن بصوته عن كل ما كان يحدث بعيداً. وكان هذان الحارسان اليقظان يرجعان كل مساء مع قطعان الماشية إلى الدوار حيث والدهما.

وفي تاغيتس بنى أولاد سي زرارة قرية ووضعوا فيها كل ما يملكون. وعندما كان عليهم أن يبتعدوا عنها لقضاء أشغالهم، فإنهم كانوا يتركون منازلهم تحت حراسة الثعبان والنسر. وكان الثعبان فليلوش يرقد عادة كل يوم جمعة والليلة الموالية، وكان هناك رجل من سلاوة يرعى عند أولاد سي زرارة، فذهب إلى إخوانه في القبيلة وحدثهم عن عادات الثعبان. ورحل أولاد سي زرارة لأول مرة عن قريتهم، فقام السلاوة بالهجوم على القرية خلال ليلة الجمعة. وقد جمعوا حول الثعبان النائم كمية هائلة من الحطب وأوقدوا فيه النار وحرقوا الثعبان. وفي نفس الوقت حاول النسر أن ينقذ أخاه فليلوش فكان يغطس في الماء ويأتي نافضاً جناحيه المبللين فوق

(1) جبل شليا أعلى قمة في الأوراس تصل إلى 2312م ومنه تَمْتَدُّ جبال يسكنها العمامرة.

الجمر، غير أن جهوده باءت بالفشل. وعندئذٍ طار نحو خيمة والده وحط عليها. ولما رأى سي زرارة ريش النسر محترقاً أيقن من حدوث النكبة التي حلت بقريته. فأسرع بالركوب على جواده هو وأتباعه ووصل بسرعة إلى عين المكان، ولكن بعد فوات الأوان. فالقرية قد نهبت وفليلوش قد التهمته النيران[1].

---

(1) ثم يستمر نص فيرو عن أصل اليهود، وذلك بعد السؤال التالي: قلت له ما أصل اليهود؟ وما البلاد التي سكنوها قبل مجيئهم لإفريقية؟ والنص الذي ترجمناه يقع على الصفحات من 155 إلى 162 من مجلة (روكاي) 1868 التي ظهرت فيها ترجمة فيرو لتاريخ العدواني.

ملاحظة: التعاليق التي أضفناها وضعنا أمامها كلمة (المترجم) ولم نترجم كل التعاليق التي وردت في ترجمة فيرو لأنها قائمة على استنتاجات شخصية مستوحاة مما يسميه هو بالتقاليد الشعبية. والمعروف أن مهمة فيرو الأولى هي تثبيت الحكم الفرنسي في الجزائر والبحث عن بقايا المسيحية والرومان بها.

ملحـــق

إلحاقاً بما ترجمه فيرو عن العدواني حول العمامرة وبني توجين وغيرهم من سكان الأوراس، رأينا أن نضيف المعلومات التالية التي جاءت في مقالة السيد جوستان بون[1] حول نفس الموضوع أيضاً وحول المرابطين الذين استقروا في الأوراس تتمة للفائدة. وننبه إلى أن السيد بون، مثل فيرو، كان يكتب بعاطفة استعمارية قاصداً من وراء كتابته الإساءة إلى الإسلام والعرب والبربر، لكي تسود الراية الفرنسية على الجزائر:

1 ـ يذكر أن أولاد بودرهم، وأولاد يعقوب، وأولاد النسيغة (النصرة عند فيرو ـ العدواني؟) من السكان الأصليين (الشاوية). ولكن أولاد يعقوب انتقلوا إلى نواحي قالمة. أما الأرباع وأولاد سعيد، فيقول إنهم ظلوا يقطنون باغاي منذ وضعهم الرومان هناك. وذكر أيضاً أن أولاد بلقاسم استوطنوا شمرّة وتولوا الوظائف الإدارية.

2 ـ ويمثل العمامرة الطبقة النبيلة والشريفة في المنطقة. ويذهب زعماؤها إلى أنهم من الساقية الحمراء (أشراف). ومنهم أولاد سيدي زرارة، وأولاد سيدي الطيّب، وأولاد سيدي موسى، وأولاد سيدي بوكحيل، وأولاد سيدي النجاح (انداج في فيرو ـ العدواني). ولكنه يذكر أن جد

---

(1) انظر مقالة ج. بون Pont عن «العمامرة» في مجلة (روكاي) عدد 12، 1867، ص 217 ـ 240، وكان بون عند كتابته للمقالة رئيساً للمكتب العربي في عين البيضاء. وتاريخ كتابته المقالة هو (خنشلة 14 ديسمبر 1867).

أولاد بوكحيل جاء من مصر وتزوج واستقر بالأوراس. وكذلك جد أولاد النجاح فقد جاء من الجريد التونسي ثم استوطن الأوراس. غير أنهم جميعاً أدوا فريضة الحج وكانوا يتمتعون بسمعة هائلة في الورع والتقوى.

3 ـ ولكل مرابط كرامات جعلت الناس يعتقدون فيه ويطلبون بقاءه بينهم وتزويجه بنسائهم والاحتماء به عند الملمات والخلافات، والاهتداء به في شؤون الدين. ونفس الكرامة التي ذكرها فيرو منسوبة إلى سيدي زرارة قد ذكرها السيد بون أيضاً. غير أن هذا يذكر أن سيدي زرارة قد تزوج في البقاع المقدسة ثم وضعت زوجه ما أصبح النسر والثعبان (فليلوش) بعد استقرارهما بسهل الرميلة بالأوراس. ويذكر بون أن أسطورة النسر والثعبان قد قصها عليه الشيخ السعدي بن عثمان وغيره من الأعيان.

4 ـ اسم (طاسية) مذكور في (فيرو ـ العدواني) على أنه اسم جبل أو مكان، بينما يذكر بون أن (طاسية) اسم ملكة (سلطانة). أما اسم جوخران فهو جوكران Djokran في مقالة بون.

5 ـ كان العمامرة على صلة طيبة مع الحنانشة خلال العهد العثماني. ولكنهم لا يذكرون إلا إبراهيم بن بوعزيز الحناشي[1]، كما تعاونوا مع أولاد مراد، ومع قرفة ضد الأتراك سواء أثناء ثورة شيخ العرب محمد بن الصخري أو ثورة الشيخ يحيى الأوراسي.

(1) جاء في رحلة الورثلاني ص 126، أن إبراهيم هذا قد هرب من باي قسنطينة في وقته لغرض ديني.

فهرس أعلام الأشخاص

تنبيه: لم نفهرس ما جاء في التعاليق، ولا أسماء الأجناس: البربر والعرب والترك والروم واليهود والمسلمين والنصارى، إلخ.

فهرس القبائل والأجناس

فهرس الأماكن

مصادر التحقيق

- ابن أبـي دينار، أبو عبد الله محمد الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمّام، المكتبة العتيقة، تونس، ط 3، 1967.
- ابن أبـي الضياف، أحمد، إتحاف أهل الزمان، ط 2، 1976 (جـ 1 ـ 2).
- ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون: ديوان العبر... ط بيروت، 1959.
- ابن سليمان، محمد الجزولي، كعبة الطائفين وبهجة العارفين، دراستان عنه في أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، جـ 2، ج 3 لأبـي القاسم سعد الله. ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- ابن سودة، عبد السلام، دليل مؤرخ المغرب الأقصى (جزآن في مجلد)، ط 2، دار الكتاب، المغرب 1960.
- ابن القنفذ، أحمد الخطيب القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، نشره محمد الفاسي وأدولف فور، مطبعة أكدال، الرباط 1965.
- ابن القنفذ، أحمد الخطيب القسنطيني، الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968.
- الإدريسي، الشريف، المغرب العربـي من كتاب نزهة المشتاق، حققه محمد الحاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية، (الجزائر؟) 1983.

- الإدريسي، الشريف، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية (من كتاب نزهة المشتاق)، نشره هنري بيريز، الجزائر 1957.
- البختري، أحمد، الجديد في أدب الجريد، الشركة التونسية للنشر، تونس 1973.
- برناز، أحمد، الشهب المخرقة لمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المخرقة، تحقيق الطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990.

Brunschvig, R., La berberie orientale sous les Hafsides, 2 tomes, Paris, 1940.

- التجاني، عبد الله، رحلة التجاني، ط. تونس، 1958.
- الجنحاني، الحبيب، القيروان، الدار التونسية للنشر، 1968.
- الحسن الوزان، بن محمد الفاسي، وصف إفريقية، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، جزآن في مجلد، 1983.
- الحشائشي، محمد بن عثمان، رحلة الحشائشي إلى ليبيا (جلاء الكرب)، تحقيق علي مصطفى المصراتي، دار لبنان، بيروت 1965.
- الحفناوي، أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، جزآن، الجزائر، 1906 ـ 1907.
- خوجة، حسين، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس/ ليبيا، 1975.
- الدرجيني، أحمد بن سعيد، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، جزآن، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث (قسنطينة) الجزائر، 1974 (؟).
- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط 2، 1966.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، ط 3، 1969.
- السراج، محمد الوزير، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق

محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، تونس 1970 (في أجزاء).
- سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ثلاثة أجزاء، ط بيروت 1990.
- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، جزآن، ط 2، 1985.
- الشابي، علي، «مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية»، المجلة التاريخية المغربية، يناير 1979، ص 55 ـ 81.
- الشابي، علي، عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي، الدار العربية للكتاب، تونس/ ليبيا، 1982.
- عبد الوهاب، حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، ط 2، تونس، 1344.
- العياشي، أبو سالم، ماء الموائد (الرحلة)، ط فاس، 1899.
- الغزي، الهادي حموده، الأدب التونسي في العهد الحسيني (الشعر)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.
- الفكون، عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
- قيقة، عبد الرحمن، من أقاصيص بني هلال، قدم لها الطاهر قيقة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.
- الكاتب، أحمد الأنصاري، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تحقيق علي مصطفى المصراتي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1963.
- الكناني، محمد بن صالح عيسى القيرواني، تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1970.
- مجهول، تغريبة بني هلال الكبرى الشامية الأصلية، ط القاهرة، بدون تاريخ.
- المدني، أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الشركة الوطنية (الجزائر) 1968 (؟).

- المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، الجزائر، 1963.
- المرزوقي، محمد، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973.
- المصراتي، علي مصطفى، مؤرخون من ليبيا (مؤلفاتهم ومناهجهم)، الشركة العامة طرابلس، 1977. القيروان والشابية، Monchicour, Ch.، Kairouan et le Chabbia، ط تونس 1939.
- النيّال، محمد البهلي، الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، مكتبة النجاح، تونس 1965.
- النيفر، محمد، عنوان الأريب (جزآن)، المطبعة التونسية، تونس، 1351.
- الورتلاني، الحسين، نزهة الأنظار (الرحلة)، تحقيق ابن أبي شنب، ط بيروت، 1974.
- يونس، عبد الحميد، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، دار المعرفة، ط 2، القاهرة، 1968.

دار الغرب الإسلامي
بيروت . لبنان
لصاحبها الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود
تلفون البناية: 340131/ تلفون مباشر : 350331 ص . ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم 291 / 1000 / 1 / 1996
التنضيد : كومبيوتايب للصف الطباعي الألكتروني
الطباعة: دار صادر ، ص . ب . 10- بيروت

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
P. B. : 113-5787- BEIRUT

TĀRĪKH AL-ʿUDWĀNĪ

(Histoire du Maghreb depuis la conquête arabe)

par

Moḥammad b.Moḥammad al-ʿUdwānī

Texte établi

par

ABŪ-L-QĀSIM SAʿDALLĀH



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI

TĀRĪKH AL-‘UDWĀNĪ

(Histoire du Maghreb depuis la conquête arabe)

par

Moḥammad b.Moḥammad al-‘Udwānī

Texte établi

par

ABŪ-L-QĀSIM SA‘DALLĀH



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI